جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم الجغرافية

المنهج الجغرافي عند ابن حوقل

أطروحة قدّمها

حسام نجم الدين عبد الشمري

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة ديالى وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في الجغرافية

بإشراف

الأستاذ الدكتور
عبد الأمير عباس الحيالي

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الخالق خميس علي

1435هـ

2014م

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Diyala University
College of Education for Human Sciences
Department of Geography

Geographical approach by Ibn Hawqal

Dissertation submitted by

Husam Najm al-Din Abd al-Shammari

To the coucil of Education College of Human Sciences, University of Diyala, which is part of the Requirements of Obtaining Doctor of Philosophy Degree in Geography

Supervised by

Prof. Dr
Abdul Amir Abbas Hayali

Assistant Professor Dr
Abdul Khaliq Khamis Ali

1435 A.H Diyala 2014 A.C

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

صدق الله العظيم

سورة البقرة: الآية/

والعشرون تحميد الله

إقـــرار المشرفين

نشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (المنهج الجغرافي عند ابن حوقل) التي قدمها (حسام نجم الدين عبد الشمري) قد أُعدت بإشرافنا في جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الإنسانية ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في الجغرافية .

التوقيع	**التوقيع**
أ.د. عبد الامير عباس الحيالي	**أ.م.د عبد الخالق خميس علي**
التاريخ : / / 2013 م	**التاريخ : / / 2013 م**

بنـــاء على التوصيات المتوافرة ، نرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع

أ.م.د. منعم نصيف جاسم

رئيس قسم الجغرافية

التاريخ : / / 2013 م

إقـرار الخبير اللغوي

أشهد أنَّ الأطروحة الموسومة بـ (**المنهج الجغرافي عند ابن حوقل**) التي قدمها (**حسام نجم الدين عبد الشمري**) قد تم تقويمها من الناحية اللغوية وتصحيح ما ورد فيها من أخطاء لغوية وتعبيرية وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة قدر تعلق الأمر بسلامة الأسلوب وصحة التعبير .

التوقيع :

أ.م.د: باسم محمد ابراهيم

التاريخ : / / 2013 م

إقرار الخبير العلمي

أشهد أنَّ هذه الأطروحة الموسومة بـ(**المنهج الجغرافي عند ابن حوقل**)

التي قدمها (**حسام نجم الدين عبد الشمري**) ، قد تم تقويمها من الناحية العلمية وبذلك أصبحت مؤهلة للمناقشة قدر تعلق الأمر بالسلامة العلمية .

التوقيع :

أ.د : نجم عبد الله احمد

التاريخ: / / 2014م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة ، نشهد إننا أطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (**المنهج الجغرافي عند ابن حوقل**) وقد ناقشنا الطالب (**حسام نجم الدين عبد الشمري**) في محتوياتها وفي ما له علاقة بها ، ونقر بأنها جديرة بالقبول لنيل درجة دكتوراه فلسفة في الجغرافية بتقدير ( ) .

الأستاذ الدكتور
غالب ناصر السعدون
/ / 2014
رئيساً

الأستاذ الدكتور عبد الله حسون محمد / / 2014 عضواً	الأستاذ الدكتور مجيد حميد شهاب / / 2014 عضواً
الأستاذ الدكتور محمد عباس حسن / / 2014 عضواً	الأستاذ الدكتور رعد رحيم حمود / / 2014 عضواً
الأستاذ الدكتور عبد الامير عباس الحيالي / / 2014 عضواً ومشرفاً	الأستاذ المساعد الدكتور عبد الخالق خميس علي / / 2014 عضواً ومشرفاً

صُدِقت من قبل مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

الأستاذ المساعد الدكتور
نصيف جاسم محمد
عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية
/ / 2014م

الإهـــــداء

إلـــــــى ....

وطني الام ... وبلدي الحبيب

العراق ..... فخـراً واعـتــزازاً

روح والــدي الطاهـــــــرة

تغمـدهُ اللّه بواسع رحمتـــــه

الحـــــب والخيـــــر كلـهُ

والـدتي .... بــراً وإحسانـــــاً

التي قاسمتني عنــاء المسيرة

زوجتـــي ..... حبـاً واحترامـاً

الذين شـــــــــدّوا من أزري

إخوانــي وأخواتي عونًا وسنـداً

أملي.. والحياة .. والمستقبل

أولادي..مصطفى وعمار ويوسف

من أمدَّني بالعلم والمعرفـــة

أساتذتي..... تقديراً واحترامـاً

إلـــــى كل هؤلاء أُهدي ثمرة جهدي المتواضع .....

حسام

الشُكر والثناء

قال الله تعالى ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ البقرة/ 152 ،

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه سيد المرسلين واشرف الخلق نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ، فمن باب العرفان بالجميل لكل من يصنع معروفاً وإيماناً بقوله تعالى ﴿ **ولَا تَنسَوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ** ﴾ البقرة /237 .

يسُرني أن أتوجه بالشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور عبد الأمير عباس الحيالي والأستاذ المساعد الدكتور عبد الخالق خميس علي اللذين أكملا معي المسير في انجاز أطروحتي فجزاهما الله عني كل خير لتوجيهاتهما السديدة وملاحظاتهما القيمة التي قومت الأطروحة .

واتوجه بالشكر والتقدير إلى عمادة كلية التربية للعلوم الإنسانية وقسم الدراسات العليا لما بذلوه من جهد ودعم في إكمال هذه الدراسة .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والامتنان إلى أساتذة قسم الجغرافية لما بذلوه من جهود علمية مخلصة وآراء سديدة ذللت الصعوبات التي واجهتني أثناء كتابة الأطروحة ، والذين كانوا لي خير معين على أن أقدم الأفضل .

ويطيب لي أتقدم بالشكر والامتنان إلى زملائي الذين كانوا معي في مراحل الدراسة لما قدموه من عون معنوي .

ويسرني أن أتقدم بالشكر والأمتنان لكل من أسهم وساعد في إتمام هذه الدراسة برأي ، أو توجيه ، أو اقتراح ، أو نصيحة ، أو استشارة .

والله ولي التوفيق

الباحث

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة موضوع (المنهج الجغرافي عند ابن حوقل) دراسة في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي ، والذي يعد من الموضوعات العلمية الجادة والمهمة نظرياً وتطبيقياً التي أثارت اهتمام العديد من الجغرافيين خاصة المهتمين بالفكر الجغرافي العربي ، وهو يتناول الحديث عن مدى العلاقة بين الماضي والحاضر في علم الجغرافيا أي ما وجد في الجغرافيا وبين الإرث الذي تركه لنا أبرز علماء وجغرافيي القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي - ومنهم ابن حوقل .

فالتراث الجغرافي العلمي حافل بالحقائق العلمية الثابتة التي تؤثر في حياتنا وكياننا بشكل مباشر وغير مباشر ، وللفكر الجغرافي العربي الفضل الأول في الحفاظ على الفكر الجغرافي القديم مع إثرائه بقدر كبير من المعرفة الجغرافية العلمية الدقيقة ، إذ ركزت هذه الدراسة على المنهج الجغرافي الذي سار عليه ابن حوقل فأجتهد وصارت له آراء ونظريات تختلف تماما عن آراء ونظريات معاصريه والسابقين له ، وقد اشتهر في ميدان رسم الخرائط حيث كان مستقلاً تماماً عن السابقين له من العلماء في هذا المجال ، فمؤلفاته في حقل علم الجغرافية تحتوي على معلومات أصيلة اكتسبها من رحلاته المتكررة التي دامت أكثر من 30 عاما حيث زار كل من مصر وبلاد الشام والعراق والجزيرة العربية وإيران وأرمينيا وصقلية واسيا وبلاد البلغار والأندلس وغانا وغيرها .

لقد امتاز منهج ابن حوقل عن غيره من علماء الجغرافية بأنه اعتمد على معرفته الشخصية المكتسبة من أسفاره ولقاءاته بعمالقة الفكر الجغرافي لذا ظهر إنتاجه في هذا المجال متكاملاً وخاصة ما يخص بلاد الإسلام من حيث طبيعة العرض والمحصولات الزراعية والحياة الاجتماعية في الحضر والأرياف .

ويذكر (الدومييلي) في كتابه (العلم عند العرب وأثره في تطوير العلم العالمي) أَنَّ ابن حوقل نبغَ في علم الجغرافية ، لذا طلب الاصطخري منه تنقيح كتابه (المسالك والممالك) وتميز مؤلّف ابن حوقل (صورة الأرض) بأنه اشتمل على

خريطة خاصة لكل إقليم تحدث عنه وهذه الخرائط يمكن ان تسمى بدون أدنى مبالغة (أطلس العالم الإسلامي) .

لقد سيطر على ابن حوقل حب الاستطلاع ومعرفة المجهول منذ نعومة أظفاره فهو العالم المتحقق الذي استخدم الطرق التجارية للحصول على المعلومات العلمية فجاب معظم أجزاء العالم وقدم دراسة علمية أصيلة عن المسافات والبحار والأنهار والجبال وخواص البلدان التي زارها .

وان امتداد الدولة العربية الإسلامية على مساحة شاسعة من الأراضي وفي ثلاث قارات من العالم المعروف احتلت منطقة القلب القاري فيها ، وفضلاً عن ذلك أَنها تتمتع بموقع بحري مهم يتحكم بالطرق التجارية المارّة في البحر المتوسط والمحيط الهندي ، كما تضم الدولة العربية الإسلامية أجناسا مختلفة لكل منها صفاتها التي اكتسبتها على مدى وجودها في كل إقليم من أقاليم الدولة ، وكان الدين الإسلامي ينتشر آنذاك بصورة رئيسة في الدولة العربية الإسلامية وهذا بدوره ساعد على تماسك الدولة وزيادة قوتها وعظم شأنها فازدهرت حركة التبادل التجاري بين الأقاليم الإسلامية والتمسك بالعادات والتقاليد والمحافظة على النسيج الاجتماعي وذلك كون العقيدة الإسلامية توحد أبناءها على الرغم من تنوع المذاهب التي ظهرت عند المسلمين آنذاك .

وباختصار يُلحظ في كتاب ابن حوقل (صورة الأرض) نبضات الحياة في جسم دار الإسلام الكبير الذي تجزأ سياسياً ، وبقي حياً اقتصادياً وثقافياً ، حتى ولو مالت حياته إلى الظهور على الأطراف عوضاً عن القلب ، على أن أصالة ابن حوقل التامة الشاملة إنما تتجلى في وصف بلاد المغرب الذي يجدد فيه فعلاً إلا أن هذا الوصف ليس سوى وجه واحد لأن الاهتمام بما وراء النهر في الطرف الآخر من دار الإسلام لا يقل عند ابن حوقل أهمية.

ولاشك في أن ازدهار الجغرافية في المنطقة العربية إنما يدل على مكانة هذا العلم في إدارة شؤون الدولة الناشئة ، ومعرفة أحوالها وثرواتها ووجوه أموالها وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في مقدمة كتابه بقوله : " إنه علم يتفرد به الملوك الساسة ، وأهل المروّات والسادة من جميع الطبقات " .

من كل ما سبق ذكره يتبين لنا أَنّ عمل ابن حوقل يدخل في مجال البحث الجغرافي لكونه قدَّم لنا كمية هائلة من المعلومات الجغرافية القيمة عن العالم الإسلامي وعن الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية لجميع البلدان التي زارها ، وجاء ذلك العمل مكللاً بالنجاح نتيجة اعتماده الطريقة العلمية في جمع المعلومات بنفسه من جهة ، ودراسته الكتب الجغرافية وتحققه من الحقائق من جهة ثانية .

ثبت الأطروحة

الموضـوع	رقم الصفحة
العنـــوان	أ
الآيـة القرآنيـــة	ب
إقرار المشرفيَّن	ج
إقرار الخبير اللغوي	د
إقرار الخبير العلمـي	هـ
إقرار لجنة المناقشـة	و
الإهـــــــداء	ز
الشكر والثنـــاء	ح
ملخص الدراسة	ط - ك
ثبت الأطروحـة	ل - ن
ثبت الخرائط والاشكال	س
الاطـــار النظـري	
أولاً: المقدمـــــة	1 - 3
ثانيـــاً : مشكلة الدراســة	4
ثالثـــاً : فرضية الدراسـة	4
رابعـاً : منهجية الدراسـة	4
خامساً : حدود منطقة الدراسة	5 - 6
سادساً : هدف الدراســـة	7
سابعـاً : مسوغات الدراسة	7
ثامنـــاً : الدراسات السابقة	8 - 9
تاسعـاً : هيكلة الدراســة	10-11
الفصل الأول / سيرة ابن حوقل	
المبحث الأول : حياة ابن حوقـــــل	12 – 27
أولاً : اسمـــــهُ	12
ثانيـــاً : نسبـــهُ	13
ثالثـــاً : ولادتـــه	14
رابعـاً : نشـأتـهُ	15 – 16
خامساً : دراستهُ	17 – 18
سادساً : شيوخـهُ ومن تأثر بهم	18 – 19
سابعـاً : ثقافتـــهُ	19 – 21
ثامنـــاً : أخلاقـهُ	21
تاسعاً : مكانتـــهُ العلميـة	22 – 25
عاشراً: وفاتـــهُ	25
المبحث الثاني : عصر ابن حوقل	26 – 38

أولاً : عصـــرهُ	30 – 26
ثانيـاً : ميولـهُ السياسيـة	32 – 31
ثالثـاً : الحياة الاجتماعيـة	35 – 33
رابعاً : الحياة الاقتصاديـة	36 – 35
خامساً : الحياة الفكريـــة	38 – 36
المبحث الثالث : رحلة ابن حوقل	49 – 39
أولاً : مفهـوم الرحلة	42 - 39
ثانياً : رحلتـــهُ	49 – 43
الفصل الثاني : مناهج البحث العلمي وطرائقه	
المبحث الأول : مناهج البحث العلمي	58 – 50
1. المنهج الإقليمـــي	56 – 51
2. المنهج النظامـــي	58 – 56
المبحث الثاني : طرائق البحث العلمي	74 – 59
أولاً : الطريقة الاستقرائيـة	65 – 60
ثانياً : الطريقة الاستنباطية	69 – 66
ثالثاً : الطريقة القيـاسيـة	71 – 69
الفصل الثالث : الفكر الجغرافي عند ابن حوقل	
المبحث الأول : مصادر فكره الجغرافي	97 – 72
المصادر الأولية / الترحال والمشاهـدة	81 – 74
المصادر الثانوية / المقابلة الشخصية والدراسة المكتبية	94 – 82
المبحث الثاني : منهجه الجغرافي	108 – 95
أولاً : خطة الكتـــاب	96 – 94
ثانياً : منهجه في التأليف	98
1. المنهج الوصفي الإقليمي	100 – 98
2. وصفه للإقليم	101 – 100
3. رسم الخرائط	103 – 101
ثالثاً : مقارنة بين الاصطخري وابن حوقل	106 - 104
الفصل الرابع / فروع الجغرافية التي تناولها ابن حوقل	
المبحث الأول : الجغرافية الطبيعية عند ابن حوقل	143 – 107
تصنيـف المعلومـات الجغرافيـة	110 – 108
المعلومات المتعلقة بالجغرافية الطبيعية	110
1. أشكال سطح الأرض	122 – 110
2. الجغرافية المناخيـة	129 -122
3. المـوارد المائيـة	135 – 129
4. جغرافية البحار والمحيطات	142 – 135
5. الجغرافية الحيوية	143 - 142
المبحث الثاني : الجغرافية البشرية عند ابن حوقل	163 – 144

المعلومات المتعلقة بالجغرافية البشرية	144
1. الثروة الزراعية	146 – 144
2. الثروة المعدنيــة	147 – 146
3. النشاط الصناعي	148 – 147
4. النشاط التجـاري	149
5. النقـــل	151 – 150
6. السكان	156 – 152
7. مراكز الاستيطان الحضري والريفي	162 – 156
الخدمات الاداريــة	163
الاستنتاجـــات	165 – 164
التوصيـــــات	167 – 166
المصادر والمراجع	177 – 168
ملخص الدراسة باللغة الانكليزية	3 - 1
الواجهـــة باللغـــة الانكليـــزيـــة	A

ثبت الخرائــط

ت	عنوان الخريطة	رقم الصفحة
1	خريطة (1) الدولة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري .	6
2	خريطة (2) الأقاليم عند بن حوقل .	30
3	خريطة (3) رحلـــــة ابن حوقل .	45
4	خريطة (4) التضاريـس في العـالم الإسـلامي .	112
5	خريطة (5) الأنهار الرئيسة في العالم الإسلامي .	130
6	خريطة (6) المدن التي أشـــار إليها ابن حوقل .	157

ثبت الأشكـال

ت	عنوان الشكل	رقم الصفحة
1	شكل (1) الجغرافيـــة بوصفـــه علمـــاً متكاملاً .	54
2	شكل (2) الطريقة الاستقرائية لتكوين نظرية علمية .	61
3	شكل (3) الطريقة الاستنباطية لتكوين نظرية علمية .	67
4	شكل (4) بحر قزوين (بحر الخزر) عند ابن حوقل	81
5	شكل (5) صورة المحيط الهندي (البحر الأعظم)	97
6	شكل (6) صورة أقليم العراق عند ابن حوقل	114
7	شكل (7) صورة أقليم الشام عند ابن حوقل	123
8	شكل (8) البحر المحيط بالارض	137

الإطـــارُ النظـــريُّ

الفصل الأول

سيــرة ابن حوقل

المبحـث الأول : حياة ابن حوقل

المبحـث الثانـي: عصر ابن حوقل

المبحث الثالث : رحلات ابن حوقل

الفصل الثاني

مناهج البحث وطرائقه

المبحث الأول : مناهج البحث العلمي

المبحث الثاني: طرائق البحث العلمي

الفصل الثالث

الفكر الجغرافي عند ابن حوقل

المبحث الأول : مصادر فكره الجغرافي

المبحث الثاني : منهجه الجغرافـــي

الفصل الرابع

فروع الجغرافية التي تناولها ابن حوقل

المبحث الأول : الجغرافية الطبيعية

المبحث الثاني: الجغرافية البشرية

المصادر والمراجع

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً : المقدّمـــــة

تعد دراسة التراث الجغرافي العربي الإسلامي من الدراسات العلمية الجادّة نظرياً وتطبيقياً في الفكر الجغرافي أولاً وتطبيقاته العلمية في الجغرافية المعاصرة ثانياً فضلاً عن الدور الحضاري المتميز لأمتنا العربية والإسلامية ؛ إذ تزخر المؤلفات الجغرافية الحديثة بالأفكار والمعلومات التي تعزى للعديد من الجغرافيين إنما تجد جذورها واضحة عند الجغرافيين العرب وإسهاماتهم الموضوعية المتعددة في علم الجغرافية .

وان الفكر الجغرافي العربي الإسلامي وافر بالمعلومات وزاخر بالحقائق العلمية التي تظهر في كتابات المنصفين من غير العرب ، وآن الأوآن لإيفاء العلماء العرب حقهم من التقدير والاعتراف بفضلهم على العلم والإنسانية ، ونحن أبناء هذه الحضارة نحس اليوم أن في عنقنا دَيناً كبيراً لهؤلاء الأجداد يجب أن نوّفيه في العناية بآثارهم وأمجادهم بحيث يعمل كل منا في مجال معين ليضع لبنة في بنيان هذا الصرح الشامخ .

ومن هنا جاءت أهمية دراسة تراثنا الجغرافي العربي الإسلامي بوصفه احد الركائز العلمية التي تقوم عليها حضارتنا العربية والإسلامية ، وجاء اختيار موضوع المنهج الجغرافي عند ابن حوقل دراسة في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي للوقوف على ما نشر من الأدب الجغرافي العربي ، وللتعرف على إسهامات العرب المسلمين عامةً وابن حوقل خاصةً في حقل المعرفة الجغرافية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، ويُعد ابن حوقل احد أعلام الفكر الجغرافي العربي الذين أسهموا بعطائهم المميز خلال تلك الحقبة التاريخية فجاءت هذه الدراسة لزيادة المعرفة العلمية بالفكر الجغرافي العربي الذي تميز به ابن حوقل.

ومن الجدير بالذكر أن ابن حوقل وَفّقَ واقترب في دراساته من الفهم الجغرافي الحديث ، فقدم لنا صورة لامعة ومختلفة الجوانب يستفيد منها الخاص والعام ، فأهتم برسم الصور (الخرائط) اهتماماً شديداً فجعل لكل إقليم خارطة خاصّاً به للتعرف على موقع وشكل الإقليم من قبل القارئ ، ثم عمل على توحيد هذه الخرائط في أطلس موحد والذي يعد من أول الأطالس العربية المبكرة التي تصور العالم المعروف عنده حينذاك [1] .

ويعد ابن حوقل احد أبرز الجغرافيين الأوائل الذين أبدعوا في استخدام المقاطعات (الأقاليم) في دراستهم الإقليمية مستغنياً عن طريقة السباعيات وبالتالي فقد أسهم هذا العمل بأضافة جديدة لطريقة الشرح الجغرافي وتطورها ، وقد ذكره المستشرقون والعرب والمسلمون وكانت كتاباتهم تثني وتقدر ما قدمه ابن حوقل من نتاج علمي مميز في هذا الحقل من حقول المعرفة الإنسانية ، ولذلك رأى الباحث من المفيد أن يذكر بعض أراء المستشرقين والكُتاّب في ابن حوقل .

ففي مجال الأدب الجغرافي ، ذكره كراتشكوفسكي وعدّه من أبرز علماء الجغرافيا وأصحاب الرحلات من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) مؤكداً بأنّ آبن حوقل هو الخبير الأول من بين الجغرافيين في شؤون بلاد المغرب [2] ، أما اندريه ميكيل فيعد ابن حوقل من أميز مؤلفي كتب المسالك والممالك من حيث سعة الوثائق وغزارة المعلومات الجغرافية فضلاً عن تقديم معطيات جديدة لم يذكرها الجغرافيون السابقون [3] ، ومن أراد أن يعرف مكانة ابن حوقل الجغرافية فعليه أن يرجع إلى فصول كتابه (صورة الأرض) الخاصة بالجناح الغربي من العالم الإسلامي فقد أبدع في ذلك حيث قدم معلومات نادرة وأصيلة عن بلاد المغرب والأندلس وصقلية بأسلوب سهل وممتع .

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، دراسة في التراث الجغرافي العربي ، ط1 ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1975 . ص 373 - 374 .

[2] عبد الرحمن حميدة ، التراث الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 1988 . ص125 .

[3] اندريه ميكل ، جغرافية دار الإسلام البشرية ، ج1 ، ترجمة إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1983 . ص60 .

كما يحدثنا ابن حوقل عن جزيرة صقلية وشيء عن جغرافيتها فيقول : " ومنها المدينة الكبرى المسماة بلرم ، وعليها سور عظيم من حجارة ، شامخ منيع ، يسكنها التجّار ، وفيها مسجد الجامع الأكبر " [1] أن هذا الوصف لجزيرة صقلية لقي ثناء من المؤرخين المحدثين أنه أول وصف أو أقدم وصف إسلامي لهذه المدينة في إحصاء السكان .

وخلاصة القول أن ابن حوقل اشتهر فزار العالم الإسلامي رغبةً منه في نيل المال عن طريق التجارة فحصل على ذلك وجمع من الكتب الجغرافية الثمينة كثيراً فاستفاد من المال ببناء مكتبة يعتمد عليها في بحوثه الجغرافية لذا فكتابه (صورة الأرض) يمتاز عن غيره من كتب الجغرافية لما يحتويه من الأفكار الأصيلة التي لم يسبقه إليها احد .

فكان متمسكاً بالمنهج العلمي الدقيق الذي يستند على المشاهدة والاستنباط العلمي والاستقراء المنطقي ، لذا حرص علماء الجغرافية في بلاد الغرب على ترجمة كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل لما يحويه من معلومات ثمينة عن العالم الإسلامي فلله دَرُّ ابن حوقل ، وَجَعَلَهُ قدوةً حسنةً لشباب الأمة العربية والإسلامية .

[1] ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط2، مطبعة بريل ، ليدن ، 1939 . ص118 .

ثانياً : مشكلة الدراسة

تمثل مشكلة الدراسة الخطوة الأولى من خطوات البحث العلمي ، ومن خلالها تتجلى مشكلة الدراسة بما يأتي :

- ما المنهجُ الجغرافيُّ عند ابن حوقل ؟

ثالثاً : فرضية الدراسة

الفرضية هي حل أولي لمشكلة الدراسة يضعه الباحث من خلال المعرفة السابقة وتتمثل الفرضية بما يأتي :

- هل الآراء الجغرافية لابن حوقل سواء أكانت الطبيعيةَ أم البشريةً ذات أهمية كبيرة قديماً وحديثاً نظراً إلى دقتها وقربها من طريقة التحليل الجغرافي الحديث من خلال المشاهدة والتحقق ؟

رابعاً : منهجيــة البحــث

استخدم الباحث المنهج الوصفي والتاريخي في عرض أهم الآراء الجغرافية لابن حوقل مستعينا بالمنهج التحليلي من خلال تحليل هذه الآراء بشكل علمي دقيق بالدليل والبرهان .

خامساً : **حدود منطقة الدراسة**

1. البعد الزماني / والذي يبدأ من تاريخ الحياة العلمية لابن حوقل وحتى تاريخ وفاته سنة 367هـ .

2. البعد المكاني / ويتمثل بالعالم الإسلامي الذي امتد من السوس على المحيط الأطلسي غرباً إلى كاشغر شرقاً , ومن بحر الروم (المتوسط) شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً ، ومساحة العالم الإسلامي على ما ذكره المقدسي , تمثل (4,636,082) ميل مربع أو ما يعادل (12,007,455) كم^2 [1] والخريطة (1) توضح ذلك :

[1] احمد سوسة , الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية , ج1, نقابة المهندسين العراقيين , مكتبة صبري , بغداد , 1977, ص107.

خريطة (١) الدولة العربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري

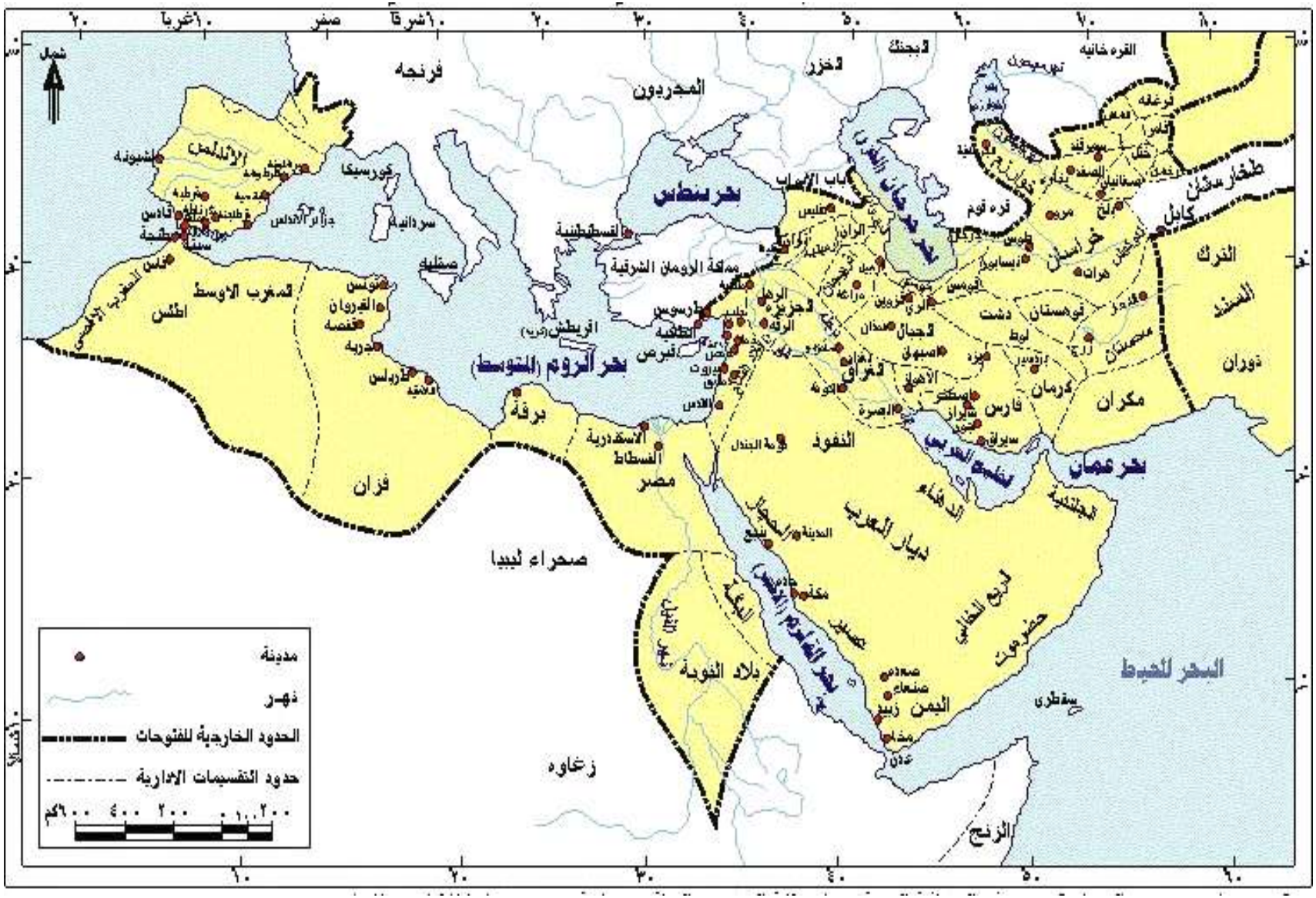

المصدر : احمد سوسة ، الشريف الادريسى فى الجغرافية العربية ، ج١، نقابة المهندسين العراقيين، مكتبة صبرى ، بغداد ، ١٩٧٤. ص١٠٧ .

سادساً : هــدف الدراسة

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الآتي :

1. إبراز أهمية كتابات ابن حوقل العلمية في التأليف الجغرافي العربي ، وإعطاء صورة متكاملة الجوانب عن تطور الفكر الجغرافي العربي في الجغرافية الإقليمية ، ومدى الحرص في تقديم أدق المعلومات عن البلدان الإسلامية .
2. عرض وتحليل لفروع الجغرافية (الطبيعية والبشرية) من واقع كتاب (صورة الأرض) ، وإظهار مقدار ما أسهم به ابن حوقل في تطوير الفكر الجغرافي العربي .

سابعاً : مسوّغات الدراسة

- رغبة الباحث في دراسة التراث الجغرافي العربي وإبراز مدى إسهامات أعلام الفكر الجغرافي العربي في علم الجغرافيا .
- ندرة الدراسات الجغرافية التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتحليل على حد علم الباحث على الرغم من أهميته في حياة الأمة العربية والإسلامية التي تبرز نضوج الفكر العلمي والدور الحضاري المتميز الذي لعبته أمتنا آنذاك .

ثامناً : الدراسات السابقة

أجريت العديد من الدراسات العلمية التي تناولت الفكر الجغرافي العربي الإسلامي وأهمها :

- دراسة عدي يوسف مخلص " المقدسي (البشاري) حياته ومنهجه " ، التي تناولت دراسة كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي من الناحية التاريخية إذ درسَ الأقاليم وتقسيمها والمنهج الذي اتبعه . [1]

- دراسة سعد عبود سمار " ابن حوقل دراسة تاريخية في كتابه صورة الأرض " التي تناولت أهمية كتاب ابن حوقل في الجغرافية التاريخية ، فضلاً عن إبراز القيمة العلمية في التأليف الجغرافي في الفترة الذهبية من تاريخ الدولة الإسلامية [2] .

- دراسة يوسف بن احمد حوالة " ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية " التي تناولت رحلات ابن حوقل في العالم الإسلامي فيما يتعلق بالجناح الغربي من العالم الإسلامي ، فضلاً عن فروع الجغرافية التي عالجها آنذاك [3] .

- دراسة ظريف رمضان ظريف مراد " ابن حوقل ومنهجه الجغرافي ودراسة لكتابه صورة الأرض " التي ابرزت مظاهر الحياة المختلفة في العالم الإسلامي

---

[1] عدي يوسف مخلص ، المقدسي (البشاري) حياته ومنهجه ، دراسة كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) من الناحية التاريخية ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، 1971. (غير منشورة) .

[2] سعد عبود سمار ، ابن حوقل دراسة تاريخية في كتابه صورة الأرض ، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية الآداب ، 1987 . (غير منشورة) .

[3] يوسف احمد حوالة ، ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، 1992 . (منشورة) .

عامة وجغرافية مصر خاصة ، فضلاً عن أبراز أهمية كتاب ابن حوقل وقيمته العلمية في علم الجغرافية [1] .

- دراسة صالح عمران حسون القرغولي " الفكر الجغرافي عند ابن سعيد المغربي " دراسة في كتابه الجغرافيا ، التي تناولت مصادر فكره الجغرافي ومنهجه [2] .

- دراسة محمد عباس حسن العبيدي " المنهج العلمي العربي في الجغرافية الطبيعية " التي تناولت مناهج البحث العلمي عند العرب وطرائق بحثهُ [3].

- دراسة رنا محمد مجيد الغريري " المقومات الجغرافية لبناء قوة الدولة عند المسعودي والمقدسي " حيث تطرقت إلى أهم الآراء الجغرافية عند المسعودي والمقدسي [4] .

---

[1] ظريف رمضان ظريف مراد ، ابن حوقل ومنهجه الجغرافي ودراسة لكتابه صورة الأرض ، رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، 1993 . (منشورة)

[2] صالح عمران حسون القرغولي ، الفكر الجغرافي عند ابن سعيد المغربي دراسة في كتابه الجغرافيا ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، 1999 . (غير منشورة) .

[3] محمد عباس حسان العبيدي ، المنهج العلمي العربي في الجغرافية العربية ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، كلية التربية - ابن رشد ، 2001 . (غير منشورة) .

[4] رنا محمد مجيد الغريري ، المقومات الجغرافية لبناء قوة الدولة عند المسعودي والمقدسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية التربية - ابن رشد ، 2012 . (غير منشورة) .

تاسعاً : **هيكلة الدراسة**

ارتأى الباحث أن يقسم الدراسة الموسومة بـ " المنهج الجغرافي عند ابن حوقل " دراسة في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي الى أربعة فصول فضلاً عن المقدمة والإطار النظري للدراسة وخاتمة اشتملت على النتائج التي تم التوصل إليها ، وقد تضمنت الفصول عدة مباحث :

تضمن الفصل الأول : سيرة ابن حوقل وأشتمل على ثلاثة مباحث ، تضمن المبحث الأول حياة ابن حوقل محدداً المدة الزمنية التي عاشها وهي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) .

أما المبحث الثاني فتناول الباحث فيه عصر ابن حوقل وبعض الجوانب عن ميوله السياسية والحياة والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، ذلك العصر الذي حققت فيه الحضارة العربية الإسلامية أوج عظمتها في مضمار التقدم والازدهار العلمي وفي مختلف حقول المعرفة ومنها علم الجغرافية .

أما المبحث الثالث فقد اشتمل على مفهوم الرحلة الجغرافية ورحلة ابن حوقل التي تعكس لنا محبته للعلم وأهله ، فكانت رحلاته في الأقاليم العربية والإسلامية وأحياناً تشمل بعض البلاد التي لها علاقة بها ، على الرغم من الصعوبات التي كانت تسببها تلك الرحلات بسبب طول المسافات وصعوبة التعامل مع أُناس مختلفي الطبائع ، فقد مكنته تلك الرحلات من الاتصال بشخصيات علمية تتباين أصول تفكيرها بحسب اختلاف بيئاتها ، الأمر الذي مكنه من المفاضلة واختيار الأصلح بدليل اتصاله بأصحاب الشأن .

وتناول الفصل الثاني مناهج البحث العلمي وطرائقه وتم تقسيمه على مبحثين ، تضمن المبحث الأول مناهج البحث العلمي ، والمبحث الثاني طرائق البحث العلمي .

أما الفصل الثالث فشمل الفكر الجغرافي عند ابن حوقل وجاء بمبحثين : تضمن المبحث الأول ابرز ملامح الفكر الجغرافي عند ابن حوقل ومصادره ، في حين تضمن المبحث الثاني المنهج الجغرافي عند ابن حوقل .

أما الفصل الرابع فتطرّق إلى فروع الجغرافية عند ابن حوقل واشتمل على مبحثين :- تضمن المبحث الأول الجغرافية الطبيعية وفروعها ، والمبحث الثاني الجغرافية البشرية وفروعها .

المبحـث الأول

حيــاة ابن حوقـــل

أولاً : أسمـــــهُ :

هو أبو القاسم محمد بن علي البغدادي [1] الموصلي [2] النصيبي [3] المعروف بإبن حوقل * [4] (Ibn Haucal) جغرافي ورحالة عراقي [5] وواحد من أشهر الجغرافيين الرحالة المشارقة الذين أظهرتهم العصور الإسلامية الزاهية .

---

[1] خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط5 ، المجلد السادس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980 . ص111 .

[2] أبو الحسن علي بن محمد الجزري عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ/ 1232م) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج3 ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1938 . ص269 .

[3] المرجع نفسه ، ص312 .

* حوقل في اللغة : كلمة نحتت من اكبر عدد من الكلمات وهو ذلك القول المشهور " لا حول ولا قوة إلا بالله " فقيل من هذه العبارة : " حوقل " ، فالحوقلة اسم منحوت من الجملة العربية " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، ولم نجد في الأسماء العربية ، شخصاً سمي بهذا الاسم ، ولا نعتقد أن أباً يسمّي ابنه باسم (حَوْقَل) ، تعبيراً عن تشاؤمه بولادة طفله ، ومكرراً عبارة : " لا حول ولا قوة إلا بالله " وما دمنا استبعدنا أن يكون " حَوْقَل " اسماً فلعله كان لقباً ، ولعل والده عليّاً ، أو أحد أجداده ، كان يكثر من قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، فحاز على هذا اللقب - إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001 . ص72 ؛ ولم تعنِ المصادر والمراجع بتفسير هذا اللقب الذي أشتهر به ابن حوقل ، كما هو الحال في تفسير ألقاب العلماء والمؤلفين . وحوقل : اعتمد بيديه على خصريه ، والحوقلة : سرعة المشي ومقاربة الخطو ، وغير ذلك من المعاني - محمد بن مكرم آبن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ / 1311م) ، لسان العرب ، ج11 ، دار صادر ، بيروت ، 1993 . ص161-162 .

[4] إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين ، ط1 ، ج2 وكالة المعارف الجليلة ، اسطنبول ، 1951 . ص43 .

[5] أندريه ميكيل ، جغرافية دار الإسلام البشرية ، ج1 ، ترجمة إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1983 ، ص110 .

ثانياً : نسبـــهُ :

أطلقت عليه المصادر ألقاباً عديدة منها البغدادي [1] نسبةً إلى مدينة بغداد إذ هو من سكانها وولد فيها ونشأ على يد علمائها ، والموصلي [2] نسبةً إلى مدينة الموصل التي تعاطى التجارة فيها مدة من الزمن ، ويذكر كراتشكوفسكي أن أصله من نصيبين * بالجزيرة * (الجزيرة الفراتية) لذلك لقب بالنصيبي التي ظهر منها الكثير من العلماء حينذاك [3] .

ويبدو أن عليّاً والد ابن حوقل ، أو أحد أجداده نزح من نصيبين إلى بغداد عاصمة الخلافة وتمتعت بأهمية تجارية كبيرة حينذاك ، والأرجح أنه ينتمي إلى أسرة كانت تحترف التجارة ، إذ نجد في المصادر أن ابن حوقل قد مارس التجارة ببلدة نصيبين ردحاً من الزمن والتي تقع شمال شرقي الموصل على طريق القوافل التجارية الرئيس الرابط بين الموصل والعراق بالأناضول وبشمالي سوريا ، ومن هناك بالموانئ الواقعة على بحر الروم (البحر المتوسط) [4] حيث كان لكل لقب دلالته نسبةً إلى البلد الذي حل به والأصول التي ينتمي إليها .

---

[1] ابن الأثير ، مرجع سابق ، ج1 ، ص162 .

[2] المرجع نفسه ، ص269 .

* نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة تقع في تركيا على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام ، وينسب إليها مجموعة من العلماء والأعيان - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ / 1228م) ، معجم البلدان ، ط2 ، ج5 ، دار صادر ، بيروت ، 1995 . ص288-289.

* الجزيرة : وهي الجزيرة المعروفة بالجزيرة الفراتية وسميت بالجزيرة لأنها تقع بين نهري دجلة والفرات وتسمى جزيرة أقُور أيضا ، وتشمل على ديار مضر وديار بكر - المرجع نفسه ج2 ، ص134 .

[3] ابن الأثير ، مرجع سابق ، ج3 ، ص312 .

[4] ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج 5 ، ص288 .

ثالثاً : ولادتـــهُ :

ولد ابن حوقل في مدينة بغداد ولم تورد المصادر والمراجع تاريخاً لمولده ، وإذا أردنا تحديد ذلك فيمكن أن نستشفِ من خلال كتاباته في كتابه صورة الأرض حينما تحدث عن بلاد الشام وخراجها بقوله " ورأيت ارتفاع الشام وما في ضمنها من الأعمال والأجناد والتي أقف عليه من جماعة علي بن عيسى ومحمد بن سليمان لسنة ست وتسعين ومائتين وسنة ست وثلاثمائة من جميع وجوهها إلى حقوق بيت المال وما يلزم له من التوابع دون أرزاق العمال تسعة وثلاثون ألف ألف درهم " [1] وإذا قُدر عمره حينذاك بحوالي عشرين عاماً فيمكن القول ان مولده كان بحدود سبعينيات القرن الثالث الهجري (التاسع الميلاد) وفضلاً عن ذلك فإنّ كتابات ابن حوقل بدأت تظهر عام 290 هـ بحسب ما حدده أوسيلي (Owsley) في بلاد الأندلس .

على أية حال يمكن القول أن ابن حوقل أحد جغرافيّ ومؤلفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ومنذ ذلك اتضحت ميوله العلمية في سن مبكرة متجهة نحو علم الجغرافيا [2] وأن اهتماماته الجغرافية وقراءاته لكتب المسالك والممالك وحبه الشديد للرحلة كانت السبب الرئيس في تأليف كتابه (صورة الأرض) .

ويعد هذا الكتاب من ابرز الكتب العربية الجغرافية المبكرة التي تمثل أساساً مهماً من أسس الجغرافيا ؛ إذ تميز بالمنهج القويم في الفكر الجغرافي العربي الإسلامي ، ويشمل الكتاب كماً من المعلومات الجغرافية والتاريخية المهمة التي لم نجدها لدى المؤرخين والجغرافيين الآخرين [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص189 .

[2] William Owsley , Geography of Ibn Haukal , {K . Almasalik for the oriental} , London , 1800 C . p 11-12 .

[3] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ج1 ، ص43.

رابعاً : نشأتــهُ

يتفق الباحثون على انه ولد ونشأ في بغداد وتلقى علومه الأولى فيها وطالع عدداً من كتب الجغرافيين المسلمين ، ودرسها دراسة معمقة مستنتجاً أن أكثر ما كُتب لم يستند إلى الملاحظة الشخصية أو الزيارة الميدانية مما شغفه فيما بعد إلى حب الرحلة الجغرافية والاعتماد على نفسه لمشاهدة مختلف الظواهرالطبيعية والبشرية وإثباتها بالدليل والمشاهدة الحقيقية ليتحقق من أقوال العلماء السابقين ، وفضلاً عن ذلك كان اشتغاله بالتجارة سبباً في اطلاعه على أحوال المدن والأمصار [1] .

أمضى ابن حوقل في رحلاته ثلاثين عاما جاب خلالها أرجاء العالم الإسلامي شرقاً وغرباً ، فطاف في أنحاء مصر والشام والبحرين والإحساء وبلاد فارس وخراسان ، كما تجول في أسيا الوسطى والجنوبية حتى بلغ إقليم السند ودخل بلاد البلغار ووصل إلى وسط نهر الفولكا [2] وجال في ربوع المغرب العربي والأندلس وأفريقيا حتى غانا جنوب الصحراء الكبرى ، وزارَ جزيرة نابولي ومدينة بالرمو اكبر مدينة في جزيرة صقلية [3] ، وشملت رحلاته مناطق شاسعة من قارات العالم القديم الثلاث (آسيا وأوروبا وإفريقيا) متخذا من بغداد نقطة الانطلاق في يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان في سنة (331هـ / 942م) ، فجاب أولاً بلده العراق ثم اتجه إلى أمصار وبلدان العالم الإسلامي الأخرى .

وأن ابن حوقل كان تاجراً محترفاً ولم تقتصر نشاطاته التجارية على بلده العراق ، أي أنه لم يكن من التجار المحليين بحسب المصطلحات المعاصرة وإنما كان تاجراً عابراً للقارات ، وكان في الوقت نفسه مثقفاً مهتماً بالعلم وجمع المعلومات ولاسيما الجغرافية ذات الصلة بمهنته ، وكان يتشوّق إلى التجوال في البلدان متخذاً من التجارة مهنة له وراغباً في دراسة البلاد والشعوب .

---

[1] عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1980 . ص174 .
[2] شاكر خصباك ، مصدر سابق ، ص373 .
[3] عبد الرحمن حميدة ، التراث الجغرافي ، مصدر سابق ، ص125 .

عاش ابن حوقل حياته الأولى في بغداد وكان مولعاً بقراءة كتب تقويم البلدان مما شغفهُ إلى الرحلة وزيارة أقطار الأرض متخذاً من التجارة صنعة له ، مما زادت من رغبته في دراسة البلاد والشعوب بنفسه والتعرف على المجــهول والتحقق بنفسه من أقوال الجغرافيين السابقين منطلقا من مدينة بغداد وهو لا يزال شاباً من أجل العمل بالتجارة والدراسة والشهرة [1] .

ضمَّن ابن حوقل كتابه أخبار رحلاته الجغرافية الواسعة التي قام بها خلال ثلاثين سنة ، ويصنف هذا المؤلَّف ضمن كتب جغرافية الرحلات وحَملَ هذا الكتاب اسماً أخر هو (المسالك والممالك) إلا أنه يأتي بالشهرة بعد العنوان الأول وهو (صورة الأرض) ، ويبدو أن هذا الكلام يخص عصرنا الحديث ، أما ابن حوقل فأنه يسمي كتابه بـ (المسالك والممالك) فيقول في مقدمة الكتاب : " هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك وذكر الأقاليم والبلدان على مرّ الدهور والأزمان وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جباياتها وخراجها ومستغلاتها وذكر الأنهار الكبار واتصالها بشواطئ البحار وما على سواحل البحار من المدن والأمصار ومسافة ما بين البلدان للقارة والبحار مع ما يضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار والنوادر والآثار " [2] .

---

[1] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ج2 ، ص174 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص1 .

خامساً : دراستــهُ :

أن خط سيره التعليمي قد تركز في مدينة بغداد لذلك نشأ حريصاً على الدرس وشغوفاً بالعلم ساعياً وراء الكتب الجغرافية منذ نشأته ولاسيما كتب المسالك والممالك ، كما اتصل بعدد من العلماء والشيوخ ممن كانت لهم معرفة بالمعلومات الجغرافية .

ولاحظ أن اغلب الكتب التي ألفت لم تستند إلى المشاهدات الحقيقية لذا فانه شكك بالمعلومات التي في بطون تلك الكتب إذ يقول " وترعرعت فقرات الكتب الجليلة المعروفة فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً وما فيها رأيت رسماً متبعاً " [1] ، مما حفز ابن حوقل إلى أن يدون مادته العلمية أثناء رحلاته عن طريق الملاحظة الدقيقة أو الاستماع إلى الأشخاص من ذوي العلم والدراية بأخبار البلدان ومن يشهد لهم بالصدق والبنان ، وهذا الأسلوب الذي سلكه ابن حوقل في تأليف كتابه (صورة الأرض) هو ما يعرف بالدراسة الميدانية في الوقت الحالي .

أما كتب الجغرافيا التي درسها فهي ((المسالك والممالك)) لأبي القاسم عبيد الله المشهور بان خرداذبة * (ت 300هـ / 912 م) ذكره المسعودي في (مروج الذهب) قائلاً : " هو تاريخ كبير .. أجمع الكتب .. وأبرعها نظماً .. وأحوى لأخبار الأمم وملوكها " [2] .

وكتاب ((المسالك في معرفة الممالك)) لأبي عبد الله احمد بن محمد بن نصر الملقب بالجيهاني * (ت 330هـ / 941م) وكان وزيراً للسامانية ببخارى وكان أديباً فاضلا [3] ، وكتاب ((الخراج وصنعة الكتابة)) لأبي الفرج قدامة بن

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .

* ابن خرداذبه : هو عبيد الله بن عبد الله بن احمد بن خرداذبه أبو القاسم ، تولى البريد بناحية الجبل وله العديد من التصانيف - البغدادي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص645 .

[2] حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج1 ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1941 . ص278.

* الجيهاني : لقب حازه أبو عبد الله الجيهاني الوزير ، وجيهان : اسم وادي بخراسان - البغدادي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص36 .

[3] المرجع نفسه ، ص 36 .

جعفر بن قدامة * الكاتب ، ويختلف الباحثون في تاريخ وفاته إلا إن من المؤكد أنها تقع فيما بين (ت 310هـ / 922م - 337هـ / 948م) [1] ، حيث إنّ الكتابين الأولين جذباه كثيراً وصرفاه عن دراسة العلوم النافعة الأخرى ، لذلك أظهر اهتمامه الشديد بالجغرافيا مطلعاً على تلك المؤلفات ودراستها بتعمقٍ وتوصل إلى أن المعلومات التي فيها لم تسند إلى دليل أو مشاهدة شخصية ، وعلى هذا الأساس نلاحظه يعتمد على نفسه في ترحاله من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى إقليم ، لمشاهدة أحوال الأقاليم والتعرف على الظواهر الجغرافية فيها فيقول : " وَليَعلم أن الأسباب المُحرضة على تأليفه المقتضية لعمله اللذّةُ بالإصابة في المقصد والمحبة للظَفَر بإبانة كلّ بلد والذكر الجميل من أهل التحصيل في كل مشهد " [2] وكان يتشوق إلى التجوال في البلدان راغباً في دراستها ، لذلك تضمن كتاباته المعلومات المفصلة والقيمة عن بلاد الإسلام .

سادساً : شيوخــهُ ومن تأثر بهم :

من المناسب أن نشير إلى المشاهير من العلماء والشيوخ الذين أخذ عنهم المعلومات الجغرافية وغيرها من العلوم حيث تعلم على أيديهم في أثناء ترحاله بين الأقاليم الإسلامية ومنهم :-

1. الشيخ أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن أبان الفارسي النحوي ، من فسا مدينة جليلة في ذاتها كثيرة الأهل والتجارة ببلاد

* ابن قدامة : أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي كان نصرانيا ثم أسلم على يد المكتفي بالله العباسي ، وله تصانيف عديدة منها كتاب الخراج – البغدادي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص835 .

[1] المرجع نفسه ، ص 835 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص5 .

فارس [1] واشتغل ببغداد ، ودخل إليها سنة سبع وثلاثمائة وكان إمام وقته في علم النحو واللغة [2] ينسب إليها جماعة من أهل العلم والفضل [3] .

2. الشيخ أبو منصور احمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي [4] ، صاحب كتاب الرسائل ، إذ تحدث عن شيوخه أثناء رحلته إلى بلاد فارس [5] .

ونستنتج من خلال اتصالاته أنه كان من بين شيوخه ومن استمع لهم ممن كانت لهم معرفة بالمعلومات الجغرافية والتأريخية .

سابعاً : **ثقافتـــــهُ** :

يمكن أن نطلق على ثقافة ابن حوقل بأنها دائرة معارف لسعة أفق معارفه الجغرافية والتاريخية ، إذ يعد واحداً من أشهر العلماء بين علماء عصره في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ، حيث ترك لنا إرثاً ووصفاً غنياً لمشاهداته العلمية من اجل العلم والمعرفة الجغرافية .

وكان ابن حوقل كثير الاطلاع على خزائن الكتب ويعد هذا سبباً في سعة ثقافته ، وتتجلى تلك الثقافة بالمعلومات الجغرافية الدقيقة في وصف المدن والمعالم

---

(1) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص267 .

(2) أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت 681هـ - 1282) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج2 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1900 . ص80 .

(3) زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني (ت 584هـ / 1188م) ، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ، تحقيق حمد بن محمد جاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، 1994 . ص778 .

(4) ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص292 .

(5) أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت 421هـ - 1030) ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج7 ، تحقيق أبو قاسم إمامي ، سروش ، طهران ، 2000 . ص174 .

وصفاً موضوعياً ينمُ عن حس جغرافي دقيق ، والتقى بعدد كبير من الشخصيات العلمية واخذ منهم معلوماته المختلفة [1] .

لهذا يمكن إيجاز ملامح ثقافته من الآثار التي تركها فضلاً عمّا ذكره مترجموه عنه بالاتي :

1. **الثقافة الدينية** : وتتجلى تلك الثقافة بالمعلومات الدينية التي يتحلى بها المرء المسلم من صبر وتحمله المتاعب في سبيل العمل والعلم والمعرفة فيقول : " لاستيفاء الرزق والأثر " [2] ، كما تجلت أخلاقه بحسن تعامله مع الناس ، والصفات الإسلامية التي تكون دليل حياته ، فهو يعتذر من الخلل والزلل والسهو في كتابه إن كان به [3] فضلاً عمّا ذكره في كتابه وخير مثال على ذلك حديثه عن مدينة الأنبار قوله : " ومنها أبو بكر بن مجاهد صاحب القراءات ومن لم يساوِهِ في القراءات أحدٌ ونجمَ منها غير رئيس في صناعة الكتابة والفقه والعلم " [4] وهذا يعد دليلاً على معرفته بالأحكام الدينية .
2. **الثقافة الجغرافية** : وتبرز تلك الثقافة بالمعلومات الجغرافية الدقيقة في وصفه للمدن والمعالم الجغرافية وصفاً دقيقاً يبين سعة افقه وحسه الجغرافي ، وكتاب (صورة الأرض) كتاب جغرافي في المقام الأول [5] .
3. **الثقافة التاريخية** : تظهر ثقافته التاريخية الواسعة جلية للعيان في مؤلفاته ذات الطابع التاريخي .
4. **الثقافة اللغوية** : تتضح ميوله اللغوية في كتابه (صورة الأرض) ، فيقول : " ولقد رأيت ولداً كان لإسحاق ابن الماجلي المعلم القاضي يخطب نحو حولين يجزم الأسماء مع الصلة ويجر الأفعال من أول إلى أخرها " [6]فضلاً عن

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافي العربية ، مصدر سابق ، ص373-375 .
[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .
[3] المرجع نفسه ، ص526 .
[4] المرجع نفسه ، ص 3 ، 227 .
[5] حاجي خليفة ، مرجع سابق ، ج2 ، ص1662- 1664 ، حيث يشير إلى كتاب ابن حوقل ويصنفه ضمن علم مسالك البلدان .
[6] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص127 .

مخاطبته رجلاً يسمى الدّراية * بجميع الأحوال حول هذه الحالة اللغوية أثناء تواجده في جزيرة صقليه [1].

5. **رحلاته** : ذكره العديد من المصنفين بأنه احد ابرز الرحالة العرب المسلمين الذين غزرت رحلاتهم بالمعلومات المهمة .

ثامناً : أخلاقـــهُ :

أما عن أخلاقه فقد تحلى بصفات العالم المسلم ، كما تجلت أخلاقه بحسن التعامل مع الناس وبتأثره بشيوخه السابقين الذين قرأ عن مؤلفاتهم والمعاصرين له ، كما عُدَّ من أئمة الجغرافيين العرب المسلمين في عصره الذهبي (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، ويعد ابن حوقل ومضة من النور التي تشع الطريق على العرب نحو أفاق المعرفة وأبواب العلم [2] .

وعلى بالرغم من كل ما اتصف به إلا انه يعتذر من القصور ، فذكر قائلاً في كتابه (صورة الأرض) : " فالعذر إلى قارئه ثم إلى الله تعالى من تقصير إن كان فيه ولان الإنسان بجزئيته لا يبلغ أرَبَه بكليته إلا بتوفيق وتأييد من الحكيم المجيد ، والحمد لله حق حمده وصلى الله على محمد خيرته من خلقه وأبرار عطرته وهو حسبـي ونعـم المعيـن " [3] .

---

* الدّراية : وهو أديب من أهل صقلية وله معرفة بجميع أحوال أهلها - ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 127 .

[1] المرجع نفسه ، ص127 .

[2] اغناطيوس كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ط2 ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، موسكو ، 1957 . ص200-201 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص526 .

تاسعاً : **مكانتهِ العلمية** :

لقد أشاد بابن حوقل كل من ترجم له من الأقدمين والمحدثين واطلعوا على ما توصل إليه من معلومات جغرافية في غاية الأهمية ، وعرفوا له فضله ومكانته العلمية وحبَّه للبحث الجغرافي وإقباله عليه بنفسه معتمداً على الرحلة والتجربة الخاصة .

ومن العلماء القدامى الذين اخذوا من كتابات ابن حوقل الاصطخري وابن سعيد المغربي وغيرهم حيث تناولوا منه بعضاً من التفاصيل الجغرافية والتاريخية ذات القيمة العالية ، فيصفه الاصطخري * بقوله : " قد نظرتُ في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللتُ " [1] فعمل ابن حوقل على تصحيحه وأجرى عليه تعديلات ونسبه للاصطخري .

واتبع ابن حوقل منذ البداية كغيره من الجغرافيين العرب المسلمين الأسلوب الصحيح في كتابة الجغرافية الوصفية التي تعتمد أسلوب المشاهدة والدراسة الميدانية ، وهي تركز في معظمها على الجوانب البشرية أكثر من تركيزها على الجوانب الطبيعية .

أما المحدثون فقد شاركوا القدامى في الثناء عليه ، وعرفوا له مكانته وفضله سواء كانوا من العلماء العرب آو الغرب أمثال كراتشكوفسكي المستشرق الروسي الذي عد ابن حوقل من أنصار المدرسة الجغرافية العربية الكلاسيكية في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) وأنّ ابن حوقل هو الخبير الأول من بين جغرافييّ عصره الذهبي في شؤون بلاد المغرب [2] .

---

* الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الاصطخري الفارسي طاف البلاد توفي سنة (346هـ / 957م) ، صنف كتابي الأقاليم والمسالك والممالك - البغدادي ، مرجع سابق ج1 ، ص6 .

[1] الاصطخري (ت346 / 957) ، المسالك والممالك ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، (بلا تاريخ) ، ص8 .

[2] كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ج1، ص 207- 208 .

اما اندريه ميكيل صاحب كتاب (جغرافية دار الإسلام البشرية) فيقول : " إن ابن حوقل يمثل هو والمقدسي أميز مؤلفي كتب المسالك والممالك ، بسعة الوثائق والمعرفة الجغرافية ، ويحتمل أن يكون ابن حوقل الأفضـــــــل بحرصه على تقديم أخر المعلومات الجغرافية " [1] .

أن الباحث المطلع على الإرث الحضاري للفكر الجغرافي العربي يلاحظ أن العديد من المصادر الجغرافية تأثرت بالفكر الجغرافي القديم الذي كان سائداً عند اليونان والرومان وغيرهم بصورة مباشرة من خلال اطلاع العرب على هذه الأفكار والآراء التي درستها وترجمت الكتب إلى اللغة العربية مما أصبح لدى العرب كم هائل من المعلومات الجغرافية التي تحولت عن حقيقتها بعد اقتباس النظريات والأفكار الجغرافية وهؤلاء هم الجغرافيون النظريون الذين نجد في مؤلفاتهم تأثراً كبيراً بالفكر اليوناني .

أما ابن حوقل فيتضح من خلال كتابه الموسوم (صورة الأرض) انه تأثر بالفكر اليوناني بصورة غير مباشرة بسبب قراءته الكتب والمصنفات التي قد تأثرت بالفكر اليوناني القديم ، لان الجغرافيين الوصفيين لم يتأثروا كثيراً بالأفكار والمعلومات اليونانية القديمة آنذاك .

إن المدرسة الكلاسيكية الجغرافية العربية التي أسسها أبو زيد البلخي (322هـ - 934م) في المركز الثقافي والذي تطغى عليه النزعة الفارسية ، هذه المدرسة الكلاسيكية التي تحددت بدراسة جغرافية العالم الإسلامي ثم انتقل تأثيرها إلى بغداد على يد ابن حوقل البغدادي الذي تميز برحلاته الواسعة [2] ، احد أشهر المؤلفين الجغرافيين الذين أسهموا في نشر المعارف الجغرافية وتقدمها ، وقد ترجم كتاب ابن حوقل إلى عدة لغات منها الفرنسية على يد المستشرقينِ كرامر وفييت في

---

[1] اندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص59 .

[2] كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص208 .

باريس وصدر عام 1964 [1] ، وتوجد ترجمة باللغة الانكليزية لكتاب ابن حوقل بعنوان المسالك والممالك وترجمة باللغة النمساوية لكتاب صقلية [2] .

وما نراه أن ابن حوقل كان يركز على المعلومات الجغرافية ذات القيمة العلمية عن العالم الإسلامي واصفاً المدن والقرى والعادات والتقاليد ، فكتابه حوى وصفاً مشوقاً وحيوياً لأحوال البلدان والأقاليم التي زارها اقتصادياً وإدارياً واجتماعياً فضلاً عن وصف الطبيعة لتلك البلدان وصفَ الخبيرِ المتحقق .

يعد ابن حوقل الخبير الأول بشؤون بلاد المغرب بين جغرافييّ المدرسة الجغرافية العربية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ؛ لأنّ كتابه تضمن معلوماتٍ جغرافيةً مفصلةً عن بلاد المغرب والأندلس وأحوالهما الاقتصادية والاجتماعية والفكرية [3] .

أن جهود الجغرافيين العرب في حقل الجغرافية العربية التي امتدت منذ بداية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حتى مطلع القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) تمثل قمة ما نالته الجغرافية العربية من ازدهار كونها تمثل الشخصية الأصيلة للجغرافية العربية ، فكانت معلومات كتبها تستند بالدرجة الأولى على الدراسة وأسلوب المشاهدة والاختبار الشخصي مما جعلها جديرة بالثقة والكفاءة العالية [4] وبهذا حققت نتائج مميزة منها :-

1. أبدع الجغرافيون المسلمون في حقل الجغرافية الوصفية إبداعاً موضوعياً عن الصور الجغرافية بفعل قدراتهم في استخدام الكلمة والصورة في آن واحد .
2. أن تعبير الجغرافيين المسلمين عن الصورة الجغرافية الوصفية كان نابعاً من حسهم الجغرافي الدقيق كأسلوب الدراسة الميدانية في الوقت الحاضر وهذا بفضل قدراتهم في استخدام نتاج الرحلة .

---

[1] إبراهيم احمد سعيد وممدوح شعبان ، تطور الفكر الجغرافي ، الجمعية التعاونية للطباعة ، دمشق ، 2011 . ص217 .

[2] يوسف بن أليان بن موسى سركيس ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ج 1 ، مطبعة سركيس ، مصر ، 1928 . ص90-91 .

[3] عبد الرحمن حميدة ، التراث الجغرافي ، مصدر سابق ، ص125 .

[4] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص10-11 .

3. اظهر الجغرافيون المسلمون في حقل الجغرافية الوصفية مهارة في إعداد وكتابة مؤلفاتهم الجغرافية بالوصف الأفضل والخريطة الأجود [1] .

عاشراً : وفاتـــهُ :

أما عن تاريخ وفاته فقد كانت عام (367 هـ - 977 م) او بعدها بقليل في بلده العراق وتشير الدلائل إلى وفاته في هذا العام وهو العام الذي أنجز فيه كتابه (المسالك والممالك) أو (صورة الأرض) [2] ، وقد عمل ابن حوقل على إهداء نسخة من الكتاب إلى أبي السرى الحسن بن الفضل بن أبي السرى الاصبهاني فيقول : " وقد عملتُ له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ومقدارها في الطول والعرض وأقاليم البلدان ومحل الغمر منها والعمران من جميع بلاد الإسلام بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالأعمال المجموعة إليها " [3] .

ولهذه الأدلة ارجح الرأي الذي جاء بشأن مكان وسنة وفاته وهو عام 367هـ في مدينة بغداد .

---

[1] صلاح الدين الشامي ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1980. ص213.

[2] عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج11 ، نشره رفعت رضا كحالة ، مطبعة الترقي ، دمشق (بلا تاريخ) ، ص5 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص2 .

المبحث الثاني
عصـــر ابـن حـوقـل

أولاً : عصـــــره :

واكب ابن حوقل حقبة مهمة من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تلك المدة التي نالت فيها الدولة العربية الإسلامية مكانة مرموقة في ميادين التقدم الحضاري بل أنها تعد علامة بارزة في مجال المعرفة والثقافة والعلم ، وقد ازدادت الرحلات والبحوث العلمية وتدوين المعلومات في مختلف ميادين المعرفة العلمية ومنها الجغرافية [1] .

أن هذا العمل الذي قدمه ابن حوقل حول مظاهر التقدم والحضارة من خلال رحلته الطويلة في البلاد الإسلامية ووصف طبيعة الشعوب بها والعادات والتقاليد التي يمارسونها من خلال مشاهداته الواقعية لتفاصيل حياتهم يمثل تفسيراً جغرافياً دقيقاً يعكس الاتجاهات العلمية الجديدة في الكتابات الجغرافية منذ بدء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) حيث أصبحت المعرفة الجغرافية تصب في خدمة متطلبات الدولة الإسلامية عسكرياً وإداريا واقتصاديا [2] .

وعلى بالرغم من أن البلاد الإسلامية كانت منقسمة إلى ممالك وإمارات إلا أن العلاقات التجارية والعلمية بقيت قائمة بينهم وبذلك ازدادت المعلومات الجغرافية عن جميع البلاد الإسلامية من خلال علاقة المدن الإسلامية بسبب رابطة الدين الإسلامي الذي يربط بين المناطق الإسلامية كافة [3] فضلاً عن سهولة التنقل بين المدن الإسلامية في هذا العصر فقد شجعت على السفر والاتصال بين أجزاء الدولة الإسلامية ، كما أن اتساع رقعة الدولة الإسلامية يتطلب معلومات جديدة عن تلك البلدان وشعوبها ، فلابد للحكام المسلمين أن يتعرفوا على طبيعة السكان وعلى إنتاج

---

[1] أدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري الهجري ، ج2 ، ترجمة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1957 . ص2.

[2] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص10 .

[3] فاسلي فلاديمير بارتولد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966 . ص50 .

البلاد الزراعي والصناعي وثرواتها ليتمكنوا من تقدير خراجها ، وكذلك التعرف على أسماء مدنها المهمة والطرق المؤدية إليها .

أن توطيد أركان الدولة الإسلامية في مساحة مترامية الأطراف من العالم القديم خلق ظرفاً جديداً كان لابد للجغرافية العربية أن تواكبه وأن تستفيد منه لتثبت جدارتها في ميدان الفكر العلمي [1] .

ويعد هذا العصر واحداً من أبرز العصور ؛ إذ حبب إلى الناس الهجرة والتنقل من بلادهم إلى البلاد الأخرى من اجل الاطلاع على حياتهم وجمع المعلومات واكتشاف المجهول ، وان المدة الواقعة بين النصف الأخير من القرن الثالث وفي القرن الرابع الهجريين تمثل ابرز مراحل الحركة العلمية وأنضجها في حياة المسلمين حتى وقت قريب [2] .

ولاشك في أن ازدهار الجغرافية في المنطقة العربية إنما يدل على مكانة هذا العلم في إدارة شؤون الدولة ومعرفة أحوالها وثرواتها ووجوه أموالها وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في مقدمة كتابه (صورة الأرض) بقوله : " إنه علم يتفرد به الملوك الساسة .... وأهل المروّات والسادة من جميع الطبقات " [3].

وينحو ابن حوقل منحى الأصطخري بسبب المعاصرة واطلاع كل منهما على كتابات الأخر ، وتحدث الباحثون عن تأثر هذا الكتاب (صورة الأرض) بكتاب الاصطخري مستندين في ذلك إلى وجود فقرات في كتاب ابن حوقل مأخوذة بالنص من كتاب الاصطخري ، واعترف ابن حوقل بأنه التقى بالاصطخري فطلب منه أن ينظر في كتابه ويصلحه حسب رغبته فعمل له ما أراد ، ومما لاشك فيه أن كتاب ابن حوقل قد احتوى على معلومات أولية كثيرة عن بلدان العالم الإسلامي تميز بها عن الاصطخري ، كما أن حسه الجغرافي كان أفضل من الاصطخري وفاقه كثيراً فكان أكثر دقة في تحديد المواقع الجغرافية وأكثر اختصاراً في الروايات والأحداث غير الجغرافية ، فضلاً عن التزامه في بعض تقسيماته الإقليمية بالعامل السياسي

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص10 .
[2] احمد أمين ، ظهر الإسلام ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962 . ص210 .
[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .

والإداري أكثر من التزامه بالعامل الطبيعي مما جعل أقاليمه على شكل وحدات سياسية مطابقة للواقع إلى حد ما [1] ؛ لأنه التزم بالتقسيمات الإدارية والسياسية السائدة آنذاك .

وقد ذكر تقسيماته الإقليمية لبلاد الإسلام متحدثاً عنها كلا على إنفراد ، وهي على النحو التالي :

1. ديار العرب : والتي تشمل شبه جزيرة العرب .
2. بحر فارس : يشمل أجزاء من الخليج العربي والمناطق المحيطة به.
3. ديار المغرب (بلاد المغرب العربي) : وتشمل الاندلس والمغرب والجزائر وتونس وليبيا والصحراء الكبرى .
4. مصر: وتشمل مصر وأرض البجة (الجزء الشمال الشرقي من أرض السودان).
5. الشام : وتشمل كلا من سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن .
6. بحر الروم : ويشمل الجهة الشرقية من البحر المتوسط .
7. الجزيرة : وتشمل أرض الجزيرة في العراق وجزءاً من البادية الشمالية .
8. العراق : ويشمل الجزء الواقع بين النهرين والذي يمتد من عبادان في أقصى الجنوب إلى تكريت شمالاً .
9. خوزستان : ويشمل منطقة الاحواز في الوقت الحالي .
10. فارس : ويشمل القسم الأوسط والغربي من إيران .
11. كرمان : ويشمل القسم الجنوبي الشرقي من إيران .
12. بلاد السند : ويشمل السند والهند ومكران وطوران والبدهه .
13. ارمينية واذربيجان والران : ويشمل الاجزاء الغربية من بلاد الروم .
14. الجبال : ويشمل الجزء الغربي من إيران .

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص135-136.

15. الديلم وطبرستان : ويشمل المناطق الجبلية المطلة على سهول بحر قزوين الجنوبية .
16. بحر الخزر (بحر قزوين) : ويشمل منطقة بحر الخزر أي الأجزاء المحيطة به .
17. مفازة خراسان وفارس : وتشمل منطقة صحراء شرقي إيران .
18. سجستان : ويشمل أجزاء من أفغانستان .
19. خراسان : ويشمل كلا من الجزء الشمالي الغربي من أفغانستان والأجزاء الشمالية الشرقية لإيران .
20. ما وراء النهر : ويشمل تركستان وأوزبكستان وقرغيزيا وطاجكستان ، أي الأراضي المحيطة بنهري سيحون وجيحون [1] .

وتناولت دراسة ابن حوقل كلَّ إقليم من هذه الأقاليم ، فتحدث عن معالمه الطبيعية وابرز صفاته الطبوغرافية والمناخية وموارد المياه واهم المدن وزراعتها وصناعاتها ، كما تحدث عن سكانه وعاداتهم وتقاليدهم وحكامهم مع ذكر تاريخ كل إقليم ، وهكذا قدم الكتاب نموذجاً بارزاً في الدراسات الجغرافية الاقليمية [2] والخريطة (2) توضح ذلك :-

---

[1] ابن حوقل ، صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، 1938 . ص6-7 .

[2] شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، 1979 . ص57 .

خريطة (٢) الأقاليم عند ابن حوقل

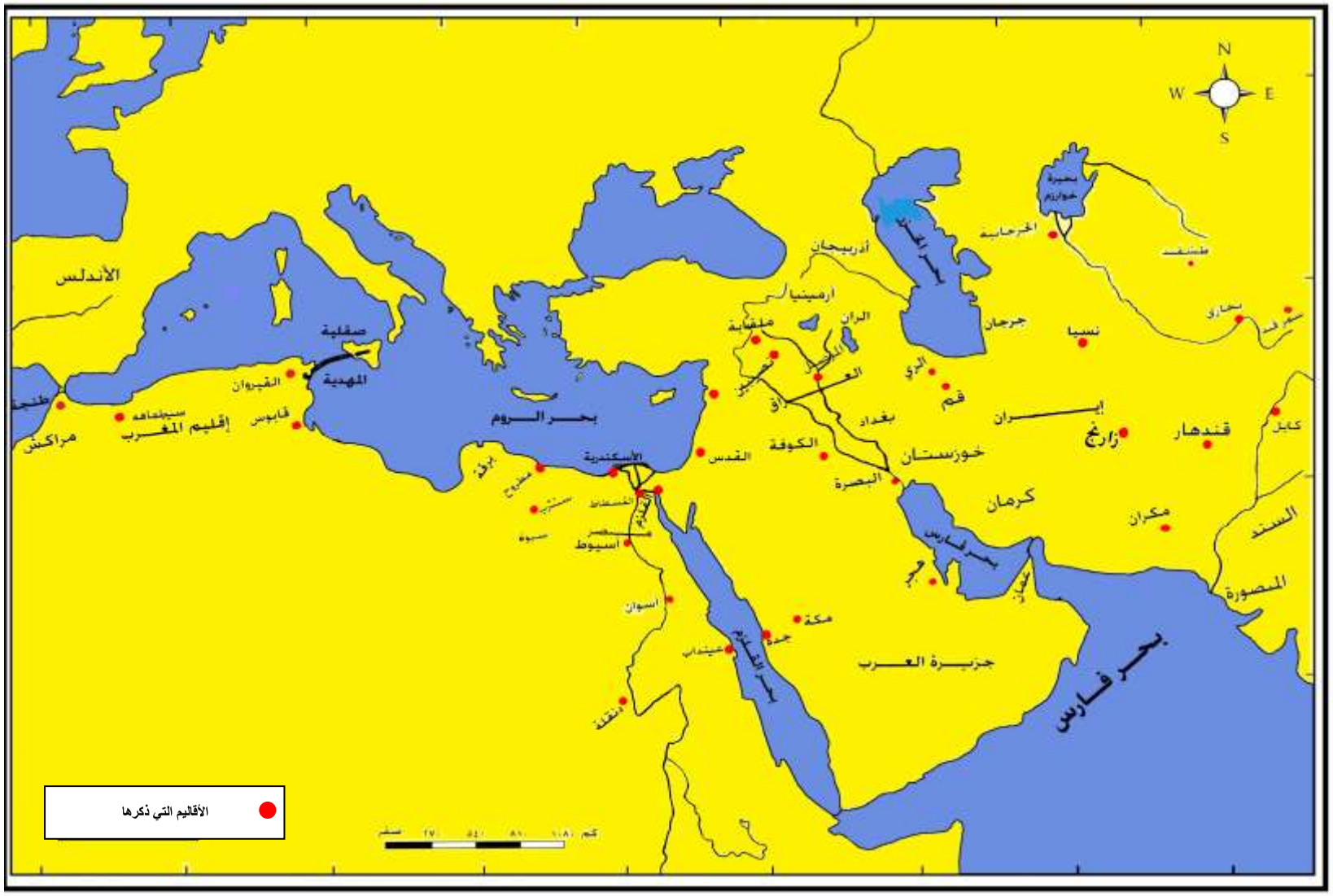

المصدر : حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط١ ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧. ص 107.; ابن حوقل، صورة الارض ، ط2 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1939. ص6 - 7

ثانياً : **ميوله السياسية** :

نشأ ابن حوقل في مدينة بغداد نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، تلك المدينة التي كانت تعج برجال العلم والمعرفة ومن بينهم ممن كانت له معرفة واسعة بالجغرافية إلى جانب الحقول الأخرى من العلم مثل التاريخ وتأليف المعجمات والأدب [1] ؛ إذ أصبحت بغداد عاصمةً للحضارة بعلومها وفنونها التي كانت مستمرة في رفع علم التراث الإسلامي ، وفي بيئته نجده يجوب العالم الإسلامي من إقليم لآخر ومن بلدة لأخرى يلتقي بالعلماء ويتصل بأفضل الشخصيات في زمان عصره سواء كانوا من الملوك أو الوزراء أو العلماء وغيرهم .

أن الميول السياسية في حياة ابن حوقل تبدو واضحة المعالم ، اذ كان يميل إلى البلاد التي يزورها ويتعاطف مع الأسر الحاكمة نتيجة لتواجده في بلادهم وبين ظهرانيهم ويصبح ناصراً لهم من اجل الحصول على أدق التفاصيل عن البلاد التي يزورها ، وبعد سفره إلى بلاد ثانية يتغير تعاطفه وميله السياسي مرة أخرى ، وبمعنى أخر كان يظهر حبه للفاطميين نظراً إلى تواجده في بلدهم ، ثم يقدم النقد الموضوعي بعد تحوله إلى بلاد أخرى ، فضلاَ عن وصفه الدقيق لبلاد مصر والأندلس ؛ إذ إِنه أبدع في وصفهما ذاكراً الجوانب التنظيمية والإدارية للحضارة الإسلامية بكلام صريح من دون تردد بسبب قصورهم في أدارة شؤون الدولة حينذاك ، على الرغم من مكوثه طويلاً ببلادهم [2] .

ويلاحظ أن هذه الميول السياسية عند ابن حوقل لا تميل إلى مذهب ديني معين على حساب الأخر لان المذاهب الدينية في تلك الفترة هي التي كانت سائدة وتقوم مقام المذاهب السياسية .

---

[1] إبراهيم شوكة ، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي ، ترجمة صالح فليح الهيتي وخلدون داود القيسي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1990. ص47.

[2] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ج1 ، ص112 .

فتمّكن كل رئيس على منطقته فصارت المغرب في يد الفاطميين ومصر في يد الأمويين وفارس في يد البويهيين وهكذا وبقي في يد الخليفة بغداد وأعمالها [1] .

ومن خلال القراءة النقدية الفاحصة في كتاب ابن حوقل لم يثبت بالدليل على أنه كان يميل إلى مذهب سياسي على حساب المذاهب الأخرى ، فهو يعبر عن رأيه الخاص فيهم بعبارات واضحة وصريحة ، ومع ذلك قدم لنا أدق الوصف ووافر المعلومات أثناء رحلته إلى العالم الإسلامي وبأسلوب علمي دقيق .

أما عن قوة أهل الأندلس وقوانين فروسيتهم فيقدم لنا جانباً سلبياً واستغرابه الشديد من نظامهم الحربي فيقول : " وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها وإن شُجعت أنفسهم ، ومرنوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرّف على الكيد والحيلة ، وما رأيت ولا رأى غيري بها إنساناً قطّ جرى على فرسٍ فارهٍ أو برذونٍ هجينٍ ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ولا بلغني عن أحدٍ منهم لخوفهم السقوط ، وما أطبقت قطّ جريدةُ عبد الرحمن بن محمد على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه " [2] .

أن المعلومات الجغرافية لابن حوقل على الرغم من شموليتها لكل بلاد المغرب (الجانب الغربي للدولة الإسلامية) إلا أنها كانت متفاوتة في مادتها بين إقليم وأخر .

---

[1] آدم متز ، مرجع سابق ، ج2 ، ص22 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص112-113 .

ثالثاً : **الحياة الاجتماعية** :

أن العادات والتقاليد التي كان عليها المجتمع الإسلامي حينذاك هي العادات والتقاليد العربية الأصيلة التي امتاز بها العرب المشارقة والمغاربة على السواء من كرم وشجاعة وصبر وحبهم للنظافة [1] ، ومن الناحية الاجتماعية فيغلب على أهل العراق عامة عادات المجتمع الإسلامي الذي يتكون من عناصر والوان عديدة أمترجت بالمصاهرة وأظهرت مجتمعاً له طبيعته ولونه الخاص ، ومن هذه العناصر العرب وهم الطبقة الحاكمة مع بعض التغيرات التي تظهر عليه بسبب تغير الظروف البيئية .

وذكر ابن حوقل عن وصف العراق وأهله قائلا : " هذا الإقليم أعظم الأقاليم منزلة واجلها صفة وأغزرها جباية وأكثرها دخلاً واجلها أهلاً وأكثرها أموالاً وأحسنها محاسن وأفخرها صنائع " [2]، لذلك ينسبون لحسن الضيافة والكرم وحبهم للخير وأهله .

أن اتساع الدولة العربية الإسلامية أصبح من الضرورة ربط جوانبها الاقتصادية والإدارية والاجتماعية مثل وظيفة نقل البريد وجباية الخراج ، وظهور عظمة هيبة العرب في جميع دول العالم ، حيث كان التجار والمسافرون ينالون حسنَ معاملةٍ وتقديراً وضيافةً [3] مما حفزتهم على الرحلات من أجل طلب العلم والبحث عن المعلومات وتسجيلها والبحث عن المجهول في بلدان العالم ، وتأكيد العامل الديني على أهمية الرحلة في طلب العلم متمثلة بفريضة الحج من مختلف البلدان إلى مكة * التي ذكرها ابن حوقل في بدء حديثه عن ديار العرب لأنها بلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم لزيارتها والتعرف على المدن

---

[1] خاشع المعاضيدي ، تاريخ الدولة العربية في الأندلس ، ط1 ، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1988 . ص221-222 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص224 .

[3] علي محسن عيسى ، أدب الرحلات عند العرب في الشرق ، بغداد ، 1978 . ص14 .

* مكة : هي البلد الأمين الذي شرفه الله تعالى بالقسم وبدعاء نبيه الخليل عليه السلام ، وقبلةً للعباد ، ومدينة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم - زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت 682هـ - 128 3 م) ، أثار البلاد واخبار العباد ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، (بلا تاريخ) . ص112 .

الإسلامية وأحوالها من خلال لقاء الحجاج والتحدث إليهم ، فضلاً عن أن الاستعداد الفطري عند العرب وحياتهم في شبة الجزيرة العربية ومعرفتهم بالجغرافية الفلكية والحساب مما أسهم بشكل كبير في تطوير الرحلات عند الجغرافيين العرب [1].

وأهمية العامل الأمني الذي كان منتشراً في جميع أجراء العالم الإسلامي مما أسهم في سهولة التنقل والرحلة بين دول العالم ، مع بسط العرب يدهم على طرق التجارة والنقل الرئيسة مما حتم عليهم ذلك ، فاخذوا يشدون الرحال ويجوبون في البلدان شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً بحيث كانوا يشعرون في أي بلد يحلون فيه كأنه بلدهم [2] .

كما تطرق ابن حوقل إلى الوظائف المهمة التي تهم المجتمع الإسلامي ، مثل العلماء والأدباء والكُتاب والتجار فضلاً عن العمل بالجوانب الإدارية فكانت العلاقات الاجتماعية والعلمية قوية بين الدول الإسلامية كافة مما أدى إلى التنقل بين المدن الإسلامية كافة وحسن العلاقة والتواصل المستمر بين أجزائها كافة وهذا بلا شك من مظاهر التقدم العلمي والحضاري في تاريخ الدولة الإسلامية [3] .

وانتشرت المراكز العلمية والمدارس في بغداد وغيرها من المدن التي كانت تزخر بالمكتبات وطلبة العلم ، وظهر العلماء في كل علم وفن ومنها الجغرافية أمثال الاصطخري والمقدسي وابن حوقل ، التي اعتمدت كتاباتهم بالدرجة الأولى على الدراسة والمشاهدة والاختبار الشخصي مما جعلها مميزة عن سابقتها [4] .

أما المرأة فكان لها الدور البارز في المجتمع إذ كانت تتمتع بمكانة مرموقة في الحياة الاجتماعية فحث الإسلام المرأة على تحصيل العلم النافع لكون التعليم

---

[1] علي محسن عيسى ، مصدر سابق ، ص14- 15 .
[2] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص11 .
[3] آدم متز ، مرجع سابق ، ج2 ، ص304 .
[4] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص11 .

عملية يتم من خلالها اكتساب المعارف والخبرات والمهارات وإيصالها إلى الأفراد بطريقة ما [1] .

رابعاً : الحياة الاقتصاديــة :

ولم ينسَ ابن حوقل عمليات البيع ورخص الأسعار في اغلب المدن العراقية خاصة نصيبين المعروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار [2] ، وبغداد التي كانت فيها الخلافة وأرخص ما فيها التمر الذي يجلب من البصرة والأرز وقصب السكر اللذان يجلبان من البطائح [3] ، ومدينة البصرة التي كانت تشتهر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز إلى سائر أقطار الأرض [4] .

ومن المناسب أن نشير إلى كتابات ابن حوقل التي تشير إلى حضارة المغرب والأندلس ، فقد مكث طويلا بقرطبة والتي ليس لها شبيه بجميع بلاد المغرب ولا بالجزيرة وكأنها أحدى جانبي بغداد وفي غربها مدينة الزهراء * وذلك أثناء ازدهار الخلافة الأموية ويذكر لنا المعلومات المفصلة عن سكانها وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية .

وعند حديثه عن أحوال الحضارة الأندلسية الزاهية وهو يصف لنا الخزانة العامة التي كانت ممتلئة وعامرة بالأموال والتي لم يكن لها مثيل فيقول : " وسمعتُ غير محصّل ثقة ممن يستبطن جبايات البلد وحاصِل عبد الرحمن بن محمد أن لديه مما أتجه له جمعهُ من الأموال إلى سنة أربعين وثلاثمائة ما لم ينقص من عشرين

---

[1] محمد عطية الإبراشي ، تاريخ علماء المسلمين وأثارهم في التربية ، ط4 ، دار النهضة ، مصر ، 1996 . ص26 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص211 .

[3] أبو الحسن بن علي بن موسى ابن سعيد المغربي (ت 685هـ / 1286م) ، كتاب الجغرافيا ، ط1 ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت ، 1970 . ص45 .

[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص238 .

* الزهراء : مدينة قرب قرطبة بالأندلس اختطها السلطان عبد الرحمن الناصر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي ، وعملها متنزهاً له ، وفيها الأسواق والقصور والمتنزهات - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص161.

ألف ألف دينار إلا اليسيرَ القليلَ دون ما في خزائنه من المتاع والحلي المصوغ وآلة المراكب وما يتحمّل به الملوك من القنية المصوغة " [1] .

خامساً : **الحياة الفكريــة** :

تعد الكتب الجغرافية العربية الإسلامية دليلاً لامعاً على إبداع العرب في هذا المجال من الحركة العلمية ، إذ أصبح العراق مركزاً يشع النور نحو الشرق والغرب الذي كان يزخر برجال العلم والمعرفة ، وعندما نتحدث عن الرحلات الجغرافية في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) تظهر إلى الأذهان أعداد من الشخصيات البارزة التي توصف بحقٍ شذرات من النور في هذا المجال ، ومن هؤلاء الكثير ممن كان يمتلك المعلومات الجغرافية المناسبة الرحالة ابن حوقل [2] . فجذب العراق الكثير من رجال العلم الذين هاجروا إليه من الحجاز والمغرب واستقروا في بغداد والبصرة والكوفة لطلب العلم [3] .

أكمل ابن حوقل حياته الأولى في طلب العلم والبحث عن الحقيقة مطلعاً على خيرت الكتب والمؤلفات ولم يستقر في بلده العراق بل زار بلدان العالم الإسلامي شرقاً وغرباً حينذاك ، وذكر لكل إقليم معلومات مفصلة في وصف الطبيعة والمدن والطرق والمسافات ، وأورد تفاصيل عن المحاصيل الزراعية والصناعة والتجارة والأنساب ، فضلاً عن المعلومات التاريخية والأدبية [4] واثر السفر والرحلات والمشاهدة وتدوين المعلومات الجغرافية عُد من جملة الرحالة العرب المسلمين في العصور الإسلامية الزاهية .

ويصف أهل العراق فيقول : " وأهله فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفسحهم فطنة في سالف الزمان والأمم الخالية وبمثله تجري أمور أمة الآخرة يقر ذلك لهم أهل الطاعة والفضائل ولا يمترى فيه أهل الدراية والحصائل " [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص112 .
[2] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص109-111 .
[3] إبراهيم شوكة ، مصدر سابق ، ص45-47 .
[4] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص374 .
[5] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص234 .

وان الدليل الحقيقي وراء معرفتهم الجغرافية وأسلوب تفكيرهم ومنطقهم الجغرافي جاءت جزءاً من وصف بناء مدينة بغداد واختيار الموقع المناسب لها ، وذلك عندما قرر المنصور بناء مدينة تليق بمكانته قرر استشارة علماء عصره ، فقد استعان بالفلكيين والمنجمين وذوي الخبرة بالمناخ وغيرهم لاختيار الموضع المناسب الذي بنيت عليه بغداد فيما بعد ، وقال الخليفة : " فالحمد لله الذي ذخرها لي وأغفل عنها كل من تقدمني ، والله لابنيها " ، وحث له ما أراد وأصبحت بغداد أم الدنيا وسيدة البلاد [1] .

وقد اجتمع ابن حوقل بالعديد من الشخصيات فنقل لنا رواياتهم وأحاديثهم في مختلف العلوم النافعة بما فيها الجغرافية والتاريخية والأدبية ، فعند حديثه عن مدينة طرسوس * يقول : " ورأيتُ غير عاقل مميّز وسيّد حصيف مُبرز يشار إليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم والفطنة والسياسة والرياسة يذكر أنه كان بها مائة ألف فارس وبعلمها وذلك عن قريب عهد من الأيام أدركتها وشاهدتها " [2] .

أن هذه الروايات التي احتوت على المعلومات والحقائق الجغرافية تكشف لنا صورة بارزة عن جوانب المعرفة الجغرافية العربية ، وقد جمع أخبار رحلاته في كتابه الذي عكس رغبته الحقيقية في الوقوف على ما احتوته البلاد الإسلامية من كنوز المعرفة واتصاله بأعلام الرجال الذين غزرت بهم الكثير من المدن الإسلامية.

---

[1] إبراهيم شوكة ، مصدر سابق ، ص47 .

* طرسوس : مدينة مشهورة بالشام بين أنطاكية وحلب مشرفة على البحر ، سميت بطرسوس بن الروم بن سام بن نوح عليه السلام ، وعندما وصل الرشيد إليها جدد عمارتها وشق نهرها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص28 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 183-184 .

أن غزارة المعلومات الجغرافية لابن حوقل عن الحضارة العربية الإسلامية من بلاد الأندلس إلى بلاد السند يعكس لنا قوة العلاقات الخارجية بين الأقاليم والمدن الإسلامية وحجم التبادل التجاري في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهو بحق يعبر عن أصالة الحضارة العربية الإسلامية .

المبحـث الثالـث

رحلة ابـن حـوقـل

أولاً : مفهوم الرحلة :

أن الحديث عن الرحلة الجغرافية يتطلب منا وقفه لتوضيح مفهوم الرحلة ومعرفة هل هناك فرع من فروع الجغرافية يطلق عليه جغرافية الرحلات ؟ .

يُعد ابن حوقل في عداد الجغرافيين الرحالة العرب المسلمين ، وكتابه (صورة الأرض) يصنف ضمن كتب جغرافية الرحلات [1] ، وأن طبيعة هذه الرحلة اقتصرت على بلدان العالم الإسلامي رغبةً في التحقق من أقوال السابقين والتعرف أكثر على تلك البلدان ، إذ ما علمنا أن علماء الفكر الجغرافي الإسلامي اتفقوا على أن هناك اتجاهين يميزان علم الجغرافيا عند المسلمين ويسلكان طريقين متوازيين جنباً إلى جنب ، وهما : اتجاه علمي دقيق ، ويمثله خير تمثيل الجغرافيا الفلكية أو الرياضية والتي يطلق عليها المسلمون علم الأطوال والعروض ، واتجاه أخر معرفي أدبي ويتمثل في علم المسالك والممالك [2] ، وجل اهتمامهما هو جوانب الجغرافيا الطبيعية والبشرية ويتناول وصف الظواهر الطبيعية (الجبال والأنهار والتربة والبحيرات ... الخ) ، بجانب وصف مظاهر الحياة البشرية (تركيب السكان والأحوال الاقتصادية والاجتماعية والحضارية وغير ذلك) . فضلاً عن حاجة الدولة الإسلامية الماسة إلى تنظيم الأمور المالية والإدارية التي كانت تتطلع إلى ضبط الأقاليم والأمصار التابعة لها من موارد وسكان وخراج وغير ذلك ، كانت السبب المهم في نشوء علم المسالك والممالك ، فقد دعت الحاجة الإدارية والمالية والتنظيمية إلى دراسة ووصف أقاليم الدولة ومواردها ومعرفة الطرق ، وموضع كل إقليم وتحديد المسافات ، هذا فضلا عن الرغبة في معرفة البلدان التي فتحها المسلمون وطريقة التعامل معهم ، وظهرت أسس مدرسة جغرافية تسير على

---

[1] اندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص110 .

[2] نفيس احمد ، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي ، ط2 ، ترجمة فتحي عثمان ، دار القلم ، الكويت ، 1978 . ص7-10 .

وفق علم المسالك والممالك إلا أنها تميزت عنها وفاقتها بعّدة أسس عن المؤلفات الجغرافية أطلق عليها الجغرافية الإقليمية الإسلامية وهذه الأسس هي :

أولاً: التخصص في وصف العالم الإسلامي وتقسيمه إلى عدد من الأقاليم ، منها أقاليم إدارية وأقاليم سياسية * وقد تباينت تلك الأقاليم لدى رواد هذه المدرسة في تقسيماتها من 20 إقليماً عند الاصطخري إلى 22 إقليماً عند ابن حوقل [1] .

ثانياً : الاهتمام بفن رسم الخرائط أو المصورات الجغرافية في كتبهم ، وُعدَّ هذا تطوراً في اتجاهات الفكر الجغرافي الإسلامي وأطلق على هذه المصورات فيما بعد أطلس الإسلام ، والتي تختلف فيما يبدو عن خرائط المدارس الخوارزمية بحسب قول الكثير من الباحثين الغربيين [2] كذلك خلوها من نماذج خرائط بطليموس لأنها تقتصر على تصوير العالم الإسلامي .

ثالثاً : الحس الجغرافي لدى روادها والرغبة بمعرفة الأمور الإدارية والمالية للدولة الإسلامية إذ لم تقتصر كتاباتهم بجمع المادة الجغرافية فحسب بل استندوا على المشاهدة الشخصية والتعرف بأنفسهم على المعالم الجغرافية ، لان معلوماتهم ومعارفهم الجغرافية لا تكتمل إلا بالوقوف على تلك المعالم ، وبهذا برز الجغرافيون الرحالة ومنهم ابن حوقل الذين اختلفوا عن الجغرافيين السابقين أمثال ابن خرداذبه صاحب أول مؤلف يحمل اسم (المسالك والممالك) ، وابن رسته مؤلف كتاب (الاعلاق النفيسة) وآخرين [3] .

---

* الإقليم مصطلح استخدم في الجغرافيا الإقليمية ، لا يعني به الإقليم المناخي الذي يضم عدداً من الدرجات من الجنوب إلى الشمال ، بل يشمل على مناطق جغرافية واسعة ذات مظهر طبيعي أو منطقة إدارية - كراتشكوفسكي ، ط2 ، مرجع سابق ، ص215 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص6-7 .

[2] محمد محمود محمدين ، التراث الجغرافي الإسلامي ، دار العلم للطباعة والنشر ، الرياض ، 1980 ، ص113-123 .

[3] عبد الرحمن حميدة ، أعلام الجغرافيين العرب ، مصدر سابق ، ص75 .

ومن الجدير بالذكر أن هناك نقطتين أساسيتين يتميز بهما ابن حوقل خلال رحلته وهي :

1. أن وصفهِ لبلدان العالم الإسلامي يضعهُ ضمن عِداد الجغرافيين الرحالة أو السياح .
2. أن اهتمامه بالجغرافية جعله من البارزين بالكتابة الجغرافية وتقديم أفضل المعلومات [1].

فمن المؤكد أنَّ هناك فروقاً جوهرية بين الجغرافي والسائح من الناحية العلمية وهذا يقودنا إلى طرح التساؤل الآتــي : **هل ابن حوقل كان جغرافيا أم سائحا ؟**

فالجغرافي من صفاته أن يبحث ويحلل ويستنتج ويحدد الموضع (المنطقة) للكشف عما فيه ويقوم بالبحث عن المعلومات ودراستها أو المشاهدة الميدانية ، ثم يحاول أن يشرح ويستنتج الظواهر الطبيعية والبشرية [2] .

أما السائح فعمله يقتصر على وصف ما يشاهد من الظواهر الجغرافية على الرغم من أن هذه الطريقة في الوصف غير متكاملة الجوانب إلا أنها مفيدة لجمع المعلومات الجغرافية ، أما الجغرافي فيكون عمله اشمل من السائح ؛ لأنَّ مهمته تتطلب استنفار حاسته الجغرافية في تعامله مع المعطيات المتوفرة لديه .

إن المعلومات التي يخرج بها الجغرافي بدون شك هي أدق بكثير من المعلومات لدى السائح لكونها تحدد سلوك الظاهرة مع توضيح الأسباب والنتائج وعلاقتهما مع بعض زمانياً ومكانياً .

فالجغرافي نجده يبحث عن المعرفة الحقيقة والمعلومات الدقيقة ويعمل جاهداً على إثباتها فتكون مهمته أكثر عمقاً في مجال دراسته من الناحية العلمية ، أما السائح فيقدم لنا معلومات مختصرة دون الاستقصاء عنها ولهذا يأتي بوصف غير متكامل الجوانب من الناحية العلمية .

---

[1] ابراهيم احمد سعيد وممدوح شعبان ، مصدر سابق ، ص216-217 .

[2] ظريف رمضان ظريف ، ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص23 .

فضلاً عن أن الرحلات الجغرافية تختلف عن الرحلات الأدبية ، إذ إنّ الرحلات الجغرافية ذات طابع علمي وروادها جغرافيون هدفهم مشاهدة وتطبيق ما درسوه أو كتبوه لنا من مادة جغرافية .

أما الرحلات الأدبية ذات الطابع السياسي أو السياح ، ففيها يعرض الرحالة في حديثه لرحلته معلومات جغرافية عابرة وهذا فرع من فروع الأدب [1] وليس فرعاً جغرافياً على الرغم من غزارة المعلومات الجغرافية التي جاءت في أخبار رحلته ، ويمكننا القول إنّ الرحالة قد لا يكون جغرافياً إلا انه يقدم لنا مادة جغرافية تصنف نتاجه ضمن مادة الجغرافية الأدبية أو الوصفية ، وبصريح العبارة يمكننا القول : **أن كل رحالة هو جغرافي ولكن ليس كل جغرافي رحالة .**

فالباحث الجغرافي أذا بدأ برحلته الجغرافية فيكون ملزماً بإظهار قدراته وحاسته الجغرافية فيما يشاهده وما يسمعه وما يدونه التزاماً بمهمته لكونه جغرافياً من الناحية النظرية والعمل بما رسمه في مخيلته ومن تلقاء ذاته في تخطيط جوانب رحلاته الجغرافية من الناحية التطبيقية .

هذا ويمكن القول إن ابن حوقل كان جغرافياً وسائحاً في الوقت نفسه ، وبالدرجة الأولى كان جغرافياً ثم سائحاً وخير دليل على ذلك قوله : " ولان الغرض من كتابي هذا تصوير الأقاليم التي لم يذكرها احدٌ علمتهُ ممّن شاهدها ، فأما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها وبعض ما أنا ذاكرهُ فقد يوجد في الأخبار متفرقاً ولا يتعذر على من أراد تقصي شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلدٍ ، وشرعتُ فيه ورسمته من قصدها لحقائقها وإيرادها على ما هي عليه من طرائقها " [2] ، فضلاً عن سعة أفقه ومعرفته الواسعة بالبلدان الإسلامية وطرق التجارة .

---

[1] شوقي ضيف ، الرحلات ، ط3 ، منشورات دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ ، ص 5- 66 .
[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص4 .

ثانياً : رحلتـــه :

بدأ ابن حوقل رحلته فخرج من بغداد (مدينة السلام) يوم الخميس لسبع خلت من شهر رمضان (سنة 331هـ / 942) حيث جاب خلالها العالم الإسلامي من أجل التحقق بنفسه من أقوال الجغرافيين السابقين والاطلاع على مناطق العالم الإسلامي والكشف عن المجهول [1] ، وتمكن من نشر الحقائق الجغرافية التي تستند إلى الملاحظة المباشرة والزيارة الميدانية معتمداً على نفسه ، كما ضمّن معلوماته الجغرافية وانطباعاته في كتابه من ذوي الخبرة وممن يثق بهم ويشهد بصدقهم .

ويبدو أن هدفه الحقيقي من رحلته الطويلة هو العمل بالتجارة وكسب الرزق ، إلا إنه أفاد في الوقت نفسه فائدة علمية كبيرة في جمع المعلومات الجغرافية [2] وتصوير الأمصار الإسلامية ووصفها وصفاً دقيقاً نابعاً عن ملاحظة علمية وجهود شخصية اخذ ذلك على عاتقه منذ نعومة أظفاره تلخصت في إخراج كتابه (صورة الأرض) فيقول : " وكان مما حضني على تأليفه وحثني على تصنيفه وجذبني إلى رسمه أني لم أزل في حال الصبوة شغوفاً بقراءة كتب المسالك متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك في السير والحقائق وتباينهم في المذاهب والطرائق وكيفية وقوع ذلك في الهمم والرسوم والمعارف والعلوم والخصوص والعموم وترعرعت فقرات الكتب الجليلة المعروفة والتواليف الشريفة الموصوفة فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً وما رأيت فيها رسماً متبعاً فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب واستنطاقي فيه وجوهاً من القول والخطاب وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر والشهوة لبلوغ الوطر بجور السلطان وكلب الزمان وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان واستئناس سلاطينه بالجور بعد العدل والطغيان وكثرة الحوائج والنوائب وتعاقب الكلف والمصائب واختلال النعم وقحط الديم " [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3

[2] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص373- 374 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .

وقد اشتهر برحلاته الواسعة في العالم الإسلامي فطاف في مصر والشام والعراق والبحرين والإحساء وفارس وأذربيجان وأرمينيا ، كما تجول في جهات من أسيا حتى بلغ إقليم السند ، ودخل البلغار ووصل إلى وسط نهر الفولكا ، وتجول في بلدان المغرب العربي والأندلس وغربي أفريقيا حتى مملكة غانا ، وزار نابولي وصقلية [1] .

وذكر انتصار الروس على البلغار والخزر فيقول : " وبُلغار مدينة صغيرة ليس لها أعمال كثيرة وكانت مشهورة لأنها كانت فرضة لهذه الممالك فاكتسحها الروس وأتوا على خَزران وسمندر * واتل في (سنة 358 هـ - 968 م) وساروا من فورهم إلى بلد الروم والأندلس وافترقوا فرقتين " [2] ، حين كان ابن حوقل بإقليم جرجان * .

ويذكر لنا في كتابه رحلاته الواسعة للبلدان التي زارها كما في الخريطة (3) :-

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص373 .

* سمندر: مدينة بأرض الخزر خلف باب الأبواب بثمان أيام ، بناها أنوشروان بن قباذ كسرى ، كانت دار مملكة الخزر ففتحها سلمان بن ربيعة انتقل عنها إلى مدينة أتل وبينهما مسيرة سبعة أيام - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص253 .

[2] ابن حوقل ،مرجع سابق ، ص15 .

* جرجان : مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان ، خرج منها جماعة من العلماء - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص119 .

خريطة (٣) مقاطع لرحلة ابن حوقل

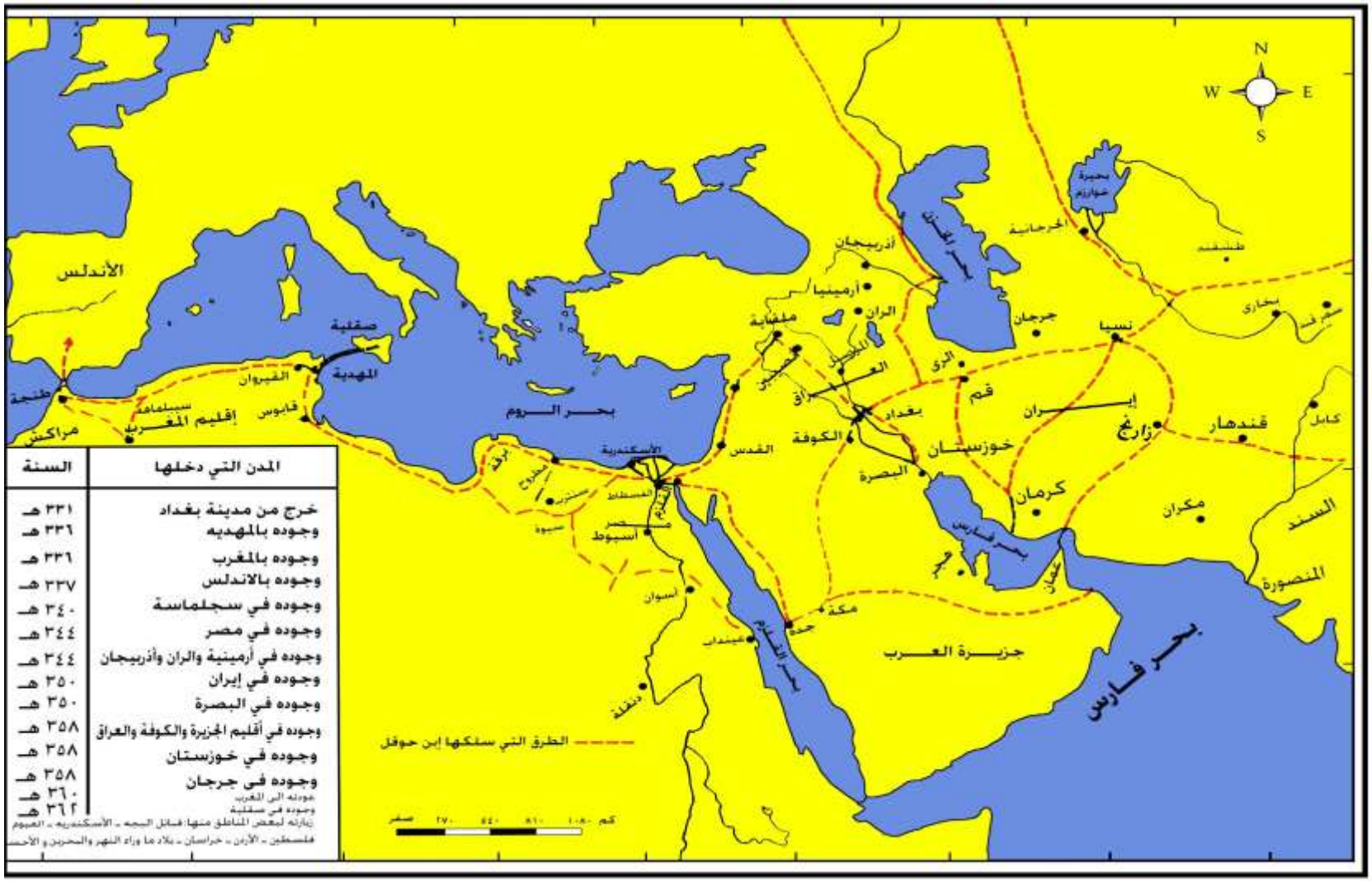

المدن التي دخلها	السنة
خرج من مدينة بغداد	٣٣١ هـ
وجوده بالمهديه	٣٣٦ هـ
وجوده بالمغرب	٣٣٦ هـ
وجوده بالاندلس	٣٣٧ هـ
وجوده في سجلماسة	٣٤٠ هـ
وجوده في مصر	٣٤٤ هـ
وجوده في أرمينية والران وأذربيجان	٣٤٤ هـ
وجوده في إيران	٣٥٠ هـ
وجوده في البصرة	٣٥٠ هـ
وجوده في أقليم الجزيرة والكوفة والعراق	٣٥٨ هـ
وجوده في خوزستان	٣٥٨ هـ
وجوده في جرجان	٣٥٨ هـ
عودته الى المغرب	٣٦٠ هـ
وجوده في صقلية	٣٦٢ هـ

زيارته لبعض المناطق منها: فاس البحيره ـ الأسكندريه ـ العيوم فلسطين ـ الأردن ـ خراسان ـ بلاد ما وراء النهر والبحرين و الأحس

المصدر: حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987 . ص ١٠٧؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٦- ٧ .

وفيما يلي ملخص لتلك الرحلة :-

1. بداية رحلته من مدينة بغداد سنة 331هـ ، حيث يقول : " فبدأت سفري هذا من مدينة السلام يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة " [1] .
2. وجوده في مدينة المهدية سنة 336هـ ، فيقول : " والمهدية مدينة صغيرة استحدثها المهدي القائم بالمغرب وسماها بهذا الاسم وهي في نحر البحر ، أدركتها سنة ست وثلاثين وملوكها كماة وجيوشها حماة وتجارها طراة " [2] .
3. دخوله إلى بلاد الأندلس سنة 337هـ ، فيقول : " فأما الأندلس فهي من نفائس جزائر البحر ومن الجلالة في القدر بما حوته واشتملت عليه بحال سآتي بأكثرها ودخلتها في أول سنة سبع وثلاثين " [3] .
4. وجوده بمدينة سجلماسة في بلاد المغرب العربي سنة 340هـ ، فيقول : " أهل سجلماسه وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة إلى ما في غيره وفيهم جمال بارع وشدة وباس وصبر على القلاء والمراس وكنت ألقيتُ محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسه سنة أربعين وثلاثمائة " [4] .
5. وجوده في أرمينيه والران وأذربيجان سنة 344هـ ، فيقول : " والذي ابتدئ به ارمينيه والران واذربيجان وقد جعلتها إقليماً واحداً لأنها مملكة إنسان واحد فيما شاهدته سائر عمري وما نقلت الأخبار به لمن تقدمني ، وأما حالها التي أدركتها عليها وكانت بها فان جباياتها وضرائبها على ملوك أطرافها تعري عن حالها وتدل على حقيقة وصفها وان كانت تزيد وتنقص في بعض الأوقات ومن أوسط ما جبيت واعدل ما رفعت لسنة أربع وأربعين وثلاثمائة " [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .
[2] المرجع نفسه ، ص71 .
[3] المرجع نفسه ، ص108 .
[4] المرجع نفسه ، ص83 .
[5] المرجع نفسه ، ص354 .

6. وجوده في مدينة البصرة سنة 350هـ ، فيقول : " وأما ارتفاعها وقتنا هذا من وجوه أموالها كلها وجباياتها من أعشارها ومصالحها وضمان البحر بلوازم المراكب فإنه زاد وكثر وغلا وغزر وحضرتُه سنة ثمان وخمسين فكان ذلك في يد أبي الفضل الشيرازي ستة ألاف الف درهم " ، ويقول أيضا : " ولقد رأيت بالبصرة منهم أبا بكر احمد بن عمر السيرافي في سنة خمسين وثلثمائـــــة وهم أهل صبر وغربة " [1] .
7. وجوده في فارس سنة 350هـ ، فيقول : " فأما أموال فارس من الوجوه التي ذكرتها فرايت أهل الخبرة سنة خمسين يومون إلى ألف ألف وخمس مائة ألف دينار وزيادة " [2] .
8. وجوده في مدينة نصيبين سنة 358هـ ، فيقول : " نصيبين وهي مدينة كبيرة في مستواة من الأرض ومخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا [*] وأعمال نصيبين أربعة أرباع ولكل ربع منها عامل وحضرت في سنة ثمان وخمسين " [3] .
9. وجوده في مدينة الموصل سنة 358هـ ، فيقول : " وأما الموصل فمدينة على غربي دجلة صحيحة التربة والهواء وشرب أهلها من مائها وفيها نهر يقطعها في وسطها ، وحضرت مدينة الموصل آخر دخلة دخلتها سنة ثمان وخمسين ط [4] .
10. عودته إلى مدينة البصرة سنة 358هـ ، فيقول : " فأما البصرة مدينة عظيمة ولم تكن في أيام العجم وإنما اختطها المسلمون أيام عمر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وحضرتها سنة ثمان وخمسين " [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص239 -290 .
[2] المرجع نفسه ، ص304 .
[*] بالوسا : أسم جبل يقرب من شمال بلدة نصيبين وهو أنزه مكان بها ، ومن شعب هذا الجبل تخرج مياه نصيبين لتنتشر إلى بساتينها ومزارعها - الإدريسي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص661 .
[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص211-214 .
[4] المرجع نفسه ، ص 214-217 .
[5] المرجع نفسه ، ص235-239 .

11. وجوده في مدينة واسط سنة 358هـ ، فيقول : " ومدينة واسط على جانبي دجلة ودجلة تشقها بنصفين والنصفان متقابلان بينهما جسر، وهي خصبة كثيرة الشجر والنخل والزرع واصح هواء من البصرة ، وحضرتها وقد جرى ذكر عقدها على أبى الفضل في سنة ثمان وخمسين " [1] .
12. وجوده في مدينة الكوفة سنة 358هـ ، فيقول : " ومدينة الكوفة قريبة الأوصاف من البصرة وهواؤها اصح وماؤها أعذب وهي على الفرات ، والكوفة في هذا الوقت وأعمالها وسوادها مضافة إلى مدينة السلام ومرفوعة أعمالها إلى دواوينها وحضرت ارتفاع السواد سنة ثمان وخمسين وقد ضمنه أيضاً أبو الفضل وسائر طساسيج * العراق دون زيادة الصنجة وحق بيت المال فكان ثلاثين ألف ألف درهم " [2] .
13. وجوده في إقليم خوزستان سنة 358هـ ، فيقول : " وخوزستان أجمعها في مستواة من الأرض سهلة ذات مياه جارية ... ، وأما ارتفاعها فاني حضرتها سنة ثمان وخمسين وهي بيد أبي الفضل الشيرازي بثلاثين ألف ألف درهم دون زيادة الصنجة وحق بيت المال " [3].
14. وجوده في جزيرة صقلية سنة 362هـ ، فيقول : " وكنت جالسا بصقلية يوم الجمعة لعشر خلون من رجب سنة اثنتين وستين على دُكان المعروف بابن الأنطاكي في سماط بُلرم ، وكان الجو مطيرا في الساعة السادسة " [4].

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص239 .
* طساسيج : لفظة فارسية مفردها طسوج وهي أقل وأخص من الكورة ، وكأنه جزء من أجزاء الكورة ، وأكثر ما تستعمل هذه اللفظة في سواد العراق - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص38 .
[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص240 .
[3] المرجع نفسه ، ص252-259 .
[4] المرجع نفسه ، ص128 .

15. وجوده في جرجان سنة 358هـ ، فيقول : " وللخـزر ناحية ولها مدينة تسمى سمنـدر ، وسالت عنها في جـرجان سنة ثمان وخمسين لـقـريب عـهـد بها " [1] .
16. وجوده بإقليم الشام ما بين سنة 349/337هـ فيقول : " والذي أدركتُ عليه عقود فلسطين والأردن أيام أبي المسك كافور رحمه الله والمتّلي لها من قبلهِ في سني سبع وثمان وتسع وثلثين إلى سني ثمان وتسع وأربعين ، وكذلك جند الشام " [2] .

وسار ابن حوقل بخطى ثابتة أثناء رحلته واخذ يسلك البحار والأنهار والصحاري دون البحث عن ساحلٍ أو محط استقرار ، لأن هدفه كان المضي نحو المعرفة المتواصلة ولم يستقر طويلا في إقليم معين إلا من اجل العمل بالتجارة أو الرغبة في دراسة البلاد وأحوالها .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 393.
[2] المرجع نفسه ، ص172 .

المبحث الأول

مناهج البحث العلمي

على الرغم من التقدم الهائل الذي تشهده ميادين العلوم كافة لا تزال الحقائق المكتشفة بالعلم تقاس بالنسبة إلى بعضها البعض ، وكلما كشف العلم عن ظاهرة ما فإنها توصف وتصنف ضمن نطاق السببية حيث نجد أن المنسوب والمنسوب إليه هما من منجزات العلم واكتشافاته ، ويميز الإنسان العلم بالنسبة للجهل والارتفاع بالنسبة إلى مستوى ثابت يقع بينهما والحركة بالنسبة إلى الثبات ، وأن ما يعد مناسباً ومفيداً في بيئة ما قد يكون غير مناسب أو عامل دخيل في بيئة أخرى [1] .

تعد الجغرافية علماً يحوي على كم هائل من الأفكار والمعلومات عن العلاقة ما بين الإنسان والبيئة الطبيعية ومحاولة الإنسان جاهداً أن يشمل بالدراسة والبحث جميع عالمه من أجل تطوير وتنمية العقل البشري وشحن التفكير من خلال إيضاح الاختلاف المكاني والزماني للظواهر الموجودة في الإقليم سواءً أكانت تلك الظواهر بشرية ام طبيعية ولتطوير الأداة والإرادة لدى الجغرافي من أجل فهم أفضل لحقيقة تطوير الأفكار والقوانين الجغرافية [2] .

وأن المراجعة الرئيسة لمناهج البحث الجغرافي التي شهدها العصر الحديث كانت من أكثر الاتجاهات تأثيراً في هذه المراجعة متمثلة في إعادة وضع الجغرافية في مكانها الصحيح من المسار الرئيس للعلم الحديث ، وأن الاهتمام الكبير الذي عُنيت به نظرية المعرفة من قبل الجغرافيين أدى إلى أن التصورات والأفكار

---

[1] محمد عباس حسان ، مصدر سابق ، ص131 .

[2] Stoddert D. R. Geography Ideology and Social Concern , First Published . Oxford , England , 1981. P8 .

ستكون تحت متناول دراساتهم ومناقشاتهم باستمرار مع التطورات التي تحدث في مناهج فروع المعرفة القريبة من الجغرافية [1] .

وفي حقل الجغرافية تنظم المعرفة في أنظمة بطريقتين متباينتين حيث تصنف ظواهر التباين المكاني إلى مجموعات رئيسة تحتوي كل منها على ظواهر مترابطة وهكذا تطور فروعاً متخصصة لجميع حقول الجغرافية وتتمثل هذه في الجغرافية الطبيعية والجغرافية الاقتصادية والتي تقسم بدورها إلى الجغرافية الزراعية والجغرافية الصناعية وجغرافية التجارة وغيرها ، وأن المعرفة الجغرافية وفروعها المتخصصة فبالإمكان أن تنظم بكلتا وجهتي النظر المختلفتين التي تتطلبها دراسة التباين المكاني للعالم ، وهو ما يطلق على الأولى المنهج النظامي والثانية بالمنهج الإقليمي وسوف نتناولهما كما يأتـــي :-

1. **المنهج الإقليمي** : Regional Approach

الجغرافية علم يختص بالمكان والأرض هي مجالها والأمكنة هي نظرتها ، والمعرفة الجغرافية هي معرفة شاملة مرئية للظاهرات المشاهدة على الأرض كونها موطن الحياة وهذه النظرة الشمولية للأمكنة يمكن فهمها من خلال زاوية الزمن .

أن النظرة الشاملة لأجزاء سطح الأرض تبرز الجغرافية الإقليمية Regional Geography والتي من ميزاتها أنها تدرس جزءاً معيناً من سطح الأرض بتفاصيل أكثر وأنها تعنى بالعلاقات بين جميع الظاهرات الموجودة في منطقة ما [2] .

أما الإقليم فهو جزء محدد من سطح الأرض له خصائصه ومميزاته وهو يكتسب هذه الخصائص من عدة عوامل جغرافية (الطبيعية والبشرية) تعمل

---

[1] ليلى محمد عثمان ، ثورة التصورات الجغرافية وتطور مناهج البحث ، المجلة الجغرافية العربية ، مصر ، العدد/26 ، 1994 . ص26 .

[2] محمد عباس حسان ، مصدر سابق ، ص134 .

مشتركة على تكوين الشخصية الإقليمية للمكان فتجعله يتباين عن بقية الأمكنة أو تكون له صفات تميزه عن غيره من الأماكن على أقل تقدير ، فكانت الإقليمية نتيجة عدد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تتفاعل في منطقة ما وينتج عن تفاعلها ظاهرة خاصة بهذه المنطقة [1] .

ويعرف Stamp الإقليم بأنه مساحة من سطح الأرض تتكون بخصائص جغرافية خاصة تميز هذا الإقليم عن غيره من المناطق المجاورة له وقد يتوافق المظهر الجغرافي في العالم للأقاليم بحسب العوامل الجغرافية التي تشكل شخصيتها العامة ، فعلى سبيل المثال هناك أقاليم تضاريسية (سهلية ، هضبية ، جبلية) تميز تبعاً لطبيعة مظهرها التضاريسي العام وأقاليم مناخية (استوائية ، معتدلة ، باردة) تميز تبعاً لظروفها المناخية [2] .

والمنهج الإقليمي في الجغرافية هو دراسة الظواهر الجغرافية لإقليم محدد من سطح الأرض وعرض الخصائص الجغرافية التي تشكل سطح الإقليم وتفسير توزيعها الجغرافي والعوامل التي أظهرت للإقليم شخصية منفردة جعلته يختلف عن سواه من الأقاليم الأخرى ، وهنا تتجلى مشكلة تحديد أبعاد الإقليم وطبيعة العوامل المشاركة في إظهار شخصيته المنفردة وطبيعة أشكال الأقاليم الجغرافية ومدى تعددها من إقليم إلى آخر ، والإقليم قد يكون جزء من دولة أو قد يشغل مساحة شاسعة من الأرض تشمل عدة دول وبهذا فان مساحة الأقاليم من إقليم إلى آخر ، إلا أن ابرز ما يميز كل منها هو تشابه ظواهر كل إقليم من خلال بعض الخصائص التي تكون شخصيته العامة [3] ، والجغرافية الإقليمية هي الجغرافية بكل بساطة

---

[1] محمد محمود الصياد ، الجغرافية الإقليمية منهج وتطبيق ، دار النهضة ، بيروت ، 1970 . ص9 .

[2] Stamp , D. L. Introduction to regional science , U.S.A , 1975 . p.5

[3] حسن سيد احمد ابو العينين ، جغرافية العالم الإقليمية ، ط5 ، ج1 ، دار النهضة العربي ، بيروت ، 1979 . ص15 .

وأما الجغرافية النظامية فهي صورة مقاربة للجغرافية الكلية التي هي الجغرافية الإقليمية كما يوضح في الشكل (1) .

وفي الحقيقة تبقى المشكلة المنهجية القائمة للجغرافية هي مشكلة المركز المتبادل ما بين التحليل القطاعي اوالتركيب حتى ضمن الدراسة الإقليمية [1] .

كما تبرز أهمية الجغرافية الإقليمية في الدراسات الجغرافية من خلال المقارنة بين إقليم وآخر وبكل بساطة يجب عدم غض النظر عن ظواهر التباين التي تظهر في العالم ، هذه النظرة تكشف هذا الاختلاف لذا يظهر دور الجغرافيين الإقليميين لدراسة وتوضيح هذه الاختلافات بشكل أكثر تفصيلاً إضافة إلى أن الاتجاهات الحديثة في الجغرافية الإقليمية تهدف إلى دراسة موضوع معين وبناء البحث حوله [2] .

---

[1] بيار جورج ، مناهج البحث الجغرافية ، ط1 ، ترجمة ميثال أبي الفضل ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1986 . ص94 .

[2] شاكر خصباك وعلي محمد المياح ، الفكر الجغرافي تطوره وطرق بحثه ، مطبعة جامعة بغداد ، 1983 . ص277 .

الشكل (1)

يبين علم الجغرافية بوصفه علما متكاملاً يقطع خلال العلوم المنهجية أكثر مما يعبر عند حافتها

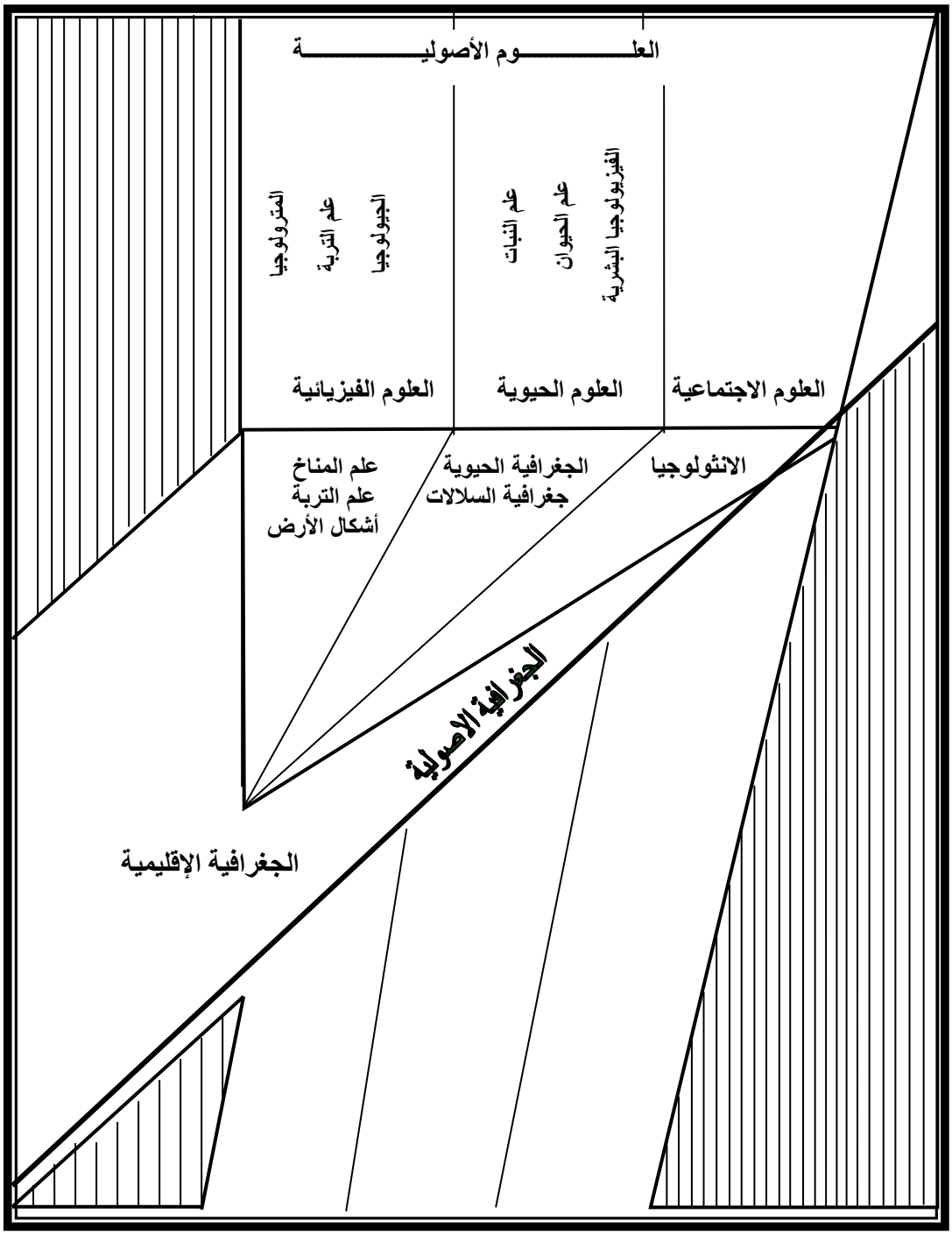

المصدر : جريفث تيلور ، الجغرافية في القرن العشرين ، ج1 ، ترجمة د. محمد السيد غلاب ، د. محمد مرسي أبو الليل ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1974 . ص63 .

ومن المناسب أن نشير إلى كتابات أحد الجغرافيين العرب التي تناولت هذا المنهج في تلك الفترة ومنهم ابن حوقل الذي يمثل أحد أبرز كُتاب المنهج الإقليمي عند جغرافيي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) والذي وصلت ألينا أخباره وجهوده العلمية ، إذ يعد كتابه (صورة الأرض) من المؤلفات الإقليمية تبعاً لكم ونوع المعلومات المهمة التي وردت فيه والتي تتضمن كلاً من الجانب الطبيعي والبشري للجغرافية ويتجلى عمل هذا المؤلف فهو يذكر لنا المجال الطبيعي فيصف كل إقليم من أقاليمه ويبين ذلك بقوله : " صورت الشام وأجناده وجباله ومياهه من الأنهار والبحار وما على ساحله من المدن " [1] .

وفيما يخص الجانب الطبيعي ، يذكر عدة جوانب تتعلق في هذا المجال فعن الأنهار في كل إقليم يذكر الأنهار الرئيسة والفرعية من منابعها والمناطق التي تمر فيها وحتى مصبها في البحار كما يذكر الظواهر الطبيعية التي تحدث فيها وما يجاورها من المدن والمظاهر الجغرافية المتنوعة فيذكر طبيعة السطح والبحيرات وغير ذلك ، كما يوضح الظروف المناخية وأثرها على الإنسان في مزاولة نشاطه ، فضلاً عن تطرقه إلى أهم الثروات الطبيعية في كل إقليم كالمعادن فيقول : " وبالأندلس الزئبق والحديد والرصاص " [2] .

أما الجانب البشري فيذكر ابن حوقل إن الأنشطة التي يشتهر بها كل إقليم من هذه الأقاليم ، ومن أهم الأنشطة البشرية التي ذكرها هي الزراعة فيتحدث عن اتساع النشاط الزراعي في واحات مصر إذ يقول : " وأكثر محاصيلهم بعد القمح والشعير والأرز ولديهم من الأعناب الكثير " [3] ويتحدث عن النشاط الحيواني

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص6 .

[2] المرجع نفسه ، ص114 .

[3] المرجع نفسه ، ص84 .

فيشير إلى الحيوانات التي تشتهر بها منطقة حضرموت بشبه الجزيرة العربية فيقول: " وليس بها نخل ولا زرع وإنما أكثر أموالهم الإبل والمعز والدواب [1] .

كما يتحدث عن المدن في كل إقليم وبشكل مفصل فيتحدث عن الأندلس فيقول : " وجميع هذه المدن المذكورة مشهورة بالغلّات والتجارات والكروم والعمارات والأسواق والبيوع والحمّامات والخانات والمساجد الحسنة " [2] ويصف لنا جميع الجوانب الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية فيها .

2.**المنهج النظامي** : Systematic Approach

تعنى الدراسات النظامية بدراسة الشخصية المتباينة لسطح الأرض من خلال عامل جغرافي واحد ، ويبدو أن هذه الدراسات كانت تهتم في الماضي بدراسة العوامل الطبيعية كظواهر المناخ والتربة وغيرها ، إلا أنها لم تستمر على هذا النمط فقد نادى العديد من الجغرافيين إلى أهمية دراسة هذه الظواهر بطريقة نظامية كما هي عليه في الجغرافية الإقليمية ، وبهذا أنصب اهتمام النظاميين بدراسة الظواهر البارزة من سطح الأرض وإيجاد خصائصها ومواقع انتشارها ولذا فهي تهتم بالأفكار العامة التي من الممكن أن تطبق على مجمل الظواهر ، فالباحث الجغرافي يقوم بدراسة ظواهر من جنس معين كالمدن والأرياف ويبحث عن صفات موقعها المميزة وعلى هذه الطريقة يحاول دراسة أنماط الاستثمار الصناعي .

إن الباحث الجغرافي في دراسته هذه الصور يفحص الظواهر والأشياء على طبيعتها على سطح الأرض ويسعى من أجل الوصول إلى النتائج ويقترح قوانين تبين توزيعها الجغرافي ، وهو في جميع دراساته النظامية سواء أكانت

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص38 .

[2] المرجع نفسه ، ص116 .

لعنصر واحد أم لمجموعة عناصر يركز على نوع واحد من الظواهر ومن البديهي أن تؤدي هذه الدراسة إلى تكوين مفاهيم نوعية تتعلق بكل عنصر من عناصرها بحيث تؤدي في نهاية المطاف إلى نظام منطقي ، وللجغرافية النظامية علاقة حميمة مع العلوم النظامية بحيث أن لكل فرع من فروعها ما يقابله من فروع تلك العلوم فالجغرافية تقطع العلوم النظامية من وسطها [1] .

ولابد أن نشير إلى كتابات أحد الجغرافيين العرب التي تناولت هذا المنهج في تلك الفترة ومنهم البتاني* الذي أغنى الجغرافية بالعديد من جهوده العلمية وكتب عن خطوط الطول ودوائر العرض تبعاً للأقاليم السبعة للأرض وغير ذلك من المواضيع الفلكية ، كما أنه لم يتبع طريقة العالم الخوارزمي في تقسيمه العالم إلى سبعة أقاليم وإنما سلك طريقة بطليموس في تقسيمه للعالم المعروف حينذاك إلى ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوروبا وعمل كذلك كتاب الزيج وهو جداول لخطوط الطول ودوائر العرض معتمداً في ذلك على ارصاداته الفلكية وأبحاثه العلمية والتي تمثل عمل فريد في علم الجغرافية و فضلاً عن ذلك فانه عمد لإسناد الحقائق العلمية إلى التحقق فقد اخضع الحقائق العلمية المعروفة لديه إلى بعض الاختبارات مستخلصا منها استنتاجاته الخاصة وتدوينها [2] .

ويعد البتاني من أشهر علماء الفلك عند العرب ، ويتحدث في كتابه (الزيج الصبئي) عن مواضيع في الجغرافية الطبيعية وخاصة المواضيع الفلكية ويمكن وضع هذا الكتاب ضمن المنهج النظامي للجغرافية ، ويتناول كتابه الجانب الفلكي بالدرجة الأولى إذ ضم جوانب فلكية متنوعة كارتفاع الشمس وقت نصف النهار وتقسيم دائرة الفلك ومقدار ميل فلك البروج وغيرها .

---

[1] شاكر خصباك وعلي محمد المياح ، مصدر سابق ، ص222 .

* البتاني : بتان هي ناحية بحران في سوريا - المنجد ، مرجع سابق ، ج2 ، ص117 .

[2] إبراهيم شوكة ، مصدر سابق ، ص92 .

وكان الأساس الذي اعتمد البتاني في وضع كتابه هو ممارسته للرصد الفلكي كما اعتمد على مؤلفات من سبقه في هذا المجال كالخوارزمي ، واستند منهجه على المقارنة وبالتحديد ما بين أعماله التي كانت على مستوى عالٍ من الدقة بفضل اعتماده على الآلات الفلكية التي كانت متوفرة لديه في ذلك الوقت وبين أعمال من سبقه من العلماء أمثال بطليموس ، كما عمل جاهداً على تصحيح الكثير من الأخطار الفلكية التي وقع فيها من سبقه من العلماء لذا أشتهر بوضع جداول فلكية كانت على مستوى كبير من الدقة والأهمية وباعتراف علماء الفلك المحدثين أمثال العالم سارتون Sarton الذي عده أعظم عالم فلكي في عصره [1] .

وقد درس البتاني سر عظمة الله عز وجل والعلاقة القائمة ما بين السماوات والأرض فكان الرجل المؤمن الذي لم يأخذ به الهوى والتكبر بل نذر علمه لمعرفة الله تبارك وتعالى وسر خلقه في الكون [2] .

---

[1] علي الدفاع ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981 . ص368 .

[2] البتاني أبي عبد الله محمد بن جابر ، الزيج الصابئي ، صححه كرلو نالينو ، طبع بمدينة رومية ، 1899 . ص6 .

المبحث الثاني

طرائق البحث العلمي

العلم هو بمثابة الجسم المترابط للمعرفة المنظمة المنهجية المبنية على الحقائق والتي يتم التوصل إليها بالمناهج الموثوق بها ويتم التعبير عنها بالقياسات على قدر المستطاع والطريقة العلمية لا تتم إلا مع وجود العقل المفكر والمقصود بالعقل هنا ملكة التفكير التي منحها الله عزَّ وجلَّ للإنسان وفضله عن بقية المخلوقات ، والعقل البشري من أفضل الطاقات التي مكنت الإنسان وساعدته على التمييز بين الأشياء وإدراك خصائصها واستنتاج فوائدها وعلى هذا الأساس فالهدف من التربية هو مساعدة الفرد وأعداده للتفكير الصحيح والقدرة على النظر والتأمل لكي يستطيع أن يحكم على الأشياء حكما صادقاً وعادلاً يمكنه من أن يفهم البيئة المحيطة به والاستفادة من تجاربه وتجارب الآخرين وهذه نقطة جوهرية تستشعر الإنسان المسلم وتحثه على الانفتاح على غيره من الأمم لعدم وجود تناقض بين الدين وأسلوب التفكير العلمي [1] .

أن أعظم حدث في تاريخ العلم هو اكتشاف العرب للمنهج العلمي فعرفوا العناصر الأساسية لهذا المنهج وهي الاستقراء والتجربة والملاحظة وزودوا الأجيال اللاحقة أصول البحث العلمي والطريقة العلمية التي ثبت أنها أعظم ما وهبه العرب للفكر الحديث ، فالحضارة العربية كانت متشبعة بروح المنهج العلمي الذي سارت على طريقه في بحوث علمائها وفلاسفتها ، فالمنهج العلمي هو من وضع العرب ومبتكراتهم وشذرة من شذرات الأصالة العربية الإسلامية وعن طريق العرب انتقل هذا المنهج إلى أوروبا وعرفه العالم [2]

---

[1] محمد عباس حسان ، مصدر سابق ، ص210 .

[2] محمد عبد الرحمن مرحبا ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1988 . ص37 .

هذا وقد ترك العرب تراثاً غزيراً كان من نتائجه حضارة عريقة يقتدي بها صمدت طويلاً أمام عوامل الانحلال والانقسام ولم يكن ذلك ممكناً لولا مشاقّ البحث العلمي التي عاشها العلماء والباحثون العرب الذين اتبعوا طرائق علمية فريدة في تفاصيلها وجزيئاتها في البحث وسيتناول الباحث فيما يأتي الطرائق العلمية التي أتبعها العلماء العرب المسلمين في البحث الجغرافي وهي :

أولاً: **الطريقة الاستقرائية :** Inductive Method

الاستقراء هو الانتقال من الخاص إلى العام إذ هو استدلال يبدأ بعدد من القضايا الجزئية التي تختص ببعض الوقائع لتنتهي إلى قضية كلية تختص بكل الوقائع من جنس معين ، أي بمعنى أخر استخراج القاعدة العامة من مفردات الوقائع [1] .

وبناء عليه فان خطوات المنهج الاستقرائي تبدأ بملاحظة عناصر الظاهرة على الطبيعة لمعرفة خصائصها وطبيعتها وكيفية حدوثها ، ثم يحلل العلاقة القائمة بين العناصر الموجودة بين مكوناتها من أجل تكوين صورة عامة عن أشكال الروابط والتفاعلات وأنواعها والذي يدعى بالفرضية المبكرة ، وفي كثير من الأحيان لا تتكرر الظاهرة كما يرغب الدارس لهذه الظاهرة أو تلك لان هذا خارج عن رغبته وطاقته لان حدوثها مرتبط بعوامل طبيعية و بشرية ، ورغم ذلك يضطر الدارس لملاحظة الظاهرة أكثر من مرة من أجل التأكد من صحة مشاهداته وفرضياته المبكرة وهنا يجب خلق ظروف مشابهة للظروف الأولية التي أظهرت تلك الظاهرة [2] ويسمى هذا النوع من الملاحظة بالتجربة التي هي بمثابة ملاحظة علمية تكتمل بعد تحكم الدارس على الظاهرة واضعاً العديد من التعديلات بظروف

---

[1] جلال محمد عبد الحميد ، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 . ص35.

[2] محمد عباس حسن ، مصدر سابق ، ص116-117 .

مصطنعة إلا إنها لا تختلف كثيراً عن ظروفها الأصلية كدراسة العلاقة بين درجة انحدار السطح وسرعة المياه وعمليتي التعرية والترسيب في الأنهار من خلال عمل نموذج لمجرى النهر على شكل حوض مائي زجاجي وعن طريق دراسة هذه التجربة يستطيع الباحث أن يدرك العلاقة بين عناصر الظاهرة وتسمى بالفرضية التي تصور هذه العلاقة بين عناصر الظاهرة وتفسرها [1] والشكل (2) يوضح خطوات الطريقة الاستقرائية لتكوين نظرية علمية :-

الشكل (2)

يوضح الطريقة الاستقرائية لتكوين نظرية علمية

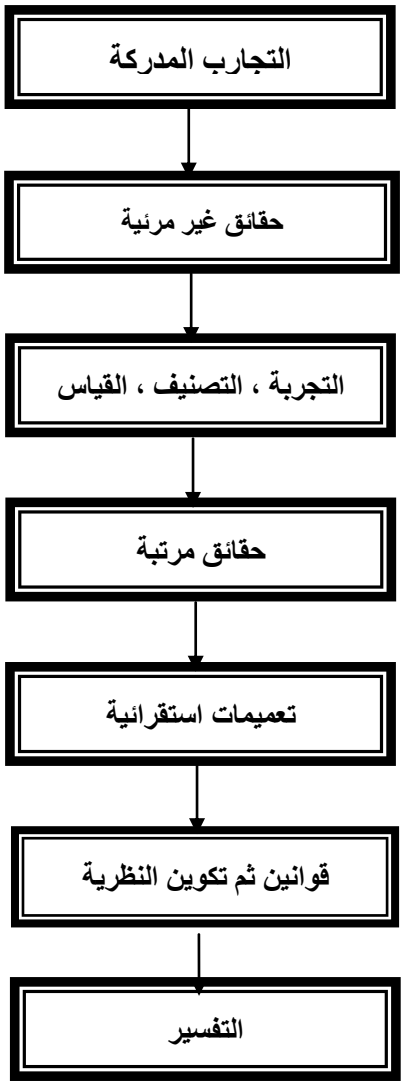

المصدر : عبد العزيز عبد اللطيف آل الشيخ ، مشاكل تكوين النظرية العلمية ، مجلة الدارة ، ع1 ، الرياض ، 1981 . ص 44 .

[1] محمد علي عمر الفرا ، علم الجغرافية ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، 1980 . ص15 .

لذا فأن الاستقصاء يبدأ من الإحساسات والوقائع ويربط العناصر بالأفكار والآراء المهمة ويسير إلى المبادئ العامة التي يستنبط منها وقائع جديدة لذا فإن الاستقراء يقود الشخص من الواقع المرئي إلى واقع جديد ، والاستقراء على أنواع هي :-

1. **الاستقراء الشكلي** : وهو التعبير عن صفة عامة مشتركة لجميع أفراد نوع ما أو جميع أنواع جنس بذاته .
2. **الاستقراء الفطري** : وهو التعميم يبادر إليه الإنسان في حياته العادية وبدون شك أن التعميمات السريعة غالبا ما تزيد الخطأ عند الإنسان .
3. **الاستقراء العلمي** : وهو الدراسة العلمية المنظمة وبهذا يتميز عن الاستقراء الفطري [1] .

كما يقسم الاستقراء عند البعض إلى نوعين هما :

أ. **الاستقراء التام** : وهو الحالات المتشابهة من قبل الباحث إذا ما وصل إلى دراسة كل الأجزاء المتشابهة ومنها إلى النتيجة العامة .

ب. **الاستقراء الناقص** (غير التام) : وهو استقراء أجزاء معينة من الأعداد وتعميمها على الكل فاختيار الباحث جزءاً عشوائياً ويطابق نتائجه على الكل ، كاختيار تربة من أرض زراعية ونفحصها ثم نعطي نتيجة الأرض [2] .

---

[1] محمد فتحي الشنيطي ، المنطق ومناهج البحث ، ط1 ، دار الطلبة العرب ، بيروت ، 1969 . ص121-124 .

[2] وجيه محجوب ، طرائق البحث العلمي ومناهجه ، جامعة الموصل ، 1988 . ص36 .

ومن خلال ما سبق يمكن تحديد أبرز الأسس أو القواعد التي يستند عليها الاستقراء بما يأتي :

1. التشابه : ويقصد هنا تشابه الظواهر المتماثلة بالصيغ المتقدمة وتبنى على معرفة تركيب الأشياء والظواهر .
2. الثبات : يعني العلاقات بين الظواهر والأحداث والتي يعبر عنها بصيغ متعددة كالصيغ القانونية والرياضية .
3. السببية : أي العوامل التي تسبق الظاهرة أو الحدث وتعد ضرورة ملحة وكافية لوقوع الحدث أو الظاهرة .
4. الاحتمالية : في الحالات المتشابكة تتداخل عوامل كثيرة يصعب تحديدها بشكل كامل لذا يتعذر صياغة عباراتها تقنياً ولكن يتم التوصل إليها بصيغة احتمالية تتسم بدرجة من الاحتمالية ويمكن إسناد الاحتمالية بزيادة العوامل الساندة كالطرق الإحصائية [1] .

لقد قام الجغرافيون العرب المسلمون بتطوير العديد من الأفكار والنظريات والمفاهيم الجغرافية المعروفة آنذاك وتحويلها إلى حقائق علمية وكانت أساليبهم البحثية تعتمد على طريقة الاستقراء مؤكدين أنّ التجربة هي العامل الأساسّي في بناء المعرفة فقد حرصوا على البحث والتمحيص متخذين من رحلاتهم أساساً يستند عليه وبذلك فقد حصلوا على أدق الملاحظات من أجل جمع البيانات والمعلومات التفصيلية مما يثبت أن الرحلة تمثل عين الجغرافية المبصرة ووسيلة لإثراء المعرفة مما يفسر تأثيرهم بالجغرافيين من بعدهم لثقتهم العالية بتلك المعلومات التي أغنونا بها عن العالم المعمور آنذاك ، فضلاً عن إتباعهم التحليل القائم على أسلوب المناقشة والتحليل والموازنة والاستنتاجات بما يقرب كثيراً عما يتبع في البحث

---

[1] محمود حياوي حماش ، الاستقراء ومناهج البحث العلمي ، مجلة المجمع العلمي ، المجلد43 ، ج1 ، بغداد ، 1996 . ص191 -192 .

العلمي حديثاً ، ويظهر ذلك واضحاً في كتابات جغرافيي المدرسة الكلاسيكية العربية الذين خير من يمثلها - الاصطخري وابن حوقل والمقدسي - بإتباعهم الأسلوب والمنهج الذي سار عليه أبو زيد البلخي ، فقد ركز هؤلاء في دراستهم على المشاهدة والرحلة والاختبار والاستماع ممن يثقون بهم ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال الاطلاع على مؤلفاتهم ، إذ يقوم كتاب ابن حوقل منهجياً على ثلاثة أُسس رئيسة وهي المشاهدة والوصف ثم تحري الدقة وأخيراً الاستماع إلى الأخبار والروايات [1] .

فضلاً عن ذلك كله فقد أستند هؤلاء على كتب من سبقهم مع إتباعهم القواعد العلمية في وضع تلك المؤلفات وبما لا يختلف كثيراً عن المناهج المتبعة في الوقت الحالي ، إذ يختار ابن حوقل مثلاً من الآراء ما أتفق عليه العلماء وما لم يسمع به ولم يقرأ عنه يقصده بمعنى أخر يقوم بالمشاهدة الميدانية المباشرة والسفر إلى الأصقاع المختلفة من البلدان .

وخير دليل على أمانتهم العلمية عند الأخذ من المصادر قول المقدسي : " اجتهدنا في أن لا نذكر شيئاً قد سطروه ولا نشرح أمراً قد أوردوه إلا عند الضرورة لكي لا نبخس حقوقهم ولا نسرق من تصنيفهم مع أنه لا يعرف فضل كتابنا هذا إلا من نظر في كتبهم أو دوخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة ، ثم أني لا أبريء نفسي من الزلل ولا كتابي من الخلل " [2] .

ويستخدم ابن حوقل أسلوب المناقشة والمقارنة ويشير إلى أثر المناخ في الإنسان فيحدثنا عن السكان وألوانهم سواء في جنوب أو شمال خط الاستواء فيقول :

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3-4 .

[2] المقدسي ، مرجع سابق ، ص6 .

" فما كان في حد الشمال من هذين القسمين فأهله بيض ، وما كان مما يلي الجنوب من هذين القسمين فأهله سود " [1] .

ويبتعد أصحاب هذه المدرسة عن تصديق كل ما يقال من دون الرجوع إلى العقل وتمحيص الكلام الذي يقال كما أنهم ابتعدوا عن الخرافة وما يقال عنها إذ يقول : " وبها دابّة تدعى العُذار بلغني أنّها تطلب الإنسان فتقع عليه فإن أصابت من ذلك الدابّة جرحا تدوّد جوف الإنسان فانشقّ، ويحكى عن الغيلان بها من الأعجوبة ما لا أستحسن حكايته " [2] .

ويتبع ابن حوقل أسلوب المقارنة خلال حديثة عن نهر النيل إذ يقول : " هو نهر كبير عند امتداده أكبر من نهري دجلة والفرات إذا اجتمعا وماؤه اشد عذوبة وحلاوة وبياضا من سائر انهار الإسلام " [3] أما الاصطخري فيعمل مقارنة بين الأقاليم والمظاهر الطبيعية كالتربة والمناخ كما فعل ابن حوقل والمقدسي فيقول عن مدينة سامراء : " وهواؤها وثمارها أصح من مدينة بغداد " [4] .

ويتحدث ابن حوقل عن حلوان فيقول : " وحلوان مدينة ليس بالعراق بعد البصرة والكوفة وواسط أعمر منها ولا أكثر خصباً وجلّ ثمارها التين وهى بقرب الجبل وليس للعراق مدينة تقرب من الجبل غيرها وربّما سقط بها الثلج فأمّا أعلى جبلها فالثلج يسقط بها دائما " [5] . فانه يستقري ويرجح العلاقة ما بين خصوبة تربة المنطقة وكثرة الزراعة فيها وبين الظروف المناخية السائدة فيها والمساعدة على قيام النشاط الزراعي ويؤكد اثر التضاريس على العامل المناخي ودليله في ذلك سقوط الثلج على المنطقة الجبلية وخاصة قمم الجبال .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص10 .

[2] المرجع نفسه ، ص39 .

[3] المرجع نفسه ، ص148 .

[4] الاصطخري ، مرجع سابق ، ص86 .

[5] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص246 .

ثانياً: **الطريقة الاستنباطية** : Deductive Method

الاستنباط هو انتقال الفكر من موضوع إلى أخر ينتج عنه ، ويعرف منطقياً بأنه استنتاج قضية ما من قضية أو عدة قضايا أخرى معلومة وذلك بطريقة عقلية دون الحاجة إلى تجربة أو المقارنة بالواقع ، كما موضح في الشكل (3) :-

الشكل (3)

يوضح الطريقة الاستنباطية لتكوين نظرية علمية

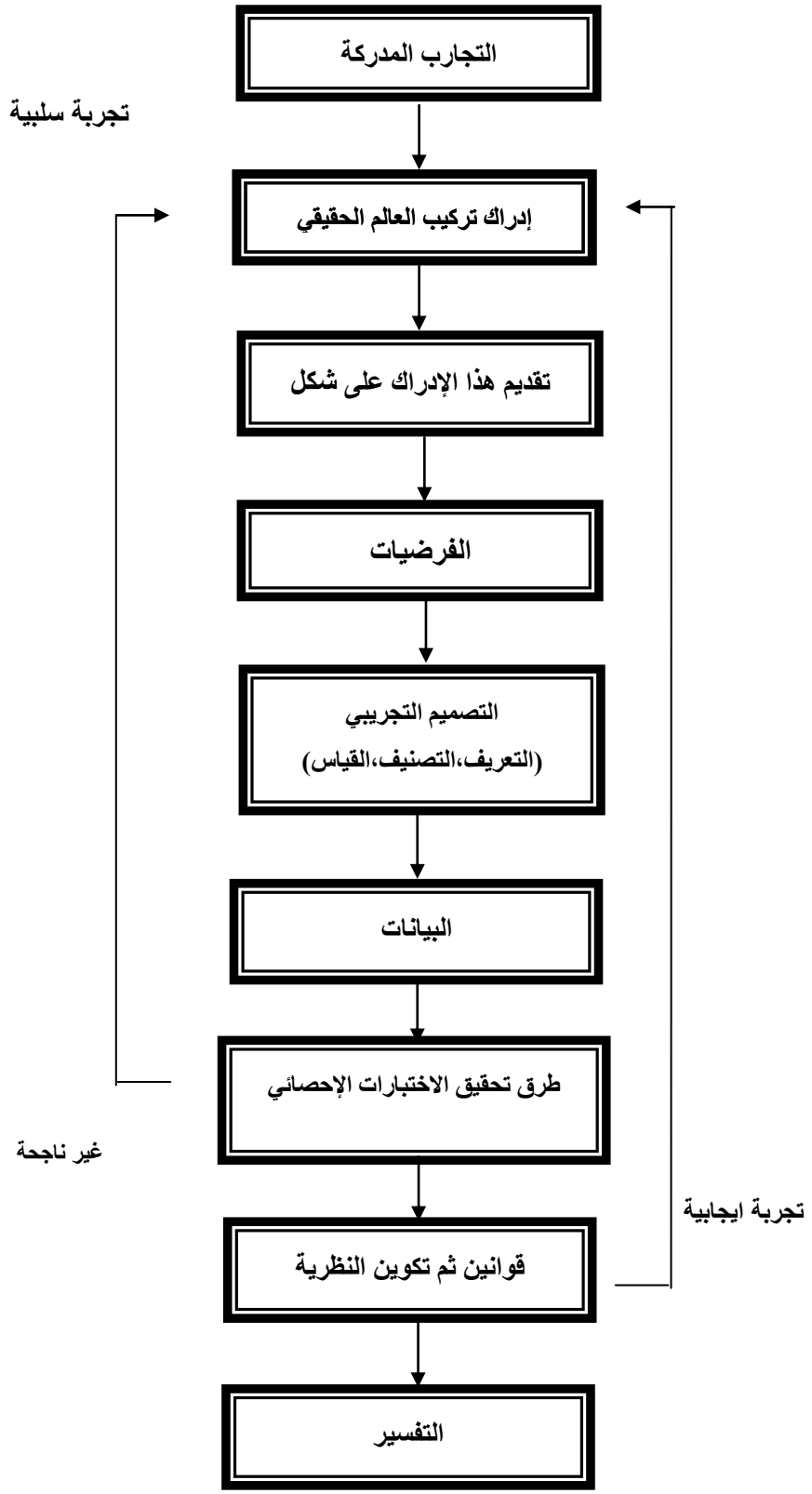

المصدر : عبد العزيز عبد اللطيف ال الشيخ ، مشاكل تكوين النظرية العلمية ، مجلة الدارة ، العدد1 ، السنة 6 ، الرياض ، 1981 . ص 44 .

أن استخدام هذه الطريقة في البحث العلمي كانت متبعة بشكل واسع من قبل اليونان لان بحوثهم كانت تعتمد على الاستنباط العقلي البعيد عن الملاحظة والمشاهدة المباشرة ، ويوضح جلال عبد الحميد ذلك بقوله : " انه إذا كانت العلوم الطبيعية عند اليونان دراسات فلسفية تقوم على منهج عقلي استنباطي ، فقد تحولت على أيدي العرب غلى دراسات علمية تستند غلى منهج تجريبي استقرائي ويأتي إدراك هذا المنهج بعد التأمل وفرض الفروض وإجراء التجارب واستنباط النتائج ، وهذه الطريقة التي يتم التوصل من خلالها إلى الحقيقة " [1] .

وقد كان نصيب هذه الطريقة من استخدام العرب المسلمين محدوداً إلا في بعض المعلومات التي تخص الجانب الفلكي وأن السبب في ذلك يعود إلى عدم توفر آلات وأجهزة الرصد التي يتسنى من خلالها التأكد من أحكامهم في هذا الجانب .

وخير دليل على ذلك ما وضعه مطهر بن طاهر المقدسي في كتاب " البدء والتاريخ " الذي يصفه البعض بأنه رزمة متنوعة من المعلومات ، ولم يقف هذا المؤلف عند المصادر العربية بل نقل عن عدد من الرواة غير العرب كالهنود وغيرهم ، ويبدو أن هذا المؤلف تأثر بالمدرسة الكلاسيكية للجغرافيين العرب [2] .

وبالنسبة لعلماء القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) ومنهم إخوان الصفا فقد اعتمدوا في وضع مؤلفاتهم التي تناولت المواضيع الجغرافية على مجمل طرائق البحث التي اتبعت في تلك الفترة ولا تزال تتبع كالاستنباط والاستقراء والقياس ونتيجة للنهضة العلمية الشاملة والتوجه العلمي الصرف والذي اتجه نحو التجربة والقياس والملاحظة فقد كان اعتمادهم على الاستنباط العقلي فيما كتبوه محدوداً ، هذا النص الذي جاء في مقدمة الرسالة الخاصة بالجغرافية الرياضية وهـو دليـل قاطع يشيـر إلى إتباع العلماء العرب المنهج العلمـي القائـم على السبـب

---

[1] محمد عباس حسن ، مصدر سابق ، ص250 .

[2] مطهر بن طاهر المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج2 ، نشره كلمان هوار ، باريس ، 1911 . ص8 .

والنتيجة والابتعاد على الآراء القديمة التي لا تستند على برهان علمي دقيق ، إذ قالوا : " أنه لا يوجد شيء من ظاهر الأرض من جميع جهاتها هو أسفل الأرض كما يتوهم العديد من الناس ممن ليس له دراية في علم الهيئة ، لأنهم يتوهمون بان سطح الأرض من الجانب المقابل لموقعنا هو أسفل الأرض وأن الهواء المحيط بذلك الجانب هو أيضا أسفل من الأرض ..، وأن الأمر بخلاف ما توهموا إلا أن هذا شيء يتصوره الإنسان منذ الصغر بالتوهم بغير رؤية ولا دليل ، فإن دُربَ الإنسان في علم الهيئة يتضح له الأمر بخلاف ما توهم قبل ذلك أن أسفل الأرض بالحقيقة هو نقطة وهمية في عمق الأرض على نصف قطرها وهو الذي يدعى مركز العالم وهو عمق باطنها مما يلي مركزها من أي جانب من الأرض " [1] وهذا جواب علمي وبأسلوب يستند على البرهان وبعيد عن التهيؤ والوهم ويؤكد كروية الأرض وان مركزها هو نصف قطرها ومن جميع الجهات وهذه حقيقة توصل إليها العرب منذ ذلك الوقت .

ثالثاً :الطريقة القياسية : The Syllogism Method

القياس هو عملية استدلال تتكون من ثلاث قضايا حتمية اثنتان منها هي مقدمات القياس والثالثة هي النتيجة [2] ، فان الباحث الذي لا يتمكن من أدراك العلاقة بين الأشياء مباشرةً يقوم باستخدام عدة أفكار ثانوية لتوضح تلك العلاقة أي أنها عملية استدلال غير مباشرة لأنه يبدأ بأكثر من مقدمة بينما الاستدلال المباشر يبدأ بمقدمة واحدة ، ولان العلاقة الوثيقة بين حدوده لا يمكن تصورها بشكل مباشر بل يتطلب إلى حدود اقرب يستعان بها لتكوين العلاقة ، وهذا ما يحدث بالنسبة للأفكار فقد لا يستطيع الإنسان أحيانا إدراك العلاقة بين فكرتين فيعمل على إيجاد

---

[1] إخوان الصفا , رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا , ج2 , دار صادر ، بيروت ، 1957. ص161

.

[2] Cohen. Morris .K. An introduction to logic and scientific method , London, 1966 .

فكرة ثانوية لكي يربط بين فكرتي الذهب والتمدد الحراري يجد مثلا إلى فكرة جديدة مثل (المعدن) فأقول أن (كل معدن يتمدد بفعل الحرارة) وأن (كل ذهب معدن) فاستدل من خلال ذلك على أن (كل ذهب يتمدد بالحرارة) ويسمى هذا النوع من الاستدلال غير المباشر بالقياسي [1] .

وأتبع العلماء العرب في مؤلفاتهم الجغرافية كافة الطرق العلمية والتي تقترب كثيراً عما يستخدم في الوقت الحاضر في هذا الجانب من العلم ، ومن العلماء الذين اتبعوا طريقة القياس : البتاني والمقدسي وابن حوقل من أجل الوصول إلى الحقائق العلمية في كتاباتهم ، يقول العالم نلينو موضحاً طرق البحث العلمي في المسائل الفلكية : " احتاج العرب وقت نهضتهم العلمية إلى ما يهديهم إلى طرق البحث المستقصي في المسائل الفلكية ويبين لهم إثبات أصولها بالقياس والبرهان " [2] .

كما يتضح المنهج القياسي عند المقدسي أثناء حديثه عن إقليم كرمان بقوله: " هذا إقليم يشاكل فارس في أوصاف ويشابه البصرة في أسباب ويقارب خراسان في أنواع لأنه قد تاخم البحر واجتمع فيه البرد والحرّ " فهو يبين أسباب التشابه بينه وبين بعض الأقاليم كالبصرة وخراسان من حيث ارتفاع درجات الحرارة في الأول وعلى العكس في الثاني بسبب تأثير البحر من جهة والارتفاع والتضاريس من جهة أخرى فيقول : " وله سهول وجبال " [3] .

ويتحدث ابن حوقل عن بلده العراق وأهمية موقعه بين البلدان فيقول عنه : " أعظم أقاليم الأرض منزلةً وأجلها صفةً وأغزرها جبايةً وأكثرها دخلاً وأجملها

---

[1] عزمي سلام ، الاستدلال الصوري ، ج1 ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، 1971 . ص14-15.

[2] محمد عباس حسن ، مصدر سابق ، ص252 .

[3] المقدسي ، مرجع سابق ، ص459 .

أهلاً وأكثرها أموالاً وأحسنها محاسن وأفخرها صنائع " [1] وهو كما يبدو إتباع القياس المنطقي للمقارنة بين الأقاليم وحسب الأفضلية .

وعندما يتحدث المسعودي عن موقع العراق والإقليم الرابع من العالم حينذاك فيقول : " وهذا الإقليم وسط الأقاليم السبعة وأعدلها وأفضلها بلد العراق وسطه فهو شرف الأرض وصفوتها وأعدلها غذاء وأصفاه هواء متوسط بين إفراط الحر والبرد " [2] وهذا ما توصل إليه العلم الحديث بأن العراق يتوسط العالم القديم على وجه التقريب إذ حدد موقع العراق بأنه جزء من طريق الدائرة الكبيرة والعراق يقع على أقصر الطرق التي تربط ما بين المشرق والمغرب [3] .

وأتبع ابن حوقل أسلوب القياس لإثبات بعض المعلومات والآراء والتأكد من صحتها وهذا دليل على حماسه منذ شبابه واندفاعه الشديد لرصد العديد من الظواهر الجغرافية ، فضلاً عن إطلاعه على كتابات من سبقه من العرب أو غير العرب ؛ فان رحلته في البلدان مكنته من الاتصال بشخصيات علمية تتباين أصول التفكير وقواعده فيها مما حمسه إلى المقارنة بين هذه القواعد والمفاضلة بينها واختيار الأصلح فنمت عنده ملكة النقد واتسعت نظرته إلى الناس والحوادث ففهمها وعللها لذا كانت كتاباته قائمة على القياس والمشاهدة والاختبار .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص234 .

[2] المسعودي ، التنبيه والإشراف ، عبد الله إسماعيل الصادق ، المكتبة التاريخية ، القاهرة ، 1938، ص33 .

[3] صلاح ياركه ، الخصائص العلمية للبحث الجغرافي في التراث العربي الإسلامي ، بحث منشور ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، بغداد ، 2001 . ص21 .

المبحث الأول

مصادر فكره الجغرافي

يتناول الباحث في هذا المبحث مناقشة الموضوعات الجغرافية التي جاء بها ابن حوقل أو طورها وزاد عليها والتي تعد أهم ملامح فكره الجغرافي .

أبرز ملامح فكره الجغرافي :

1. أن أهم ما تميز به ابن حوقل هو عطاؤه الشمولي ووصفه الدقيق لحياة الأمم والأقاليم التي قام بدراستها ، الأمر الذي جعل من كتاباته وخاصةً كتاب " صورة الأرض " أهم وثيقة اعتمدها رواد الفكر الجغرافي وهذا ما يفسر ذيوع صيته .
2. انه سلك وفق الإطار الذي وضعه بنفسه في حديثه عن العالم الإسلامي إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً وكورةً كورةً دون أن ينسى التأكيد على التقسيم التبويبي للأقاليم الاثنين والعشرين التي قسمت عليها ديار الإسلام والتي تندرج ضمن الأقطار الرئيسة وفقاً لمخططه التنظيمي [1].
3. يتضح من خلال تتبع المادة الجغرافية الواسعة للدولة العربية الإسلامية ، التزام ابن حوقل بمميزات الرحلة الجغرافية وهما : المعالجة الجغرافية ثم الانطباعات والمواقف التي تأتي عن طريق الملاحظة والمشاهدة والوقوف على تلك الأمور شخصياً وبشرح جغرافي متميز .
4. التزامه العلمي الجغرافي بما أخذ على عاتقه في المقدمة بتناول جوانب معرفية جغرافية معبراً عنها قائلاً : " هذا كتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك ، وذكر الأقاليم والبلدان على مر الدهور والأزمان ، وطبائع أهلها وخواص البلاد في نفسها ، وذكر جبايتها وخراجها ومستغلاتها ، وذكر الأنهار الكبار واتصالها بشطوط البحار وما على سواحل البحار من المدن

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص5 .

والأمصار ومسافة ما بين البلدان للسفارة والتجار مع ما يضاف إلى ذلك من الحكايات والأخبار ، والنوادر والآثار " [1]

5. خلو كتاب ابن حوقل من الخوارق والعجائب التي لم تتسرّب إلى كتابه وتعد رحلاته مصدراً نفيساً لجغرافية بلاد المسلمين في القرن الرابع الهجري ولاسيما فيما يتصل بالتصوير الطوبوغرافي لمظاهر السطح .
6. تقديم المعلومات الاقتصادية الهامة والدقيقة كقضايا الخراج والجباية والصدقات ، ويعود السبب في ذلك الاهتمام بأنه جاء وليد اتجاه ابن حوقل الاقتصادي باعتباره تاجراً رحّالة .
7. تعد رحلة ابن حوقل إلى جزيرة صقلية نموذجاً طريفاً لرحلاته الجغرافية وإذا أردنا أن نقول شيئاً عن ابن حوقل وكتابه ورحلاته ، نستطيع القول إنّه بصفة عامة وبصرف النظر عن موقفه المتحامل من أهل صقلية والأندلس فإنه يعد دون شك من أبرز الجغرافيين الرحالة فكتابه حوى وصفاً شيقاً وحيوياً لأحوال البلدان والأقاليم التي زارها ووصفها وصف الخبير المتحقق [2] .

مصادر نتاجه الجغرافي

نعني بمصادر ابن حوقل الموارد التي استقى منها معلوماته الجغرافية والموضوعات والتي أوردها في وضع مصنفيهِ (صورة الأرض) و (كتاب صقلية) فلكل باحث مصادره الخاصة التي يعتمد عليها في كتاباته ، ولاسيما ابن حوقل الذي ضمن في مؤلفاته المعلومات الجغرافية والتاريخية الوافرة عن بلدان العالم الإسلامي المتنوعة المجالات كما تبدو في كتاباته .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص1 .

[2] علي محسن عيسى مال الله ، أدب الرحلات عند العرب في الشرق ، بغداد ، 1978 . ص 43.

أن القسم الأكبر من معلوماته الجغرافية العامة وردت في كتابه (صورة الأرض) بشكل غزير ، أما المصادر التي اعتمد عليها فيمكن تقسيمها إلى فئتين :

1. المصادر الأولية - الترحال والمشاهدة المباشرة (الدراسة الميدانية)

دَوّن ابن حوقل معلومات غاية في الأهمية عن البلدان الإسلامية ومعالمها الحضارية عن طريق جولاته الطويلة فيها ومشاهداته الدقيقة لها ، ومن خلال هذه المعلومات التي استقاها بصورة مباشرة فقد تكونت لديه فكرة واضحة عن أقاليمها في تلك الفترة ، ولعل خير دليل لوصفه المعتمد على المشاهدة ما ذكره عن بلاده العراق فيقول: " هذا الإقليم أعظم أقاليم الأرض منزلة وأجلها صفة وأغزرها جباية وأكثرها دخلاً وأجملها أهلاً وأكثرها أموالاً وأحسنها محاسن وأفخرها صنائعَ " [1].
والعراق بلاد مشهورة ومنبع العلم والعلماء لطيف الماء عجيب الهواء [2] ، أن هذا الوصف يندرج ضمن كتب الجغرافية الإقليمية للبلدان التي زارها خلال رحلته الطويلة .

ومن الجوانب التي شاهدها ابن حوقل معتمداً على نفسه الصكوك المالية في بلاد المغرب فيقول : " ولقد رأيت صكاً كُتبَ بدينٍ على محمد بن أبي سعدون التاجر باوذغشت * " وهو من أهل سجلماسة وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار ، ويتحدث أيضا فيقول : " وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبهاً ولا نظيراً ، ولقد حكيتها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت ولم يزل الأمير المعتز أيام ولايته وهو يجتبيها من قوافل خارجة إلى بلد السودان وعشرٍ وخراجٍ وقوانين قديمةٍ " [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص234 .

[2] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء المقدسي (ت 380هـ - 990) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1980 . ص 114 ; القزويني ، مرجع سابق ، ج1، ص419 .

* اوذغشت : مدينة بين جبلين في قلب البر جنوبي مدينة سجلماسة ، بها أسواق جليلة وهي مصر من الأمصار - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص277- 278 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص61-99 .

وهنا يقدم لنا صورة رائعة بعد وصفه الصكوك بالمغرب ، إذ عمل مقارنة بين دول الشرق والغرب في العالم الإسلامي وعن طبيعة الأمور المالية والتعاملات بين التُجار في عمليات البيع والشراء .

ومن خلال تنقل ابن حوقل وترحاله بين البلدان والمدن الإسلامية نقل لنا بعض الأخبار والمعلومات والحقائق والغرائب التي شاهدها بنفسه وخلال زيارته الإسكندرية المدينة المصرية المشهورة ينقل لنا قصة سمكة العروس فيقول : " أن بالإسكندرية سمكة تعرف بالعروس حَسنة المنظر نَقشةً لذيذة الطعم إذا أكلها الإنسان رأى في منامه كأنه رؤى ورأيتها وأكلتها أنا وجماعة من ذوي التحصيل فشهدوا بكذب هذه الحكاية " فهو يعد شاهد عيان ، فنلاحظ انه لم ينقل القصة عن الآخرين فحسب وإنما شاهدها بنفسه وجرّبها [1] .

وقد ذكر معلومات عن الأمور الدينية من كثرة المساجد في صقلية فيقول : " وسألت عن ذلك فأخبرتُ أنّ القوم لشدّة انتفاخ رؤوسهم كان يحبّ كلُّ واحدٍ منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وحاشيته ، وكأن رغبتهم في بناء المساجد أن يقال مسجد الفقيه بن الفقيه وعندهم شدة الرياء والسمعة وشهادة الزور مع جهلٍ [2] .

ويذكر ابن حوقل أثناء زيارته إقليم مصر واطلاعه على مشاهير مدنها وأحوالها وأعمالها انه شاهد سور مدينة الفيوم الذي يشمل جميع أعمالها ويحيط بسائر مدنها وبقاعها فيقول : " والفيوم ناحية كانت في قديم الأيام وسالف الزمان عليها سور يشتمل على جميع أعمالها ويحيط بسائر مدنها وبقاعها ورأيتُ أكثره من جانب البرية بينّةٌ أبراجه وقد غلب على أكثرها الرمل " ، كما انه تجول بمدينة

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص156-157 .

[2] المرجع نفسه ، ص120-121 .

الإسكندرية المشهورة وشاهد منارتها العجيبة (منارة الإسكندرية) *وهذا الوصف الدقيق للمدن يندرج ضمن جغرافية المدن والعمران .

ويحدثنا ابن حوقل عن مدينة قزوين * فيقول : " قزوين مدينة عليها حصن وفي داخل المدينة جامعها وهي منهل الديلم وكانت في بعض أيام بني العباس ثغراً يغزون الديلم منه ، وليس لقزوين ماء جارٍ إلا مقدار شُربهم ويجري هذا الماء في مسجد الجامع في قناةٍ وهو ماء وبئٌ ولهم أشجار وكروم وزروع كلّها عِذيٌ تزكو حتى تُحمل من عندهم" [1].*

ويذكر لنا أيضا بعض عادات وتقاليد أهلها فيقول : " وكان لها أهلٌ شراةٌ لا يغُبهّم الزوار والطُراةُ ، وفيهم خير بالطبع واصطناع له ومنهم أبو القاسم علي بن جعفر بن حسان المتكلم على مذاهب البصريين وكان من كبار أهل الفلسفة المعدودين بالحفظ وتركتهُ في جُملة حاشية أبي جعفر العُتبي وشمله ويتصرف في أعمال البريد بما وراء النهر " [2] .

كما تضمنت مشاهداته جوانب عديدة منها الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة في الأقاليم الإسلامية مع التفرد بخصائص كل إقليم أطلع عليه وألم بخصائصه كاملةَ ، ومن خلال هذه المعلومات التي أوردها بذاته وبطريقة مباشرة خلال تنقله بين المدن الإسلامية خرج لنا بظواهر جديدة وصور تعكس تاريخ القرن الرابع الهجري الزاهر ، ويمكن القول بحق أنها تألف مجموعة من الصور الدقيقة عن المظاهر الجغرافية وجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية المعرفة لدى بلدان العالم الإسلامي آنذاك .

---

* منارة الإسكندرية : من عجائب المباني بأرض مصر منارة الإسكندرية، وهي مبنية بحجارة مهندمة مضببة بالرصاص - جلال عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت :911 / 1505م) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1967 . ص89 .

* قزوين : مدينة مشهورة عليها حصن أول من استحدثها سابور ذو الأكتاف بينها وبين الري سبعة وعشرون فرسخا والى ابهر اثنا عشر فرسخا- ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 342 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 369 .

[2] المرجع نفسه ، ص 369 .

وبذلك قدم لنا معارف جديدة ومعلومات تختلف عن ما ذكره السابقون والمعاصرون له من الجغرافيين في كتبهم التي تتناول الموضوع نفسه ويتضح جهده هذا فيقول : " ولانّ الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحدٌ علمتُه ممّن شاهدها ، فأمّا ذكر مدنها وحالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها وبعض ما أناُ ذاكرُهُ فقد يوجد في الأخبار متفرّقاً ولا يتعذّر على من أراد تقصيّ شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلدٍ وإن كانت المتعصّبة للبلدان والقبائل جاريةً على خلاف ما توخّيتُه ، وشرعتُ فيه ورسمتُه من قصدها لحقائقها وإيرادها على ما هي عليه " [1].

وقد تمكن ابن حوقل من الاطلاع على مصادر المعلومات والوصول إليها أينما كانت معتمداً على خبرته الشخصية وقدرت الجغرافية ، وهذا ما لاحظناه أثناء رحلته إلى مصر والبصرة وفارس واطلاعه على الكتب والوثائق فيها والتي تخص عمليات البيع والشراء والخراج وغير ذلك .

كما تمكن ابن حوقل من توظيف نتائج رحلاته الواسعة زهاء ثلاثين عام مستفيدا من المشاهدة مرة ومن التحري والاطلاع مرة أخرى في وصفه الظواهر الجغرافية (الطبيعية والبشرية) وتعيين مواقعها بصورة لا تختلف عما عليه ألان في أحدث الدراسات المعاصرة عن طريق أسفاره ، وعن طريق قدرته الجغرافية ، معتمداً على أهم أساليب جمع المعلومات وهو أسلوب الدراسة الميدانية لجمع المعلومات الجغرافية والذي توصل من خلالها إلى إثبات مجموعة من الحقائق الجغرافية والعلمية التي انفرد بها .

ونجح ابن حوقل بوضع الأسس الصحيحة في مجال التأليف والتصنيف الجغرافي والذي ميزته عن سابقيه ومعاصريه من الكتاب والرحالة والجغرافيين ، وبالتالي مكنته من وضع مصنفاته الجغرافية بطريقة جديدة وبأسلوب علمي دقيق يحسب له [2] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص4 .

[2] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص60 .

فقد اثبت ابن حوقل مجموعة الحقائق بالدليل والبرهان والتي تدخل ضمن فروع الجغرافية البشرية وخير مثال على ذلك وصف ابن حوقل خطورة طرق النقل والمواصلات الواقعة بين أفغانستان وإيران والتي تمر بالصحراء فيقول : " وهذه المفازة (الصحراء) * من أكثر المفاوز لصوصاً وفساداً وذلك أنها ليست في حيّز إقليم بِعينهِ فيرعاها أهل ذلك الإقليم بالحفظ وتُحيطُ بها أيدٍ كثيرةٌ من السلاطين شتى فبعض هذه المفازة من عمل خراسان (الأطراف الشمالية الغربية لأفغانستان) وقومس (الأطراف الشمالية الشرقية لإيران) وبعضها من عمل سجستان (مدينة في أفغانستان) وبعضها من عمل كِرمان (مدينة في إيران) وفارس واصبهان وقمّ وقاسان والريّ ، فإذا أفسد القاطع في عملٍ دخل عملاً أخرَ ، ومع ذلك فهي مفازة يصعب سلوكها بالخيل وإنما تقطعُ بالإبل فأما دوابّ عليها أحمال فلا تسلكها إلا على طرقٍ معروفةٍ ومياهٍ معلومةٍ إن تجاوزها في أعراض هذه المفازة متجاوزٌ هلك ، وقد سلكتُها على الوجهين جميعاً فمرةً مع المُفردة وأُخرى مع الجمال محمّلة " [1] .

وقد تمكن ابن حوقل من اكتشاف منابع نهر الزابيان * وهما نهر الزاب الكبير ونهر الزاب الصغير والتي تندرج ضمن الجغرافية الطبيعية فيقول " وليس بجميع الجبال بحيرة صغيرة ولا كبيرة ولا اتصال بشيء منها ولا نهر يجري فيه السفن غير النهرين المفضيين بين جبال الجزيرة جائيةً من نواحي أرمينية على جبال داسن* ويعرفان بالزابيين وكأنهما وإن كانا من الجبال يخرجان فليسا منها

---

* مفازة خراسان وفارس : يحيط بها من شرقيّها حدود مكران وشيء من حدود سجستان وغربيّها حدود قومس والرىّ وقمّ وقاشان وشماليّها حدود خراسان وشيء من سجستان وجنوبيّها حدود كرمان وفارس وشيء من حدود اصبهان - الاصطخري ، أبو إسحاق بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي : (ت 346 / 957م) المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، 2004 ، ص227 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص402 .

* الزابيان : نهران عظيمان كبيران إذا جُمِعا كانا كنصف دِجلة وأكثر وهما من شرقيها ومخرجهما من الجبال التي بين نواحي أذربيجان متسربة من إقتار أرمينيه ونواحي أذربيجان - المرجع نفسه ، ص228 .

* داسن : اسم جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص423 .

لأنهما إلى الدجلة يفرغان وفيها يقعان ورأيتهما جميعاً ومخرجهما من جبال الجزيرة وتلقاء أذربيجان إلى نواحي الموصل " [1].

ويتحدث ابن حوقل عن الأنهار وتأثير القمر على ظاهرة المد والجزر في إقليم خوزستان وأهمية هذه الظاهرة الجغرافية في سقي الأراضي التي تزرع بقصب السكر والنخيل والزروع فيقول : " وخوزستان أجمعها في مستواة من الأرض سهلة ذات مياه جارية وأكبر أنهارها نهر تُستر وهو النهر الذي بنى عليه سابُور الملك الشاذروان * بباب تُستر حتى ارتفع ماؤه إلى المدينة لأن تُستر على نَشزٍ مرتفعٍ عما داناها من الأرض فيجري هذا النهر من وراء عسكر مكرم على الأهواز حتى ينتهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدىّ ويقع في البحر ، ويجري من ناحية تستر نهر المسرِقان * وينتهي إلى عسكر مكرم فيقسمها قسمين ، ويتصل بالأهواز وأخره الأهواز لا يجاوزها وإذا انتهى إلى عسكر مكرم فعليه جسر كبير نحو عشرين سفينة ، وتجري فيه السفن العظام وركبتهُ من عسكر مكرم إلى الأهواز والمسافة عشرة فراسخ فسرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر إلى الأهواز طريقاً يابساً لان ذلك كان في آخر الشهر والقمر في نقصانه فنقص الماء عن ملء النهر من قبل المد والجزر اللذين ينقصان ويزيدان بزيادة القمر " ، وتحدث عن هذه الظاهرة أيضا في مدينة البصرة عندما ذكر أنهارها [2] وهذه ظاهرة جغرافية علمية نجح ابن حوقل في إثباتها لنا وحديثه عن ظاهرة المد والجزر يتطابق مع ما موجود في كتب الجغرافية والتي تصنف ضمن فروع الجغرافية الفلكية .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص270 .

* الشاذروان : من عجائب الأبنية ، طوله نحو الميل ، مبني بالحجارة المحكمة والصخر وأعمدة الحديد وبلاطه بالرصاص - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص29 .

* المسرقان : وهو نهر بخوزستان عليه عدة قرى وبلدان ونخل يسقي ذلك كله ومبدؤه من تستر ، كان أول من حفره اردشير بهمن بن اسفنديار - المرجع نفسه ، ج5 ، ص125 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 252-253-227-150-151-160 .

كما توصل ابن حوقل إلى أن بحر الخزر (بحر قزوين) يعد من البحار المغلقة في العالم والشكل (4) يوضح ذلك ، فيقول : " وهذا البحر ليس له اتصال بشيء من البحار التي على وجه الأرض بطريق المادة والاختلاط إلا ما يدخل إليه من نهر الروس المعروف باتل * ، ولو أن رجلاً طاف بهذا البحر لرجع إلى مكانه الذي ابتدأ به لا يمنعه مانع ولا يقطعه قاطع إلا نهر يجذب إليه ويقع فيه وهو بحر مالح لا مد فيه ولا جزر " [1] وهذه إحدى الحقائق العلمية التي توصل إليها ابن حوقل مع وصفه الدقيق لطبيعة هذا البحر .

وذكر ابن حوقل كيف كان يتعرض للمتاعب والصعاب والبعد عن الوطن كل هذا من اجل تحقيق هدفه في التوثيق والتأليف الجغرافي فيقول : " وأعانني عليه تواصل السفر وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر " ، أي انه كان في تجوال طويل وحياة شاقة قضاها في سفر دائم ليس هذا فحسب بل كانت نفسه في شوق دائم للرحلة وجوّب البلدان واكتشاف المجهول ، فعزم على زيارة بلاد الإسلام فشد رحاله بعد ذلك قاصداً زيارتها والتعرف عليها رغم حنينه إلى بلده العراق ، ويضيف أيضا " وقد ذكرتُ أخر كتابي هذا كيف تعاورتني الأسفار واقتطعَتني في البرّ دون ركوب البحار إلى أن سلكتُ وجه الأرض بأجمعه في طولها وقطعتُ وتر الشمس على ظهرها " [2] .

أن هذا الوصف الذي جاء به ابن حوقل يندرج ضمن أسلوب الشرح الجغرافي للظواهر الطبيعية والبشرية وتحديد مواقعها والتعليق عليها بعد إثباتها ، لأنه أعتمد على مصادرها الأولية بصيغة لا تختلف عما يجري في الدراسات الحديثة كالتي حدثت في دراسته عن الجانب الزراعي لمدينة الموصل * .

---

* اتل : اسم نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس والبلغار ، واتل قصبة بلاد الخزر - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص87 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص388 ; ياقوت الحموي ، ج1 ، مرجع سابق ، ص342 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3-4 .

* وحضرت مدينة الموصل آخر دخلةٍ دخلتُها سنة ثمان وخمسين ، فألفيت ارتفاعها من الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى والمرج وكورة حزة ستّة آلف كرّ حنطةً وشعيراً قيمتها من الورِق ثلاثة آلف ألف درهم ومن الحبوب والقطاني ثلاثمائة كُرّ قيمتها - المرجع نفسه ، ص217-218.

شكل (4)

بحر قزوين (بحر الخزر) عند ابن حوقل

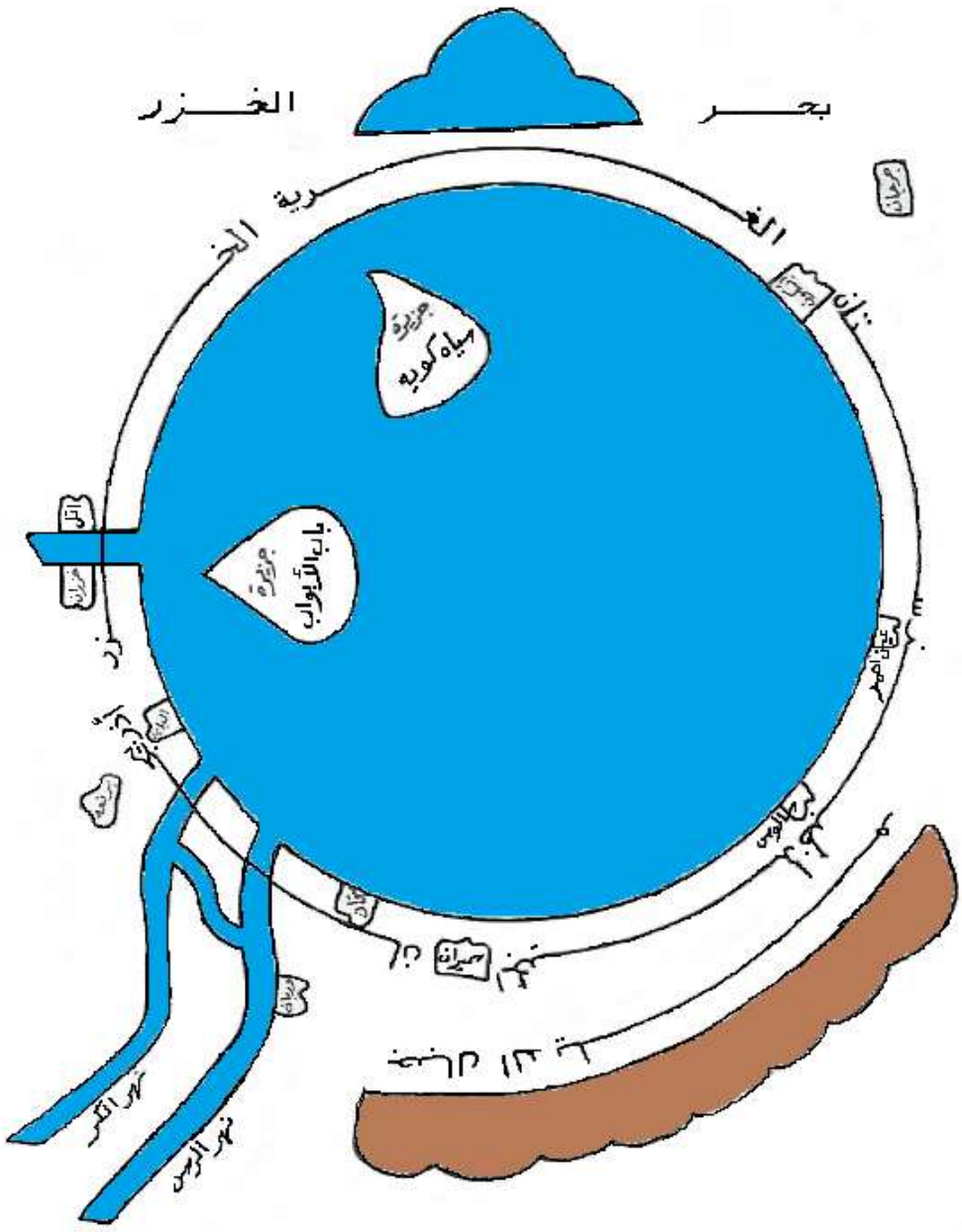

يبين أن ابن حوقل تفادى الخطأ الذي وقع فيه الكثير من الجغرافيينالسابقين الذين أعتقدوا أن بحر قزوين متصل ببحر الشمال وإنه ليس مغلقاً

المصدر : ابن حوقل ، صورة الارض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص386 .

2. المصادر الثانوية ـ المقابلة الشخصية والدراسة المكتبية :

أما المورد الثاني الذي أعتمده ابن حوقل وأستقى منه معلوماته الجغرافية فيتمثل فيما سمعه وقرأه من المعلومات الجغرافية وهو يتنقل بين المدن الإسلامية التي زارها خلال رحلته من الأشخاص الذين التقى بهم عن طريق الصدفة ، أو تعمد لقائهم حيث التقى بالناس من مختلف الطبقات ممن كان يرغب في لقائهم ، فعمل على تضمين كتابه الروايات والمعلومات التي حصل عليها من الناس عن طريق المقابلة المباشرة والسؤال التي تمثل أهم أساليب جمع البيانات ، ويبدو نشاطه واضحاً في علم الجغرافية ولذلك أنجز هدفه بتأليف كتابه " صورة الأرض " [1] وهذا ما حدث له خلال حضور جلسة للمناظرة مع أمير مدينة تفليس * و تبادل فيها الحديث وأفادته ببعض المعلومات الجغرافية عن المدن وأحوالها وعادات وتقاليد أهلها من تقدير للعلم وكرم الضيافة فيقول : " وأهلها قوم فيهم سلامة وقبول للغريب وميل إلى الطارئ عليهم وأنس بمن له أدنى فهمٍ وانتساب إلى شيء من الأدب وهم أهل سُنّة محضةٍ على المذاهب القديمة يكبّرون علم الحديث ويعظّمون أهله مع أنّى لقيتُ جماعة وغير ثقة فاضل ممّن طرأ إليها وأقام بها السنة والأكثرَ مصطلحين على أنّه لم يبت أحد منهم في منزله بوجه ولا قَدَر على ذلك ، ولقد تبيّنتُ من رغبتهم في ذلك وحرصهم عليه أنّى دخلتُها وقد آليتُ أن لا آكل لإحدٍ بها طعاماً إيثاراً لأن أملك نفسي وأنقطع إلى ما هو أولى بي من حوائجي فعُقد لي مجلسٌ للمناظرة على هذه اليمين في دار أميرها وحضر القاضي ابن سميعٍ فابتدأ دونهم فقال أيدك الله إنّ المأكول في بلدنا أقلّ من أن نُكرِهك على أن تناله من غير مالكَ وأنت تنال منه باليسير في دورنا إذا تكلّفه لك خَدمُنا من صُلب مالِكَ ما لا يقصّر بمِشيّة الله عمّا ألِفته أو تُربحنا الثواب بخدمتك وليس لك أن تنقض لنا سيرةً ولا تُغيّر لنا سنّةً فإنّا مذ أدركنا شيوخنا نسمع تفاوضهم أنّه لا يجوز أن يبيت غريب ببلدنا في منزله ولا خادم له إن كان واحدا اللهمّ إلّا أن يكونوا من الكثرة بحال من يؤنس

---

[1] ظريف رمضان ظريف ، مصدر سابق ، ص4 .

* تفليس : مدينة تقع في أرمينيا قرب باب الأبواب ، وهي مدينة أزلية - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص35 ; القزويني ، مرجع سابق ، ج1 ، ص518- 519 .

بعضهم بعضاً وقلّما تُركوا برأيهم حتّى ربّما حصل المالك لرقابهم بمكانٍ وهم معه أو بمكانٍ غير المكان الذي هو فيه يؤنِسون ويأنَسون ، ولستَ تخلو من أن تكون موضعاً ممّن تستفيد العلمَ أذا وجدته مع قيّمٍ به أو تكون بصورة من يُستفاد منه ويُرغب فيما عندك أو ممّن لا يرغب فيه إذا وجده عند أهله ولا لديه منه ما يرغب فيه وإذا كنتَ بإحدى الخلّتين الأخيرتين فالرحيل عنّا بك أولى وراحتنا من النظر إليك أحسن والينا أشهى وقد ثقلتَ على قلوبنا ، وبعدُ فأيمان البيعةِ يلزمني حنثها لتكفّرنّ عن يمينك في يومنا هذا ، وحيل بيني وبين رحلي وما كان معي فكنت عنده ليلتين وعند غيره ليلة مبرورا وبضاعتي في خلال ذلك تباع وما يدعوهم إليه حسن النظر ممّا عاد بصلاحي يشترى حتّى قضيت جميع حوائجي " [1] .

أفاد ابن حوقل من صاحب خراسان أثناء زيارته يأجوج ومأجوج * فأخبره أن تجارتهم تنقل إليهم على ظهور الرجال وأصلاب المعز فبلادهم جبال شاهقة لا يرتقيها إلا الرجال * .

كما التقى ابن حوقل مع أديب يدعى الدراية بجميع الأحوال من أهل صقلية للحديث عن مسألة لغوية ذكرها الخطيب ابن إسحاق ابن الماجلي المعلم القاضي يخطبهم حولين * ونتيجة لاستماعه الأحاديث والمعلومات نقل لنا معارفه في شتى الجوانب الدينية والجغرافية والتاريخية والاجتماعية والأدبية .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص340-341 .

* يأجوج ومأجوج : قبيلتان عظيمتان من العجم من ولد يافث بن نوح عليه السلام - ذكرهم الله بالقران الكريم - القزويني ، مرجع سابق ، ج1 ، ص618-619 .

* أن تجارهم من نواحي خوارزم رُبما أقاموا في صعود جبلٍ شامخٍ ونزوله الأسبوع والعشرة أيام - ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص14- 15 .

* ولقد رأيت ولداً كان لإسحق ابن الماجليّ المعلّم القاضي المتقدّم ذكره يخطبهم نحو حولين يجزم الأسماء مع الصلة ويجرّ الأفعال من أوّل خطبته إلى آخرها ، وخاطبت أديبا كان من أهلها يسعى ويدّعى الدراية بجميع الأحوال وقد نصب هذا الخطيب ما لم يسمّ فاعله أو رفع منصوبا وأظنّه كان مفعولا به فقلت أما سمعت الخطيب وما كان منه وذكرته له وقد ذهب عنّى اللفظ فقال كأنّه والله يا سيّدي كما تقول غير أنّا نحن لا نأبه لمثل هذا - المرجع نفسه ، ص127 .

وأثناء زيارته لبلاد فارس ذكر لنا ظاهرة كثرة القلاع والمدن المحصنة فيقول : " وسمعتُ غير رئيس من كاتب محصل نفيس وتانِيء جليل حصيف يذكر أن بفارس زيادة على خمسة ألاف قلعة منفردة في جبالها لا تقرب من المدن ، وفي المدن منها القهندزات * " [1] ولا يمكن تقصي ذلك إلا بتعبٍ من الدواوين ، وكذلك المدن المحصنة فإني لم أقدر على تقصيها وإنما ذكرتُ جوامعَ مّما أعرفه وسمعت به ، ويتحدث عن كثرة بيوت النار ببلاد فارس ومنها بيت نار عند بركة جور ويسمى بارين فيقول : " وحدثني من قرأ عليه بالفهلوية أنه أنفِقَ عليه ثلاثون الف الف درهم " [2] .

فالرواية الشخصية أذن تمثل وصفاً صوّره أشخاص رأوه بأعينهم وعاصروه ، لذلك فهي تمثل مصدر المعلومات التي أستمع إليها ابن حوقل مباشرةً وتأثر بها ، فالمعلومات التي أختبرها وتحقق من صدقها لم يتردد من أضافتها في مضمون كتابه نقلاً مشاهدةً والتزاماً بمنهجه التوثيقي الذي حدده في المقدمة وحرصه على التحقق من مصدر المعلومات .

وهنا يقول : " وكنتُ إذا لقيتُ الرجل الذي أظنه صادقاً وإخاله بما أساله عنه خبيراً عالماً فأجد عند إعادة الخبر الذي أعتقد فيه صدقه وقد حفظتُ نسَقه وتأملت طرقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً وأرى الحاكي بأكثر ما حكاه جاهلاً ثم أعاوده الخبر الذي ألتمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفتُه وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤية وأجمع بينهما وبين حكاية ثالث بالعدل والسويّة فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات وكان ذلك داعية إلى ما كنتُ أحسهُ في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار وتجاور الأقاليم والأصقاع " [3] .

---

* القهندزات : القهندز هي الحصن أو القلعة وسط المدينة ، ومعناها القلعة القديمة ومنها قنهدز سمرقند - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص419 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص271 - 272 .

[2] المرجع نفسه ، ص272 .

[3] المرجع نفسه ، ص329 .

كما أعتمد ابن حوقل في جمع المعلومات عن طريق الاستماع إلى عدد من الشخصيات مثل :

أ- أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين حاجب صاحب خراسان : أستمع له ابن حوقل عن مساحة الصين * وصعوبة الطرق لنقل تجارة يأجوج ومأجوج بين الجبال التي يسلكها التجار سيراً على الأقدام لأيام عديدة .

ب- أبي الحسين علي بن أحمد الجزري : قال ابن حوقل رأيته بصقلية وكأنه ورد المغرب ليقرأ الإخبار بها وأخبرني بأشياء كالسر عنده ثم خمش وجه الحديث وقال ومن بقي من العِقدانية بالإحساء * هلكوا وكان في جملتهم رجال جِلةٌ ذوو حلومٍ وعقولٍ [1] .

ت- أبي القاسم البصري : أخذ منه ابن حوقل أطوال الطرق بين المدن العربية مثلاً من عُمان إلى عدن ستمائة فرسخ منها خمسون فرسخاً إلى مدينة مسقط عامرةً وخمسون لا ساكن فيها إلى أول بلد مهرة وهي الشحر وطولها أربع مائة فرسخ والعرض في جميع ذلك من خمسة فراسخ إلى ثلاثة فراسخ وكلها رمل ومن آخر الشحر إلى عدن مائة فرسخ * ومن عدن إلى جدة شهر ومن جدة إلى ساحل الجُحفة نحو خمس مراحل * ومن ساحل الجُحفة إلى الجار ثلاث مراحل ومن الجار إلى آيلة عشرون مرحلة ومن آيلة إلى بالس نحو عشرين مرحلة ومن بالس إلى الكوفة نحو عشرين مرحلة ومن الكوفة إلى البصرة اثنتا عشرة مرحلة ومن البصرة إلى عبادان مرحلتان وهذا هو دائرها وما يحيط بها [2]

---

* الصين : بلاد واسعة في المشرق عرضها أكبر من طولها ، حوالي أربعة أشهر في ثلاثة أشهر ، فإذا أخذت من فم الخليج حتّى تنتهي إلى دار الإسلام بما وراء النهر فهو نحو ثلاثة أشهر وإذا أخذت من حدّ المشرق حتّى تقطع إلى حدّ المغرب في أرض التبّت - القزويني ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 53 ; ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص14- 15 .

* الإحساء : مدينة مشهورة بالسعودية - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص111-112 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص25-26 .

* الفرسخ : ثلاثة أميال ، وقيل اثنا عشر الف ذراع - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص36.

* المرحلة : هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يومٍ ، وجمعها مراحل - الفيومي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي (ت 770هـ / 1368م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج1 ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، ص222 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 39-41 .

ث- أبي المنيع كثير بن أحمد الجَعدِي الأسواني : أضاف عنه ابن حوقل حدثاً تاريخياً أسلامياً ، أن مدينة أسوان افتتحها عبد الله بن أبي سرح عبر إليها عن طريق الحجاز سنة إحدى وثلاثين [1] ، وأفتتح مدينة هيف * وإبلاق * ويقول في العادات الاجتماعية كان للبجة * رئيس يدخل إلى قِفطٍ يعرف بمُحا فيمتار البُرّ والتمرَ على مّر أوقاته فيُكرمُ ويُعظمُ وكان لاهل قِفطٍ رئيس يعرف بإبراهيم القفطي [2] .

ج- أبي علي بن أبي سعيد : أخذ منه ابن حوقل العادات والتقاليد الغريبة في مدينة سَطِيفُ * في كورة تاهرت بأفريقيا [3] .

ح- أبي الحسن بن أبي عليّ الداعي المعروف (بحمدان قرمط) صاحب بيت مال أهل المغرب : أخذ منه ابن حوقل الأمور المالية والواردات في المغرب ونواحيه من جميع وجوه الأموال سنة ستّ وثلاثين وثلاثمائة والتي بلغت مابين سبع مائة الف دينار إلى ثمان مائة الف دينار لا ينقص ولا عنهُ [4] .

خ- زيادة الله أبي نصر بن عبد الله بن القديم صاحب الخراج بأفريقيا : أخذ منه ابن حوقل نفس الرواية السابقة عن أموال المغرب سنة ستين وثلاثمائة ، وكأنهما تبادلا نفس الكلام بسب التزامهم بالقوانين ، وكانت جميع المغرب تُعمل بالأمانة من غير ضمان [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 50-51 .

* هيف : وهي مدينة بجانب أسوان غربي نهر النيل وتعرف بقرية الشقاف - المرجع نفسه ، ص51 .

* ابلاق : مدينة منيعة على حجر ثابتة وسط ماء النيل كالجزيرة ، وبينها وبين أسوان ستّة أميال ويحذها على النيل من جهة المشرق مسجد الرديني وقصر أليه وتحت المسجد بيعة للنوبة وهو آخر حدّ الإسلام وأوّل حدّ النوبة - المرجع نفسه ، ص51 .

* البُجة : مدينة بين فارس واصبهان - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص340 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص51 .

* سطيف : مدينة صغيرة في جبال كتامة بين تاهرت والقيروان من أرض البربر ببلاد المغرب ، ذات مزارع وعشب عظيم - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص220 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 95 -96 .

[4] المرجع نفسه ، ص96-97 .

[5] المرجع نفسه ، ص97.

د- أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف (بفرغ شغله) صاحب الدَين والصك بإودغست : أخذ منه ابن حوقل معلومات عن قبائل البربر في المغرب ، ومنها قبيلة صنهاجة بإودغست وملكهم تنبروتان بن أسفيشر ، ويكون عددهم نحو ثلاثمائة الف بيت من نوالة وخُص [1] .

ذ- أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله : سمع منه ابن حوقل أحداث معركة مضمونها ، أنّ قبيلة من قبائل البربر قصدت ناحية اودغست للإيقاع بآل تنبروتان فى جمع كثيف وعدّة قويّة وعدّة عظيمة ، فبلغ ذلك تنبروتان حتّى دبروا لهم أمراً واعتمدوا هيج الإبل فصوبت على المكان والجيش دوساً فجعلوهم شذر مذر وقد كفاهم الله شرّهم [2] .

ر- أبي الحارث فحل بن فلاح اللهيصي الكتامي : روى ابن حوقل ما ورد من الرجل من حديث عن أخبار البلاد من الأمور الدينية والوظائف الاجتماعية كالمعلمين الذي يقارب عددهم ثلاثمائة معلم مع قلة منفعتهم ، والعادات والتقاليد في صقلية [3] .

ز- أبي عبد الله محمد بن عيسى المعروف بالناشئ القروي المتكلم : كان معلماً في مسجد الزهري ، أخذ منه ابن حوقل حديثاً عن جهل أهل صقلية في عامة الأمور ، وذكر المعلم " بينا أنا واقف بالسماط [4] بقرب مكتب ابن مطر أُحادث إخواناً لي إذ وقف بهم ابن مطر فسلّموا عليه وسلّم علىّ فرددتُ عليه وأخذ في صفتي وما أعتقده بأقبح عبارةٍ وأبشع لفظٍ وإشارةٍ وقال في خلال قوله لي يعزز علىّ بُعدك عن الحقّ ، فقلتُ لعن الله أبعدنا عن الحّق وأقلّنا علماً به فالتاث لونه وتغيّر ، فقال له القوم قد أنصَفك لأنّه إنّما لعن الأبعد من الحقّ ولم يقصد إلّا الأقلّ علماً بالله [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص100-101 .

[2] المرجع نفسه ، ص100-101 .

[3] المرجع نفسه ، ص125-126 .

[4] السماط : هو الصف ، ومنه قام القوم حوله سماطين أي صفين ، وهو الموضع في صقلية - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص245 .

[5] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص127- 128 .

س- عبد الله بن محمد القلم : أخذ منه ابن حوقل عن الجوانب الاجتماعية لأهل دمشق ، وذكر في حكم سمرقند واردبيل * ومكّة ودمشق وصقلّيه وقال لا تصلح لسلاطينها ولا تستقيم لملوكها إلّا بالسيف ، وأكثر ما في أهلها الغدر والشر [1] .

ش- أبي الحسين محمد بن عبد الوهاب التل موزني [2] : سمع منه ابن حوقل عن المسافات فيقول سُيرتُ من مدينة كمخ للروم صالحة القدر عامرة على بريد الملك إلى القسطنطينية مائة وستة وثمانين بريداً * ومن القسطنطينية إلى أنقرة مائة وثمانية وعشرون بريداً [3] .

ص- أبي بكر الدمشقي : سمع منه ابن حوقل بوجود صفيحة على باب سمرقند الكبير وعليها كتابة زعم أهلها أنها بالحميرية وأنهم يتوارثون علم ذلك من أنها من صنعة تُبعٍ * وبعض الكتابة إن من صنعاء إلى سمرقند الف فرسخ وهذا دليل على أن باني صنعاء أحدثها وكان حكمه عليها ، ويقال أنه كان يُقيم بصنعاء حولاً وبسمرقند مثله [4] .

وقد أفاد ابن حوقل كتابه " صورة الأرض " بالمعلومات الجغرافية الواسعة من الذين أستمع إليهم وممن يثق بصدقهم ، بالرغم من تفاوت مستوى المعلومات بين إقليم وأخر والتي تطرق من خلالها إلى معظم فروع الجغرافية الحديثة .

---

* اردبيل : من أشهر مدن أذربيجان ، بناها فيروز الملك - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص145 ; القزويني ، مرجع سابق ، ج1 ، ص291 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص175-176 .

[2] المرجع نفسه ، ص195 .

* بريداً : البريد بالبادية اثنا عشر ميلا ، وبالشام وخراسان ستة أميال - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص35 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص195 .

* تُبعٍ :اسم الملك الذي بنى مدينتي صنعاء وسمرقند ، وملك أهل الأرض في سالف الزمان - المرجع نفسه ، ص23 .

[4] المرجع نفسه ، ص494 .

أما المعلومات الجغرافية التي لم يتأكد من صحتها أو إثباتها بنفسه فإشار إلى أصحابها . من هذا نستنتج أن المعلومات التي لم يطمئن إلى صحتها فهي أما معلومات لا دليل لها وأما أحادية الجانب فيشير إلى رواتها .

ومن المعلومات التي نقل أخبارها عن أشخاص سمع لهم دون ذكر أسمائهم مثل قوله عن الحيوانات يقول : " وباليمن قرود كثيرة لا تطاق ولهم كبيرٌ يعظمونه ويتبعونه كاليعسوب * للنحل وبها دابة تُدعى العُدار " * .

وعند حيث ابن حوقل عن بلاد المغرب وجباياتها المالية فيقول : " وسمعت إلى غير محصل (جابي موارد الدولة) ثقةٍ عن واردات الأندلس وحاصل الخليفة عبد الرحمن بن محمد (ت 350هـ) لسنة أربعين وثلاثمائة بلغ عشرين الف الف دينار ، هذا من غير ما بخزائنه من المتاع والحلي " [1] .

ويخبرنا ابن حوقل عن ظاهرة كثرة المساجد في صقلية فيقول : " وسألت عن ذلك فأخبرتُ أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم كان يحب كلُ واحدٍ منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وغاشيته ، ومنهم أبو محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي ، وكأن رغبته كانت في بنائه أن يقال له مسجد الفقيه ابن الفقيه " [2].

ويصف لنا ابن حوقل عدالة قاضي صقلية فيقول : " وحدثني غير إنسان أن عثمان بن الخراز وليّ قضائهم وكان ورعاً ، فرفعت إليه امرأة أعورتها مطالبةٌ في دارٍ باطلةٌ فسألها البينة " [3] .

---

* اليعسوب : السيد ، وأصله فحل النحل - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص438 .

* العُدار : أسم حيوان باليمن يؤذي الإنسان - ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص39 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص112 .

[2] المرجع نفسه ، ص120-121 .

[3] المرجع نفسه ، ص125-126 .

وينقل لنا ابن حوقل بعض الأخبار عن مدينة طرسوس * بالشام ذات الرجال والخيل والعُدة والعتاد فيقول : " ورأيت غير عاقل مميز وسيد حصيف مُبرز يشار إليه بالدراية والفهم واليقظة والعلم والفطنة والسياسة والرياسة يذكر أنه كان بها مائة الف فارس وبعملها وذلك عن قريب عهدٍ من الأيام " [1].

ويصف لنا ابن حوقل إقليم الجزيرة فيقول : " والجزيرة إقليم جليل بنفسه شريف كان بسكانه وأهله رفهٌ بخصبه كثير الجبايات لسلطانه " ، ويتحدث أيضا عن شجاعة أهل الجزيرة فيقول : " وسمعت رئيساً من علماء البغداديين يذكرها فقال كانت معدن الأبطال وعنصر الرجال وينبوع الخيل والعُدة وينبُوت الحيل والشدة " [2].

ويحدثنا ابن حوقل عن قصة تابوت دانيال النبي عليه السلام فيقول : " وبلغني أن أبا موسى الأشعري وجده وكان أهل الكتاب يتبركون به ... فأخذه أبو موسى وشق من النهر الذي على باب السوس * خليجاً (بخوزستان) وجعل فيه ثلاثة قبور ... ودفن ذلك التابوت في أحد القبور ثم أستوثق منها كلها وعماها ثم فتح الماء حتى قلب ذلك الثرى ... على تلك القبور والنهر يجري عليهم إلى يومنا هذا " [3].

أما بالنسبة للمصادر الأخرى التي أستقى منها الجزء الثاني من معلوماته الجغرافية فقد أشار إلى عدد الشخصيات المعروفة ونقل من مؤلفاتهم ومنهم :

1. يوسف بن إبراهيم الكاتب صاحب كتاب (أخبار الأطباء) : من بين المصادر التي استقى منها ابن حوقل معلوماته ، حيث تضمنت معلومات تتحدث عن مضار أكل البصل ، وقد استشهد ابن حوقل به فيقول : " وكثرة أكلهم

* طرسوس : مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، سميت بطرسوس بن الروم بن اليفز بن سام ابن نوح عليه السلام ، واستحدثت في زمن المأمون بن الرشيد - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص28 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص183 .

[2] المرجع نفسه ، ص210 .

* السوس : بلدة بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام ، وقال أبن المقفع : أول سور وضع في الأرض بعد الطوفان سور السوس - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص280 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص255 .

للبصل وفساد حواسهم بكثرة تغذيته بالنيّ منه وما فيهم من لا يأكُله كلّ يوم أو يُؤكَل في داره صباحَ مساءٍ من سائر طبقاتهم ، ومما يؤيد قولي ويشهد ببرهانه ما حكاه يوسف الكاتب في كتابه أخبار الأطباء عند نزوله بدمشق على عيسى ٱبن الحكم وهو المسيح المتطبّب قال ذاكرته بالبصل فلم يزل في ذمه ووصف عيوبه " [1] ، ويبدو أن حديث ابن حوقل أقتصر على مضار أكل البصل ولم يتحدث عن فوائده .

2. عبد الله بن عبد الحكم الفقيه صاحب الكتب المؤلّفة : استشهد ابن حوقل به ذكرا الوصف الجميل لمدينة العريش * فيقول : " أن الجفار * بأجمعه كان أيام مُصعَب بن الوليد فرعون موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان " [2] وهذه المعلومات تدخل ضمن فرع جغرافية المدن والعمران .

3. عمر بن شبّة صاحب كتاب البصرة : أخذ منه ابن حوقل أوصاف مدينة البصرة وبعض جوانبها المالية فيقول : " وللبصرة كتاب يُغني عن ذكر شيء أوصافها وهذه الكتب موجودة في جميع الأماكن ، وأما ارتفاعها وجباياتها ومصالحها وضمان البحر بلوازم المراكب فانه زاد وكثر عن ستّة الاف الف درهم " [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص123-124 .

* العريش : مدينة جليلة وهي حرس لمصر أيام فرعون ، وهي آخر مدينة تتصل بالشام من أعمال مصر ويتقلدها والي الجفار وهي مستقرّة ، هواؤها صحيح طيب ، وماؤها حلو عذب ، وبها سوق جامع كبير وفنادق جامعة كبيرة ووكلاء للتجار ونخل كثير ، وفيها صنوف من التمور ورمان يحمل إلى كل بلد . - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص113 .

* الجفار : جمع جفر والجفر : البئر القريبة القعر الواسعة ، والجفار أرض من مسيرة سبعة أيام بين فلسطين ومصر ، أولها رفح من جهة الشام وآخرها الخشبي متصلة برمال تيه بني إسرائيل ، وهي كلّها رمال سائلة بيض ، في غربيّها منعطف نحو الشمال بحر الشام (البحر المتوسط) ، وفي شرقيها منعطف نحو الجنوب بحر القلزم (البحر الأحمر) وسمّيت الجفار لكثرة الجفار بأرضها ، ولا شرب لسكانها إلا منها ، ويزعمون أنها كانت كورة جليلة في أيام الفراعنة إلى المائة الرابعة من الهجرة ، فيها قرى ومزارع ، فأما الآن ففيها نخل كثير ورطب طيب جيد ، وقال المهلبي وأعيان مدن الجفار العريش ورفح والورّادة - المرجع نفسه ، ج2 ، ص144-145 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص144 .

[3] المرجع نفسه ، ص238-239 .

4. عمرو بن بحر الجاحظ صاحب كتاب البلدان : أخذ منه ابن حوقل كلام عن وصف جبل بهستون * الواقع في إقليم الجبال فيقول : " أن بعض الأكاسرة أراد أن يتخذ بجوف هذا الجبل سوقاً ليدل به على قوته وسلطانه " [1] .

5. كتاب أبي الفرج قُدامة وكتاب الجيهاني وكتاب أبي القاسم الكعبي : أخذ ابن حوقل معلومات عنهم حول المسافات بإقليم خراسان ومدنه [2] .

أما الكتب التي اقتبس منها معلوماته الجغرافية دون الإشارة إليها أو إلى أصحابها أذكر منها :

أ- ذكر معلومات مهمة من العديد من العلماء عن بحر الخزر * (بحر قزوين) فيقول : " وقد حُكيت عن هذا البحر حكاياتٌ كثيرةٌ عن كبار المؤلفين " [3] .

ب- أخذ رسوماً من بعض علماء الأنساب عندما كان في المغرب فيقول : " وكنت قد أخذتُ عن بعضهم رسوماً أثبتها ولم أرجع منها إلى غير ما قدمته من ذكر قبائلهم " [4].

ت- أخذ معلومات كثيرة عن تاريخ مصر ومكانتها فيقول : " ولمصر وأعمالها غير كتابٍ مؤلفٍ مستوفىً بصفات ضياعها وجباياتها وخواصها ... وبقيت منها رسوم وبقايا دمنٍ خاليةٍ تشهد بما سلف فيها من الأمور الرفيعة العالية " [5] .

وذكر أيضا معلومات عن سمكة تعرف بالعروس ، فيقول : " وذكر هذا المؤلف

---

* بهستون : جبل عالٍ مرتفع ممتنع لا يرتقى على ذروته ، ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس كأنه منحوت ، زعم بعض الناس ان أحد الاكاسرة اراد ان يتخذ حول هذا الجبل موضع سوق ليدل به على عزته وسلطانه ، وعلى ظهر الجبل بقرب الطريق مكان يشبه الغار وفيه عين ماء جار – ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص515 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص372 .

[2] المرجع نفسه ، ص453 .

* بحر الخزر : هو بحر واسع عظيم لا اتصال له بغيره - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص342 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص13 .

[4] المرجع نفسه ، ص107 .

[5] المرجع نفسه ، ص143 .

في بعض كتبه وغيره أن بالإسكندرية سمكة تعرف بالعروس حسنة المنظر نقشةً لذيذة الطعم ... ورأيتها وأكلتها " [1] .

ث- أخذ بعض المعلومات عن كثرة الأنهار في مدينة البصرة فيقول : " وذكر بعض المؤلفين من أصحاب الأخبار أن أنهار البصرة عُدت أيام بلال بن أبي بُردة * فزادت على مائة الف (100,000) نهر وعشرين الف (20,000) نهر تجري في أكثرها الزوارق " [2] ، وذكر أيضا بعض المعلومات عن مساحة مدينة بغداد وطرق حسابها فيقول : " وذكر بعض المؤلفين أن الموفق * أمر بمساحتها ... ، الجميع ثلاثة وأربعون الف جريبٍ * وسبع مائة وخمسون جريباً (43750) جريب ، ويكون بفدان * مصر حساب كل جريبين ونصف فدان سبعة عشر الف فدان وخمس مائة فدان (17500) فدان وكانت هذه مساحة رقعتها " [3] .

ج- أخذ بعض المعلومات عن خراج مدينة أصبهان * فيقول : " وقرأت في بعض الكتب أن خراجها في بعض الأوقات كان يبلغ اثني عشر الف الف (12,000,000) درهم " ، ويذكر أيضا بعض العادات الاجتماعية لأهلها

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص156-157 .

* وهو بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري (ت126هـ / 744م) : أمير البصرة وقاضيها ، كان راويا فصيحا أديبا ولاه خالد القسري سنة 109هـ ، كان ثقة في الحديث ولم تحمد سيرته في القضاء - الزركلي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص72 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص235 .

* الموفق : هو طلحة بن جعفر (المتوكل على الله) ابن المعتصم العباسي (ت 278هـ / 891م) : أمير من رجال السياسة والإدارة والحزم ، لم يلِ الخلافة أسما وإنما تولاها فعلا ، ولد ومات في بغداد ، وكان شجاعا موفقا عادلا ، عالما بالأدب والأنساب والقضاء - الزركلي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص229 .

* الجريب : مساحة مربعة من الأرض بين كل جانبين ستون ذراعاً هاشمياً ، أو 3600 ذراعاً هاشمي - أبو الوليد سليمان بن خلف الأندلسي (ت 474هـ / 1081م) ، المنتقى شرح الموطأ ، ط1 ، مصر ، مطبعة السعادة ، 1332هـ / 1913 ، ج3 ، ص220 .

* الفدان : مقدار من الأرض الزراعية مساحته 4200م2 أو 24 قيراط والقيراط = 175م2 ، والفدان = 2,5 جريب - ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص242 .

[3] المرجع نفسه ، ص242 .

* أصبهان : مدينة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان : اسم للإقليم بأسره ، وكانت مدينتها أوّلا جيّا ثم صارت اليهودية ، وهي من نواحي الجبل - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص206 .

فيقول : " والغالب على أربابها الرغبة في الخير وحسن ذكر السلف وحب المعروف وفعله " [1] .

وهكذا نجد أن المعلومات التي تناولها ابن حوقل من الكتب كانت متفاوتة في مجالها منها ما يتعلق بالجغرافية ومنها يتعلق بالدراسة التاريخية والاجتماعية ، وأن جميع هذه المعلومات كانت ذات قيمة أصيلة وتصبُّ في مجال بحثنا .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص367 .

المبحث الثاني
منهجه الجغرافي

يتناول هذا المبحث الطريقة التي سلكها ابن حوقل في تأليف كتابه (صورة الأرض) على الرغم من أن ابن حوقل نفسه أوضح لنا منهجه الجغرافي الذي سار عليه في التأليف فيقول : " وقد عملتُ له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمران ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما تفرد بالأعمال المجموعة إليها " [1] . مما يسر على الباحث والدارسين الكشف عن خطته العامة وأسلوب بحثه الجغرافي ، فضلاً عن ذكر الأسس العلمية التي قام عليها كتابُه ، علاوة على الجهد والوقت الذي بذله في سبيل تحري الدقة والصواب في المعلومة والإخبار التي ثبتها فيه مع اعترافه بالتقصير حيناً وبعدم خلو كتابه من الزلل أو الخلل حيناً أخر .

أولاً : خطـــة الكتاب

سلك ابن حوقل خُطى السابقين له في تصنيف كتابه مع التركيز على مادة الكتاب التي عرضها عرضاً دقيقاً مفصلاً عن طريق عرضه توضيح المعلومات الجغرافية بصورة مشوقة وتحديد النقاط الجوهرية .

ويذكر ابن حوقل في كتابه فيقول : " وقد فصلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصُقعاً صُقعاً وكورةً كورةً لكل عملٍ ، وبدأتُ بذكر ديار العرب فجعلتها إقليماً واحداً ، لان الكعبة فيها ومكة أُم القرى وهي واسطة هذه الأقاليم عندي ... " [2] .

وبذلك تحددت خطة الكتاب فقد ذكر في القسم الأول من كتابه : مقدمة عامة عن طبيعة الأرض توضح منهجه الجغرافي والعوامل المهمة التي دفعته على التأليف والصعوبات التي جابهته أثناء رحلاته الجغرافية ، ثم صورة الأرض والتي تبين أسباب تأليفه للكتاب وخطته فيقول : " وليعلم أنّ الأسباب المُحرّضة على تأليفه

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص2 .
[2] المرجع نفسه ، ص5-8 .

المقتضية لعمله اللذّةُ بالإصابة في المقصد والمحبّة للظفر بإبانة كلّ بلد ، والذكر الجميل من أهل التحصيل في كلّ مشهد " [1] ثم وصف الأقاليم الإسلامية .

فقد بدأه بوصف ديار العرب (الجزيرة العربية) شأنه في ذلك شأن الجغرافيين السابقين له والذين عاصروه ، وان السبب في ذلك يرجع إلى ما تتمتعت به الجزيرة العربية من قدسية وتعظيم وإجلال ومكانة سامية في نفوس العرب والمسلمين بسبب وجود الحرمين الشريفين فيها ، ثم يتلوها فصل عن بحر فارس (المحيط الهندي) والشكل (5) يوضح ذلك ، والذي يشمل الخليج العربي والبحر الأحمر وبحر عدن وبحر العرب فضلاً عن الموانئ التي تقع على سواحل هذه البحار والخلجان ، ثم يأتي بعد ذلك وصف بلاد المغرب وتشمل : بلاد المغرب والجزائر وتونس وليبيا والصحراء العربية الكبرى ثم وصف بلاد الأندلس وصقلية ، وبعد ذلك تحدث عن أرض مصر وبلاد السودان والشام ، وأرض الشام تشمل : سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ، ثم تحدث عن بحر الروم ويشمل الحوض الشرقي من البحر المتوسط علاوةً على بحر مرمرة وأهم موانئه وجزره ، ثم تحدث عن أرض الجزيرة وتشمل : منطقة الجزيرة في العراق مع جزء من البادية الشمالية ، ثم تحدث عن بلده العراق .

أما في القسم الثاني فقد ذكر بلاد الشرق الإسلامي والتي تتمثل في أرض خوزستان ويشمل : منطقة الأهواز الحالية ، ثم بلاد فارس وتشمل : القسم الأوسط والغربي من إيران ، ثم منطقة كرمان وتشمل : القسم الجنوبي الشرقي من إيران ، ثم بلاد السند وهي الأراضي الساحلية على حافة المحيط الهندي وهي بعض أجزاء باكستان الحالية ، ثم ذكر الأقسام الشمالية للمناطق الإسلامية في الشرق حيث تحدث عن مناطق أرمينية وأذربيجان والران وإقليم الجبال (كردستان) ، وأراضي الديلم (سهول بحر الخزر الجنوبية) وطبرستان (شمال غربي إيران) ، وبحر الخزر

شكل (5)

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص5 .

صورة المحيط الهندي (البحر الأعظم)

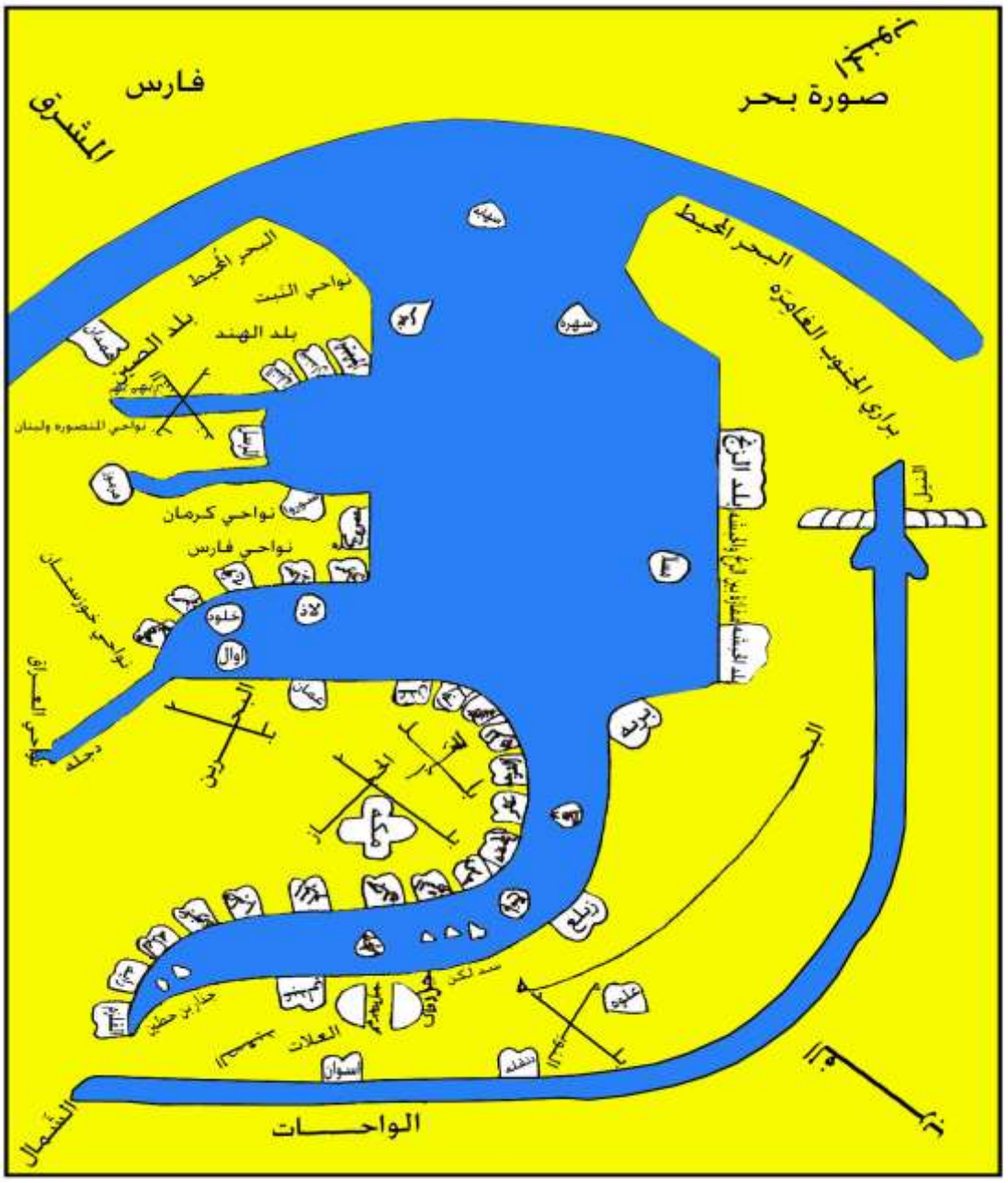

تبين خريطة ابن حوقل المحيط الهندي ، وشبه الجزيرة العربية ، ووالخليج العربي ، والساحل الجنوبي لبلاد فارس حتى مكران ، والساحل الهندي سيمور وسندان وفيما وراء ذلك فالخريطة مركبة ، وفي الجنوب يمتد الساحل الافريقي شرقاً حتى خط طول الصين .

ظريف رمضان مراد ، ابن حوقل ومنهجه الجغرافي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 2004 ، ص131 .

وهي الشعوب التي تحيط ببحر قزوين ثم مفازة خراسان وفارس وهي الصحراء التي تقع بين خراسان وفارس .

وأخيراً قام بدراسة سجستان ويشمل جزءاً من أفغانستان وخراسان ويشمل الجزء الشمالي الغربي من أفغانستان والأطراف الشمالية الشرقية من إيران ثم بلاد ما وراء النهرين وتشمل الأراضي المحيطة بنهري سيحون وجيحون .

ثانياً : منهجه في التأليف

لم يكن باستطاعة ابن حوقل أن يقدم ما قدمه للإنسانية من نتاج علمي جدير وشامل لو لم تكن له منهجية بحث علمي وضع من خلالها أهداف دراسته ، وهو يذكر المنهج الذي سار عليه في البحث والدراسة والغاية التي كان يهدف إليها من وراء جهوده المتمثلة بشغفه بالعلم والرغبة الحقيقية في المعرفة ، إذ أورد ذلك في مقدمة كتابه (صورة الأرض) بقوله : " وكان ممّا حضّني على تأليفه وحثّني على تصنيفه وجذبني إلى رسمه أنّي لم أزل في حال الصبوة شَغِفاً بقراءة كتب المسالك متطلّعاً إلى كيفيّة البين بين الممالك في السير والحقائق .. فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب " [1] .

1. المنهج الوصفي الإقليمي

اتبع ابن حوقل المنهج الوصفي الجغرافي للأقاليم والمدن التي زارها مستنداً على أسس تدوين المعلومات الجغرافية الصحيحة عن البلاد التي يمر بها ، فقد أتبع أسلوب المشاهدة الشخصية والملاحظة للمناطق التي كتب عنها وبطريقته الخاصة التي وضعها لنفسه ، لذلك حفل كتابه بالمعلومات القيمة والمهمة عن البلدان التي شملت جميع بلاد الإسلام وقد يتجاوز أحياناً مناطق العالم الإسلامي ، ويذكَر انه زار مدينة نابلي بايطاليا [2] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 .

[2] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص373 .

ويتكلم موضحاً منهجه الإقليمي ممهداً له بمقدمة جغرافية فيقول : " وقد فصلتُ بلاد الإسلام إقليماً إقليماً وصقعاً صقعاً وكورةً كورةً لكل عملٍ لكلّ عمل وبدأت بذكر ديار العرب فجعلتها إقليما واحدا لأنّ الكعبة فيها ومكّة أمّ القرى وهى واسطة هذه الأقاليم عندي .. وأتبعت ديار العرب بعد أن رسمت فيها جميع ما تشتمل عليه من الجبال والرمال والطرق وما يجاورها من الأنهار المنصبّة إلى بحر فارس ببحر فارس لأنّه يحتفّ بأكثر ديارها وشكّلت عطفه عليها ولأنّ بحر فارس يعطف من جزيرة مسقط مغرّبا إلى مكّة والى القلزم عن خمسين فرسخا من عمان ويدعى ذلك الموضع رأس الجمجمة " [1] .

من هذا نستنتج أن الأسلوب الذي استخدمه في دراسته للوصول إلى الحقائق تمثل بالتأكيد على الجانب الجغرافي كأساس لبناء دراسته الميدانية المتعلقة بتحديد الظاهرة موضع البحث والدراسة وجمع المعلومات عنها ومن ثم تحليلها ورسم صورة (خارطة) لها بعد التأكد من صحتها .

ويعد ابن حوقل أبرز ممثلي المدرسة الكلاسيكية التي عُرفت عند الجغرافيين العرب خلال القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) التي كان من روادها البلخي * والاصطخري * والمقدسي * الذين وضعوا بحوثهم على المشاهدة الشخصية من خلال السفر والتنقل بين البلدان والتي كانت مقتصرة على بلاد

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص3 - 5 .

* البلخي : أبو زيد بن أحمد بن سهل البلخي (ت 322 - 934م) : من العلماء المسلمين ، ولد بمدينة بلخ وساح سياحة طويلة ، وقد سبق علماء البلدان في استعمال رسم الأرض في كتابة صور الأقاليم الإسلامية - الزركلي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص134 .

* الاصطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسيّ ويقال له الكرخي (ت 346 هـ / 957 م) : عالم جغرافي ، رحالة ، من أهل إصطخر (بإيران) قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد الهند ، واستعان بكتاب (صور الأقاليم) لـ أبي زيد البلخي ، فألف كتابه مسالك الممالك - المرجع نفسه ، ج1 ، ص61 .

* المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي ويقال له البشاري (ت 380هـ / 990م) رحالة جغرافي ، ولد في القدس وتعاطى التجارة ، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بأحوال البلاد ، فطاف أكثر بلاد الإسلام ، وصنّف كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " - المرجع نفسه ، ج5 ، ص312 .

الإسلام الذي قسموه إلى أقاليم وأقسام [1] ، في حين نلاحظ أن الكتابات الجغرافية لابن حوقل كانت شاملة لأغلب فروع الجغرافية .

2. وصفه للأقاليم

نال العمل الجغرافي لإبن حوقل مكانة كبيرة في الأدب الجغرافي العربي أثمر عنه نجاحاً منقطع النظير ، ويتضح ذلك الجهد من خلال تفرده عن غيره من الجغرافيين السابقين بأسلوب جديد باسم ((الأقاليم)) فهو خرج عن أطار الأقاليم السبعة عند اليونان ولم يسلك طريقة (السباعيات) التي كانت سائدة قبله ، إذ تعارف الناس على أن الأقسام سباعية وإنما جعلها أثنين وعشرين إقليماً فيقول : " ولم أقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض لأنّ الصورة الهنديّة التي بالقواذيان وإن كانت صحيحة فكثيرة التخليط " [2] فوصف بلاد الإسلام الذي قسمه إلى أقاليم وأقسام وصفاً جغرافياً شاملاً .

ويعد من أبرز الجغرافيين الأوائل الذين أبدعوا في استخدام المقاطعات (الأقاليم) في دراستهم الإقليمية مستغنياً عن طريقة خطوط الطول والعرض وبالتالي أسهم هذا العمل في أضافة جديدة لطريقة الشرح الجغرافي وتطورها [3] .

وسلك منهجاً جديداً في عملية الوصف لتلك الأقاليم فيقول : " ولمّا قصدتُ تفصيل بلاد الإسلام إقليماً إقليماً ليُعرف موضعُ كلّ إقليم من مكانه وما يجاوره من سائر الأقاليم ولم تتّسع هذه الصورة التي جَمعَت سائر الأقاليم لما يستحقّه كلّ إقليم في صورته من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث وما يكون عليه أشكاله جعلتُ لكلّ إقليم مكاناً يُعرِبُ عن حاله وما يجاوره من سائر الأقاليم ثمّ أفردتُ لكلّ إقليم منها صورة على حِدةٍ بيّنتُ فيها شكل ذلك الإقليم وما يقع في أضعافه من المدن وسائر ما يحتاج إلى علمه " [4] .

---

[1] كراتشكوفسكي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص206 .
[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص2 .
[3] يسري عبد الرزاق الجوهري ، الفكر الجغرافي ، الإسكندرية ، دار المعارف ، 1967 . ص89.
[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص17 .

ولعل من أبرز سمات المنهج الجغرافي عنده انه جعل لكل إقليم فصلاً مستقلاً به بحيث جاءت مرتبة ومحتوية على معلوماته التي جاء بها مبيناً خصائص كل إقليم وما يحتويه من موارد طبيعية كالمعادن وبشرية كالصناعات إلا أن وصفه للأقاليم التي تحدث عنها غير متساوٍ حجماً ولا مضموناً ، فغالبا ما نراه يذكر لنا معلومات في إقليم ثم يهمل الحديث عنها في إقليم أخر فهو كان يميل للاختصار في الكلام غير المفيد ويوضح سبب ذلك في كتابه فيقول : " لأن المنكرَ لما لا يعلم أعذرُ من المُقِر بما يُجهل " [1] هذه العبارة تعد دليلاً على صدق ابن حوقل في الكتابة والتأليف .

وقد نهج منهجاً مغايراً لما كان عليه معروفاً قبله والمتمثل بإعطاء أدق التفاصيل والمعلومات عن الأقاليم التي شرحها بطريقة علمية متميزة وهذه المناطق هي بلاد المغرب والأندلس وصقلية [2] .

3. رسم الخرائط

كان التفسير الجغرافي عند ابن حوقل أكثر عمقاً وواقعياً وبالتخطيط الكارتوغرافي فقد رسم خريطة (صورة) أو خارطة حسب تباين أسمائها * لكل إقليم موضحاً موضع الإقليم وحدوده وما يحيط به وبيان البحار والمحيطات التي تحف بالأرض وتحديد الصحاري والبلاد وأهم المدن فيها ، ويوضح منهجه في البحث فيقول : " وقد جعلت لكلّ قطعة أفردتها تصويراً وشكلاً يحكي موضع ذلك الإقليم ثمّ ذكرتُ ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما في أضعافها من المدن والأصقاع وما لها من القوانين والارتفاع وما فيها من الأنهار والبحار وما يُحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم من وجوه الأموال والجبايات

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص39 .

[2] إبراهيم شوكة ، مصدر سابق ، ص127 .

* الخارطة والخريطة مصطلحات حديثة ، فالجغرافيون المسلمون كانوا يسمونها بـ الصورة ، مثل قول ابن حوقل عن خارطة العالم : هذه صورة الأرض - يوسف التوني ، معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر ، دمشق ، 1977 . ص199 .

والأعشار والخراجات والمسافات في الطُرقات وما فيه من المجالب والتجارات إذ ذلك علمٌ يتفرّد به الملوك الساسة وأهل المروّات والسادة من جميع الطبقات " [1] .

لقد كان ابن حوقل باحثاً جغرافياً أكثر منه سائحاً وهذا ما يستطيع الباحث مشاهدته في كتابه " المسالك والممالك " أو " صورة الأرض " والأسلوب الذي اتبعه والطريقة التي اعتمدها وغزارته العلمية وشموليته يتجاوز الحدود في موضوع بحثه إذا ما قورن مع العلماء الذين سبقوه فهو كما يقول أندريه ميكيل : " إن ابن حوقل يمثل أفضل مؤلفي كتب المسالك والممالك " [2] .

من خلال كل ما تقد يتضح لنا أن جهده يدخل ضمن نطاق البحث الجغرافي بسبب سعة مجال بحثه ونضجه العلمي لذلك كان يتحقق ويفسر ويناقش المعلومات الجغرافية بأسلوبه الخاص .

وقد اهتم برسم الصورة (الخارطة) اهتماماً كبيراً فجعل لكل إقليم خارطة خاص به توضح تفاصيل ذلك الإقليم للتعرف على موقع وشكل الإقليم من قبل القارئ مع حرصه على وضع عنوان صريح يذكر أسم الإقليم أسفل الصورة (الخريطة) مثال ذلك فيقول : " هذه صورة ديار العرب " [3] .

ولعل ما يميز منهجه في رسم الخرائط هو إلحاقه مع الصورة (الخارطة) مفتاحاً يوضح تفاصيل الصورة التي تحكي عن إقليم ما وخير مثال على ذلك قوله : " إيضاح ما يوجد من الأسماء والنصوص في صورة ديار العرب " [4] ، ثم عمل على توحيد هذه الخرائط في أطلس موحد ، ويعد من أول الأطالس العربية المبكرة التي تصور العالم المعروف عنده حينذاك [5] .

ويقول ابن حوقل : " ولقيت الاصطخري وقد صوّر هذه الصورة لأرض السند فخلطها وصوّر فارس فجوّدها وكنت قد صوّرت أذربيجان التي في هذه الصفحة فاستحسنها والجزيرة فاستجادها وأخرج التي لمصر فاسدة وللمغرب

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص2 - 3 .
[2] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص60 .
[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص20 .
[4] المرجع نفسه ، ص21 .
[5] ظريف رمضان ظريف ، ابن حوقل ومنهجه الجغرافي ، مصدر سابق ، ص16 .

أكثرها خطأ ... وقال قد نظرت في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللت فأصلحت منه غير شكل وعزوته إليه ، ثم رأيتُ أن أنفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه من غير أن ألمّ بتذكرة أبى الفرج وإن كانت حقاً بأجمعها وصدقاً من سائر جهاتها ، وقد كان يجب أن أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواي ونَصَبَ فيه غيري " [1] .

وأن أهم ما في قصة لقاء ابن حوقل بالاصطخري كما يبدو هو أن كلاً منهما طلب من زميله الاطلاع على ما قدم من صور (رسم الخرائط) فعمل ابن حوقل إصلاح الخرائط الرديئة ونسبها للاصطخري ، وهذا دليل قاطع على أن ابن حوقل لم يكن يترقب هذا اللقاء لكي يضع مؤلفاً في الجغرافية وإنما كان قد رسم فعلاً صوراً للأقاليم التي قسم على أساسها بلاد الإسلام .

وتتميز الخرائط التي وضعها بدقة المعلومات الجغرافية وتنوعها في الخريطة الواحدة ، فالخارطة (الصورة) عنده أقرب إلى واقعها الحالي والخريطة الحديثة عند كلّ من الاصطخري والمقدسي فضلا عن ذلك خلوها من التقعيد [2] ، وقد تضمن منهج كتابه العديد من الخرائط المهمة وعدها جزءاً لا يتجزأ من النص ، بل عدّ الخارطة أهم من النص وأن النص ما هو إلا شرح مفصل للخارطة [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص329 - 330 .
[2] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص157 .
[3] شاكر خصباك ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، مصدر سابق ، ص57 .

ثالثاً : مقـــارنة بين الإصطخري وابن حوقل

1. التاليف

يعد الرحالة ابن حوقل أحد أبرز الجغرافيين في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) فقد جمع مادة كتابه بنفسه معتمداً على السفر والترحال وقد لمع قبله العديد من الجغرافيين لذلك أختار الباحث الإصطخري الذي أشتهر بكتابه " المسالك والممالك " لعمل مقارنة بينه وبين ابن حوقل في التاليف وأخراج مصنفيهما .

وضع الإصطخري مؤلفه الذي استمر في تمحيص وإضافة المعلومات الجغرافية التي جمعها خلال رحلته في البلدان الإسلامية ولم ينتهِ منه حتى مطلع القرن الرابع الهجري ، إلا أن هناك مأخذاً على الإصطخري هو عدم ذكر مصادر معلوماته الجغرافية بصورة واضحة ، بل كان يميل في حالات كثيرة إلى الاستشهاد بالقول من الاخرين مثل قوله : " ويقال .. ويزعم .. وذكر لي " ، وبهذه الطريقة لم يشر الإصطخري إلى مصادره التي استقى منها المعلومات والاخبار عن الامصار الإسلامية .

أما اعتماده على نفسه وبالمشاهد المباشرة فتبدو واضحة من خلال حديثه عن إقليم ما وراء النهر بقوله : " وخوارزم مدينتها وراء النهر وهى إلى مدن ما وراء النهر اقرب منها إلى مدن خراسان ما وراء النهر من أخصب أقاليم الإسلام وأنزهها وأكثرها خيرا وأهلها يرجعون إلى رغبة في الخير " [1] .

---

[1] الاصطخري ، مرجع سابق ، ص287 .

2. المنهـــج الجغرافـــي

وبالنسبة للمنهج الجغرافي الذي سلكه الاصطخري في التأليف فلم يقدم لنا وصفاً متكاملاً لكتابه على الرغم من تضمُّن المقدمةِ تفصيلاً وشرحاً لما يحتويه هذا الكتاب ، أما ابن حوقل فمنهجه الجغرافي قريب الشبه من منهج الاصطخري فكلاهما ذوا منهج متميز في الأمور الإدارية ، وكان الاصطخري صادقاً في التأليف فانه يذكر محاسن ومساوئ الفرس وهم أبناء جلدته فيقول : " وقد انتحل قوم من الفرس ديانات خرجوا بها من المذاهب فدعوا إليها وانتصبوا لها " [1] ، وهنا يشبه ابن حوقل عند كلامه عن محاسن ومساوئ بلاد المغرب .

أما بالنسبة إلى ذكر الأخبار والأحداث فكان يختصر في الرواية ويدون ما هو ضروري في تأليف كتابه من أجل الدقة في تثبيت الحقائق العلمية وبهذا يتفق مع ابن حوقل في هذا المنحنى فكان يميل للاختصار ولا يقبل كل ما يسمع أو يقرأ وإنما كان يجري عملية تمحيص للمعلومات الجغرافية وصولاً إلى الحقيقة .

3. العلاقـــة بين الإصطخري وابن حوقل

يعرف الكثير من الباحثين في مجال الفكر الجغرافي العربي الإسلامي مدى العلاقة بين الإصطخري وابن حوقل ، فقبل أن ينتهي الإصطخري من إتمام كتابه " المسالك والممالك " التقى بالرحالة ابن حوقل بحدود (341هـ - 952م) الذي ضاع صيته بعلم الجغرافية فسأله إصلاح كتابه وإتمامه بصورة كاملة [2] .

وقد تكلم الباحثون في التراث العربي الإسلامي عن تأثر كتاب ابن حوقل بكتاب الإصطخري ، ومما يؤكد حديث أولئك الباحثين وجود أوجه تشابه في العديد من فقرات كتابيّ ابن حوقل والإصطخري وخاصةً في الأجزاء الأولى ومما يسند هذا القول حديث ابن حوقل واعترافه بأنه التقى بالإصطخري في يوم من الأيام

---

[1] الاصطخري ، مرجع سابق ، ص 148 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 329 .

فطلب منه أن ينظر في كتابه ويصححه ، غير أن كتاب ابن حوقل قد ضم معلومات جغرافية أصيلة وقيمة عن العالم الإسلامية لم تكن موجودة في كتاب الإصطخري ، فضلاً عن أن المعلومات عند ابن حوقل هي أكثر دقة في تحديد الأماكن ووصفها جغرافياً [1] .

يتضح من خلال ذلك أن ابن حوقل تأثر بالإصطخري إلى حد ما وخاصةً عند تخطيط كتابه علاوةً على أنه أخذ منه العديد من الفقرات التي تصف شبه الجزيرة العربية وفارس والسند ، ورغم ذلك إلا أن ابن حوقل أضاف معلومات هامة وتحقق من أقوال من سبقوه فاجتهد وأبدع في وضع كتابه [2] .

ومن خلال نظرة موضوعية وفاحصة تتضح العلاقة بين المؤلفين أن ابن حوقل كان أكثر شموليةً في كتابه " صورة الأرض " إذا ما قورن بكتاب الإصطخري ، وبهذا نال كتابه المقام الأول في كمية المعلومات ودقتها وخاصة عن الجانب الغربي من العلم الإسلامي والمتمثل بأقطار المغرب العربي [3] .

فقد أتاح الله لهذا العلم أفذاذا جابوا البلاد وتحملوا المشاق وعرفوا مسالكها وطرقها وناسها ووقفوا على طبيعة البلاد التي زاروها وحياة أهلها الاجتماعية ، ودوّنوا ما رأوا وما خبروا وما سمعوا حريصين أن يبيّنوا ما رأوا وما سمعوا فخرجت كتبهم نورا يهدى ومرشدا لا يضل ولا يضلل ومصدراً أصيلاً للمعلومات أجبر الجغرافيين اللاحقين الرجوع إليه .

---

[1] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ص113 .

[2] عبد الرحمن حميدة ، التراث الجغرافي ، مصدر سابق ، 175 .

[3] إبراهيم احمد سعيد وممدوح شعبان ، مصدر سابق ، ص216 .

الاستنتاجـــات

من خلال ما تقدم توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات التي ندرجها في ما يأتي :-

1. نالت الجغرافية ومنذ القدم مكانة بارزة في اتساع مجال المعرفة عند الإنسان وتزويد التجار بالمعلومات اللأزمة ورفد الرحالة لمواصلة الاستكشافات فضلاً عن تزويد رجال الحكم والإدارة بما يساعدهم على حكم البلاد وتنظيم شؤونها .
2. الجغرافية علم يهدف إلى الحصول على نتائج علمية دقيقة تتفق مع المفهوم الحديث كدراسة توزيع الظواهر الجغرافية (الطبيعية والبشرية) وتعليلها واستنتاج العلاقات المكانية بين ظاهرة وأخرى ، وليس كمجرد أداة لجمع المعلومات عن سطح الأرض .
3. الدور المتميز للرحالة والتُجّار في مد التراث الجغرافي العربي بالمعلومات المتنوعة بالنسبة للفترة الذهبية التي مرت بها الجغرافية والأجيال العلمية والتي تميزت بالاستمرارية والتجدد .
4. تميز المنهج الجغرافي عند آبن حوقل بالموضوعية فقد نهج منهجاً مغايراً لما كان معروفاً قبله والمتمثل بإعطاء أدق التفاصيل والمعلومات عن الأقاليم التي شرحها وبطريقة علمية ، علاوة على أهمية الخرائط التي وضعها ودقة المعلومات الجغرافية وتنوعها في الخريطة الواحدة .
5. اتبع ابن حوقل ومنذ البداية الاسلوب الصحيح في كتابة الجغرافية الاقليمية وهو اسلوب المشاهدة المباشرة والدراسة الشخصية .
6. الأهمية العلمية لتراثنا الجغرافي بشهادة العديد من الباحثين والمتخصصين في الشرق والغرب من القدامى والمحدثين بفضل تعدد حقول المعرفة وتنوع بحوثه العلمية .

7. الدقة العلمية لابن حوقل فهو لا يسجل كل مايسمع او يقرأ ، وانما كان يجري عملية فحص للمعلومات الجغرافية وبعد التاكد من صحتها يثبت اقربها الى الحقيقة .

التوصيـــات

1. توجيه الباحثين نحو الكتابة في موضوعات تتعلق بالفكر الجغرافي العربي الإسلامي والتي تبين عظمة الجغرافيين العرب وما حققوه من انجازات علمية يدين له العالم .

2. وضع البحوث العلمية والرسائل الجامعية التي تبين انجازات أعلام الفكر العربي الإسلامي في تطوير العلم خصوصاً وأنهم يمثلون حلقة الوسط ما بين العلم القديم والعلم الحديث .

3. الانتباه إلى المحاولات التي تواجه الدور الحضاري العريق للعلماء العرب في تطوير العلوم من خلال الرد على كتابات علماء الغرب ومحاولتهم طمس هذا الدور وتحجيمه .

4. المحافظة على التراث العلمي بالرجوع إلى تلك المؤلفات والمراجع ذات العلاقة والاستناد عليها في إثبات الكثير من الحقائق العلمية وعدم التركيز على المصادر الغربية فقط .

5. تحديث طبعات كتب علماء الجغرافيين العرب المسلمين للعصور الهجرية الأولى (العصر الذهبي) وزيادة أعدادها في المكتبات لتكون تحت متناول الباحثين أو القراء لان العديد من هذه الكتب تلفت أوراقها مما يستحيل استخدامها .

6. العمل على دراسة المخطوطات القديمة وتحقيقها الخاصة بالعلماء العرب المسلمين وعلى المستوى المحلي والإقليمي لتكون في متناول أيدي كل شخص راغب بالاطلاع على ابرز انجازاتهم الجغرافية التي تدين لها ثقافة الغرب .

7. العمل على توحيد الخرائط والصور الخاصة بالجغرافيين العرب المسلمين في مجلد واحد على غرار الأطالس التاريخية وإدراجها تحت عنوان الأطلس الجغرافي .

8. إبراز دور رواد المدرسة الكلاسيكية من الجغرافيين الكبار في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، ومنهم ابن حوقل لان هذه المرحلة من مراحل الجغرافية العربية تمثل قمة ما وصلته الجغرافية من ازدهار كما إنها تمثل الشخصية الحقيقية للجغرافية العربية الأصيلة.

9. عقد الندوات والمؤتمرات العلمية وتبادل الخبرات بين الجامعات وتعريف الباحثين من الأساتذة في حقل الجغرافية بما أورده تراثهم العلمي من معلومات وحقائق عن دور الجغرافيين العرب .

10. توجيه كافة الجهود ومحاولة البحث عن الكتب المفقودة والنادرة والعمل على تجديد طباعتها بأعداد كافية من أجل رفد المكتبات لتكون تحت متناول الباحثين .

11. يدعو الباحث إلى التركيز أثناء تدريس مادة الفكر الجغرافي في مراحل الدراسة الأولية والعليا على دور الجغرافيين العرب في وضع أسس المنهج العلمي .

المبحث الأول

الجغرافية الطبيعية

من خلال دراسة تحليلية لرحلات ابن حوقل الجغرافية يمكن التأكيد على أن هذا الرحالة شأنه شأن الجغرافيين والرحالة الأوائل تناول في كتابه معظم ميادين المعرفة الجغرافية التي تعنى بها الجغرافية الحديثة ، إلا أن تلك المعالجة كانت على وفق منهج الفكر الجغرافي القديم (التراثي) السائد وقتها آنذاك [1] وهذه الاتجاهات الجغرافية هي :-

1. الجغرافية الاقتصادية بكل فروعها ، أي الزراعية والصناعية وجغرافية التجارة وجغرافية الطرق والنقل التي تربط بلاد العالم الإسلامي بعضها بالبعض الأخر.
2. الجغرافية البشرية ، أي الجغرافية التي تهتم بدراسة الشعوب ومما يدخل في نطاق الجغرافية الاجتماعية علاوة على ما يتعلق بجغرافية المدن .
3. الجغرافية الحيوية ، التي تعنى بجغرافية النبات والحيوان بصفة عامة وهي الدراسة الجغرافية للطبيعة الحية .
4. الجغرافية الطبيعية ، وهي وصف الظواهر التضاريسية والمناخية .
5. جغرافية السلالات البشرية أو جغرافية الأجناس البشرية .

وفضلاً عن هذه الأنماط الجغرافية المتعددة كان ابن حوقل يركز في مواطن عديدة على الجغرافية الإدارية كمفهوم إسلامي أظهرته حاجة الدولة الإسلامية إلى معرفة حدود ارض الإسلام وخراجها ، ومن المعلوم أن هذا الأمر من أهم دواعي

---

[1] صلاح الدين الشامي ، مصدر سابق ، ص 175 - 183 .

أو بواعث الرحلات الجغرافية التي أفرزت هذا العلم الجغرافي المهم في تاريخ الدولة الإسلامية إلى جانب البوَاعث الدينية والتجارية والعلمية [1] .

تصنيف المعلومات الجغرافية :

تتباين وجهات نظر العلماء الجغرافيين في تصنيف المعلومات والظواهر الجغرافية وهذا يعود إلى الاختلاف في المناهج الجغرافية ، ومن خلال ذلك سنحاول أعطاء صورة عن فروع الجغرافية اعتماداً على التصنيف الأكثر ترجيحاً بين الجغرافيين [2] فهناك اتجاه يسمى وحدة الحقل [3] بينما يرى اتجاه ثانٍ أن الجغرافية الطبيعية مفصولة عن الجغرافية البشرية [4] .

ويرى Feynman أن هناك علاقة بين الجغرافية والعلوم النظامية ، فالجغرافية الاقتصادية مشتقة من علم الاقتصاد والسياسة من التاريخ والمناخ من علم الأنواء وهكذا [5] .

وهنالك تقسيم آخر تُعْنَى به الجغرافية الطبيعية هو دراسة مظاهر التضاريس والمناخ والتربة والمياه والثروات المعدنية والنباتات والحياة الحيوانية ،

---

[1] شوقي ضيف ، مصدر سابق ، ص 5 - 10 .

[2] عبد الرزاق عباس حسين ، الإطار النظري للجغرافية ، بغداد ، مطبعة الإيمان ، 1970 . ص 9 - 28 .

[3] Preston E. James and Clarence F. Jones. (Eds) American Geography Inventory and Prospect. (Syracuse: Published for the AAG. By Syracuse University Press , 1954) . p . 15 .

[4] Bryan K , " Physical Geography in the training of the Geographer, Annals of the American Geographers, Vol. 34 (1944). p . 189 .

[5] Feynman Nevis M ,"The Circumference of Geography, Annals of the Association of American Geographers, Vol. 9 (1919). p 3 - 11 .

أما الجغرافية البشرية فتشمل دراسة السكان والمسكن ووسائل النقل والإنتاج الصناعي والزراعي والمعدني وبصورة عامة الاستغلال الاقتصادي للأرض والمظاهر المادية الناتجة عن تفاعل الإنسان مع البيئة [1] .

أن ظهور هذا التصنيف كان نتيجة التخصص الذي صاحب التقدم العلمي في العصر الحديث ، فالظواهر بنوعيها الطبيعية والبشرية هي التي تمثل عناصر الوحدة الجغرافية التي يجب ألاّ يترك عنصراً من عناصرها لذا فقد اعتمدت الدراسة التصنيف الذي يأخذ بتقسيم الظواهر الجغرافية على صنفين هما : الظواهر الطبيعية والبشرية وما تتضمنه والتي وردت في كتاب (صورة الأرض) :-

أولاً : **الجغرافية الطبيعية** :

هو العلم الذي يتناول دراسة الظواهر التي لا يتدخل الإنسان فيها سواء أكان من ناحية الموقع أم التوزيع ، وهناك أتفاق بين أكثر الجغرافيين على أن الجغرافية الطبيعية تهتم بالمكان سواء أكان المقصود بالمكان منطقة أم إقليماً أم سطح الأرض وتشمل :-

1. أشكال سطح الأرض
2. الجغرافية المناخية
3. جغرافية الموارد المائية
4. جغرافية البحار والمحيطات
5. الجغرافية الحيوية (الحياتية والنباتية) [2] .

---

[1] يسري عبد الرزاق الجوهري ، أسس الجغرافية البشرية ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1975 . ص 27 .

[2] عبد الرزاق عباس حسين ، مصدر سابق ، ص 47 - 61 .

ثانياً : **الجغرافية البشرية** :

هو العلم الذي يهتم بدراسة المجتمعات وعلاقتها بالبيئة وتشمل : -

أ. الجغرافية الاقتصادية بفروعها (الصناعية ، الزراعية ، التجارة والنقل) .

ب. السكان والسلالات البشرية وجغرافية المدن والعمران [1] .

المعلومات المتعلقة بالجغرافية الطبيعية

اتبعَ ابن حوقل اتجاهاً جديداً في دراساته الجغرافية من خلال كتابه الذي يمكن وصفه بأنه جدولٌ بالجبال والأنهار والبحار والموارد وغيرها من الظواهر الجغرافية والتي تتمثل بـ :-

1. أشكال سطح الأرض : Geomorphology

أن أهم ما جذب انتباه ابن حوقل في مجال الجغرافية الطبيعية هي تضاريس سطح الأرض أي أشكال السطح المتعددة والتي يطلق عليها حالياً اسم الجيمورفولوجيا وهي أحدى الفروع الرئيسة للجغرافية الطبيعية والتي تشمل :-

- الجبـــال
- السهـــول
- الصحـاري
- التربـــة

---

[1] عبد الرزاق عباس حسين ، مصدر سابق ، ص 65 .

يعد ابن حوقل من أكثر الجغرافيين المسلمين الأوائل اهتماماً بذكر تفصيلات الطوبوغرافيا والخريطة (4) توضح ذلك ، فذكر الجبال والسهول والصحارى وأولاها عناية كبيرة وقد حدد في خرائطهِ التي رسمها للأقاليم المختلفة سلاسل الجبال بحدود واضحة [1] ، وتحدث أيضا عن نوع التضاريس وفصّل في أكثر من جانب فيها وحدد موقعها الجغرافي فذكر أسماء هذه الجبال وبين أهميتها ، ومن أمثلة تفاصيل الطوبوغرافيا ما ذكره عن إقليم الجبال (منطقة كردستان في شمال غرب إيران) فيقول : " والغالب على هذه المدن المذكورة والنواحي الموصوفة الجبال الشاهقة العالية والأوكار الصعبة المنيعة ، إلّا ما بين هَمدان والري وإلى قُم ، فإن الغالب عليها السهل ، والجبال بها قليلة " [2] .

كما حاول أعطاء صورة واضحة عن الجانب الطبيعي لجغرافية ديار الإسلام ، وربما كان أول جغرافي وصف وتحدث عن سلسلة الجبال الممتدة من بلاد الصين شرقاً حتى البحر المحيط * ويسمى ببحر الظلمات (المحيط الأطلسي حالياً) غرباً ، فضلاً عن المعلومات الكثيرة التي استقاها بنفسه من المشاهدة المباشرة أو من الأشخاص الذين لهم معرفة جيدة بهذه المناطق وذكر قائلاً : " وشاهدت البعض منه كما يوجبه ما تواطأت عليه الأخبار من ثقات أهل الناحية ورؤساء الإدلاء بها وفيها وسائر ما وصلته من أخباره وقصصته من أنبائه وآثاره فبالمشاهدة منّي لذلك والمعاينة لأشكالها " [3] .

---

[1] شاكر خصباك ، في الجغرافية العربية ، مصدر سابق ، ص 226 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 270 .

* البحر المحيط : ومنه مادّة سائر البحور المذكورة عدا بحر الخزر ، وقد سماه أرسطو في رسالته الموسومة بيت الذهب : أوقيانوس ، ويسمى بالبحر الأخضر ، ويخرج منه شعبتان : إحداهما بالمغرب والأخرى بالمشرق - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 344 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 170 .

خريطة (٤) واقع التضاريس في العالم الإسلامي

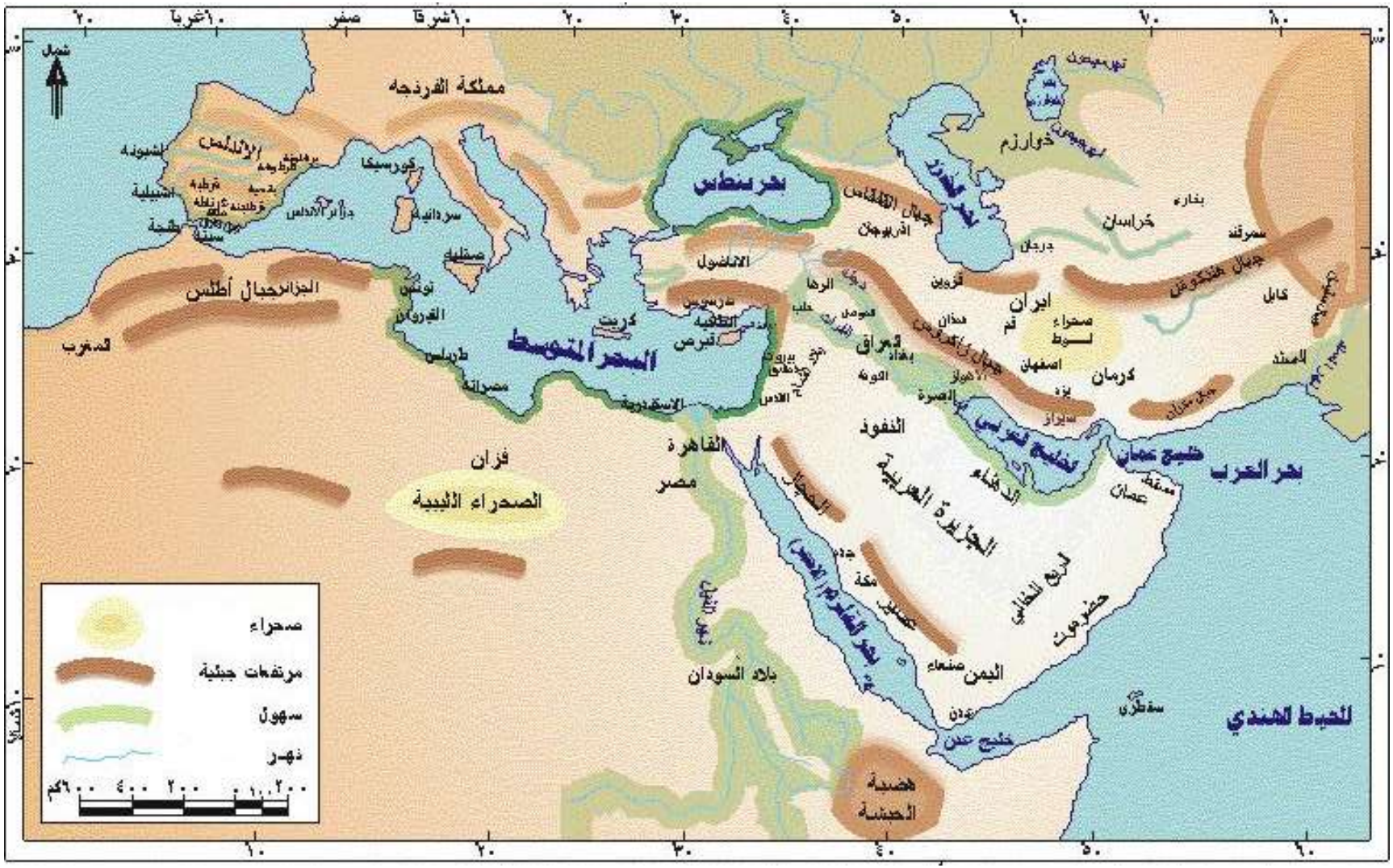

المصدر : حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط1 ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ،١٩٨٧ ، ص١٠٧

أما ما كتبه عن الجبال فيعد دليلاً واضحاً على الجهد الكبير المبذول من لدن المؤلف فيتحدث عن جبل الأم (جبل قاف) والمقصود به جبال الهملايا حالياً بقوله : " أن بدايته من بلد الصين بالمشرق خارجاً من البحر المحيط وتقطع هضبة التبت وبلاد الخرلخية * إلى أن يصل من حدود الإسلام فرغانة وتتشعب منه ثلاث شعب سلسلة إلى الجنوب من فرغانة وتعرف حالياً جبال تيان شان.. وسلسلة إلى الشمال وتعرف حالياً جبال التاي ويمرّ صدر هذا الجبل على فرغانة إلى جبال البتم وتعرف حالياً جبال هندكوش فيقطعه نهر جيحون ويمضى في وسطه بين شعبتين منه وكأنّه قطع ليستمرّ الماء في وسطه ويستمر الجبل إلى مدينة نيسابور * ثم يتصل به جبال جرجان وطبرستان والتي تسمى حالياً جبال قرة قورم والبرز ، ثم يتصل بجبال الجيل والديلم والتي تعد امتداداً لجبال البرز ، ثم جبال أذربيجان والقبق (القفقاس) واللان (يقع بين بحر أزوف والقوقاز) وبلاد الروم وتسمى حالياً جبال القوقاز وجبال الأورال ويتصل من جنوبه بجبال أصبهان وشيراز وتسمى حالياً جبال زاكروس ويستمر امتداده إلى العراق والشكل (6) يوضح ذلك ، والجزيرة حتى يصل دجلة من جهة مدينة تكريت فيخرج منه جبل بارما * من الجهة الشرقية نهر دجلة وجبل الشقوق من الجهة الغربية ويصعد من ناحية جبل بارما فيكون منه جبلا زينا وزامر اللذان يقعان في شرقي حديثة الموصل (تقع بين ذراعين من نهر الفرات) [1] .

---

* بلاد الخرلخية : منطقة تمتد من منخفض تاريم وبحيرة بلكاش وجبال تيان شان - اندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 269 .

* نيسابور : مدينة عظيمة ذات فضائل لأنها منبع العلماء ، وتسمى أبرشهر وإيرانشهر - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 331 .

* بارما : جبل بين تكريت والموصل ، ويعرف بجبل حمرين - المرجع نفسه ، ج1 ، ص 320 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 169 .

شكل (6)

صورة أقليم العراق عند ابن حوقل

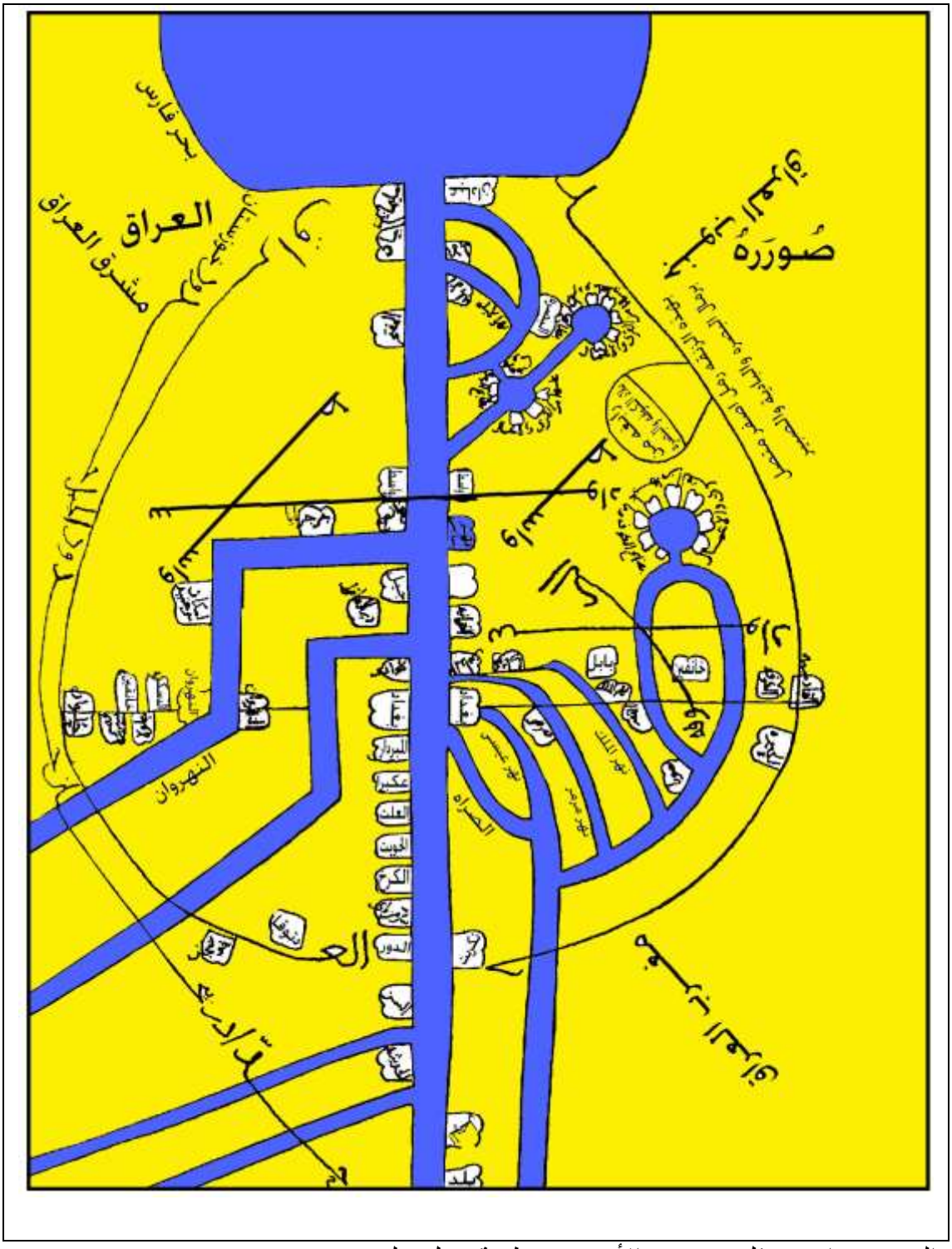

المصدر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص232 .

ثم يمتد إلى جبل ثمنين * وجبل الجودي * تتفرع منه جبال الداسن * (التي تعد امتداداً لجبال كردستان العراق حالياً) وجبال أرمينيا الخارجية المتصلة بجبال أرمينيا الداخلية والتي تسمى حالياً جبال بنطش وطوروس وهضبة أرمينيا ، ولا يزال هذا الجبل يستمر امتداده إلى أن يصل بيت المقدس من جبل لبنان ثم يمر على يسار الراحل من الرملة إلى مدينة الفسطاط إلى جبل المقطم ، ولا يزال إلى آخر الصعيد الأعلى ويتصل بجبال النوبة من جنبي نهر النيل ثم إلى جبل القمر (جبال كلمنجارو) ثم يظهر من جبل برقة (الجبل الأخضر) * في ليبيا ثم يمتد إلى جبل نفوسه ثم يظهر في سجلماسة على هيئة جبال من الرمال ويمتد إلى أودغست (صحراء الجوف) حتى يصل البحر المحيط (المحيط الأطلسي) [1] .

وبعد هذا العرض التفصيلي لسلسلة الجبال نلاحظ أن ابن حوقل كان صائباً في أغلب ما ذكره من السلاسل الجبلية إلا أنه لم يقدم تفصيلاً مماثلاً عن الجبال في الجانب الغربي من العالم الإسلامي ، فعند أشارته إلى الجبل الذي يحيط بمدينة برقـــة الليبية الذي يعد ظاهـرة جغرافية لها أهميتها في تاريخ المدينة ،

---

* ثمنين (ثمانين) : بلفظ العقد بعد السبعين من الأعداد ، بليدة عند جبل الجودي لان أول من نزله سيدنا نوح عليه السلام لما خرج من السفينة ومعه ثمانون انسانا ، فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به ، فسمي الموضع بهم - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 84 .

* الجودي : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من نهر دجلة من إعمال الموصل ، وعليه استوت سفينة نوح عليه السلام - المرجع نفسه ، ج2 ، ص 179 .

* جبال الداسن : اسم جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي - المرجع نفسه ، ج2 ، ص 432 .

* الجبل الأخضر : سمي بهذا الاسم لان سطحه يغطى بنباتات دائمة الخضرة ، ويطلق عليه أحيانا اسم الغابة - يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1981 . ص271 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 168 - 169 .

ويعني بذلك الجبل الأخضر الذي يعد جزءاً من الحافة التالية للهضبة الكبيرة التي تحيط بالصحراء الكبرى والتي تنحدر نحو البحر المتوسط [1] ، ويتحدث عنه فيقول : " ويحيط بالبقعة جبل من سائر جهاتها " [2] . وهنا نراه لم يذكر أسم الجبل على الرغم من أهميته الجيمورفولوجية .

أما عند حديثه عن مدينة طرابلس فقد أشار إلى الجبل الذي يحيط بها بقوله : " وأمّا جبل نفوسة فجبل عالٍ منيف يكون أبعاده نحو مسيرة ثلاثة أيّام في أقلّ من ذلك " [3] ، بينما نلاحظ أن الجغرافيين السابقين يقل كلامهم عن هذا الجبل والذي يسمونها بجبال درن * وانه يشكل امتداداً لجبال الأطلس الفاصلة بين الصحراء والساحل ومنه يتفجر كل نهر ويختلف السكان في تسميته [4] .

وقد أشار ابن حوقل إلى جبل أوراس كظاهرة جيمورفولوجية ذات تأثير في تاريخ مدينة باغاي (وهي من مدن بلاد المغرب الأوسط : الجزائر حالياً) [5] ، إلا انه لم يذكر انها تشكل مع جبال عديدة والتي أشار إليها في كلامه عن جبال برقة ونفوسة لأنها جزء من سلسلة جبال الأطلسي بنوعيها : أطلس الكبرى وأطلس التل والتي تشكل الظاهرة التضاريسية التي شكلت تاريخ بلاد المغرب العربي ، وبهذا فقد أهمل الإشارة إلى هذه السلسلة الجبلية المارة بوسطه من أقصاه الغربي إلى أقصاه الشرقي تاركةً أثرها في تاريخه الاقتصادي والسياسي والاجتماعي [6]

---

[1] يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي ، مصدر سابق ، ص 270 - 271 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 66 .

[3] المرجع نفسه ، ص 94 .

* جبال درن (جبال الأطلس) : جبل من جبال البربر بالمغرب فيه عدة قبائل وبلدان - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 452 .

[4] البكري ، المسالك والممالك ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، موسكو، 1992 . ص 238 .

[5] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 85 .

[6] يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي ، مصدر سابق ، ص 140 .

فضلاً عن انه تكلم على معظم الجبال في العراق بالتفصيل من جهتي الشمال والشرق على العكس من بقية الأمصار الإسلامية والتي تحدث عن جبالها بشكل عام .

كما تحدث عن سهول مدينة دمشق وأهميتها الرئيسة للإنسان في ممارسة أنشطته اليومية مثل الزراعة والرعي فيقول عنها : " وهى أجلّ مدينة بالشام في أرض مستوية قد دحيت بين جبال تحفّ بها إلى مياه كثيرة وأشجار وزروع قد أحاطت بها متّصلة وتعرف تلك البقعة بالغوطة " [1] .

وتحدث ابن حوقل عن الرمال فيقول : " والرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذي أصله بالشقوق إلى الأجفر عرضا وطوله من وراء جبلي طىّ إلى أن يتّصل مشرقا بالبحر ، ويمضى من وراء جبلي طىّء إلى أن يرد الجفار من أرض مصر ثمّ يساير النيل وجبل المقطّم عن جانبي النيل إلى بلد النوبة فيعبر من فوق الفيّوم النيل فيتّصل بالمغرب ويمضى مغرباً إلى سجلماسه وأرض أودغست إلى البحر المحيط ، ومنه عرق يضرب من القادسية إلى البحرين ويعبر البحر فيمّر على مشارق خوزستان وفارس إلى أن يرد إلى سجستان ويعطف منه شيء على مفازة فارس وخراسان وقوهستان ، ويمرّ مشرقا إلى مرو في خوارزم ثمّ يعبر جيحون إلى بلاد الخرلخيّة وبعض التبّت إلى بلد الصين والبحر المحيط في الشرق " [2] ، والتي تشكل تقاطعاً مع السلاسل الجبلية حيث تسير بمحذاتها من الشرق الأقصى إلى صحراء الأطلسي تشمل شعباً متشابهة في قارة أفريقيا فيقول : " وبلاد الزنج براري عظيمة ورمال كانت في سالف الزمان مسلوكة وفيها الطريق من بلاد مصر إلى أرض غانة (الصحراء الكبرى) فتواترت الرياح على قوافلهم ومفردهم فأهلكت غير قافلة وأتت على غير مفردة " [3] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 174 .

[2] المرجع نفسه ، ص 35 - 36 .

[3] المرجع نفسه ، ص 61 .

ويضيف كلام أخر على الرمال فيقول : " وجميع الرمل الذي على وجه الأرض متّصل متناسب ، لا أعرف فيه بلداً رمله ذو فصل إلّا القليل وكذلك جبال الأرض كلّها متناسبة متّصلة إلّا القليل اليسير منها " [1] .

يظهر أن ابن حوقل قد أجاد في وصف السلاسل الجبلية والكثبان الرملية وعلاقتها مع بعضها البعض ، كما توصل إلى إدراك وجه الشبه بين الرمال المنتشرة في شبه الجزيرة العربية والرمال المنتشرة في صحراء الصومال ، إذ أنه استطاع التمييز بين الكثبان الرملية الثابتة والمتحركة وخطرها على السكان وطرق القوافل التجارية ، ويشير أيضاً إلى لون الرمال فيقول : " ومنه أصفر ليّن اللمس ، وأحمر قانٍ وأزرق سماوي وأسود حالك وأكحل مشبع كالنيل وأبيض كالثلج وبعضه يحكى الغبار نعمة وبعضه خشن جريش اللمس أحرش " [2] .

كما ذكر نوعية التربة فذكر عن مدينة برقة قائلاً : " وأرضها حمراء خلوقية * التربة " [3] . أن هذا الوصف يندرج ضمن أصناف التربة الطينية لان السبب وراء تسمية برقة الحمراء على التربة هو نتيجة ما تحمله الأودية المنحدرة من الجبل باتجاه سهل بني غازي الساحلي من تربة طينية حمراء غطت مساحات كبيرة من المدينة [4] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 158 .

[2] المرجع نفسه ، ص 36 .

* الخلوقية : تعني لغوياً الشيء الأملس أو اللين - ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت 711هـ / 1311م) ، لسان العرب ، ط3 ، دار صادر ، بيروت ، 1993 . ص 89 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 66 .

[4] يسري الجوهري ، جغرافية المغرب العربي ، مصدر سابق ، ص 270 .

وتحدث أيضاً عن مدينة لبدة * بقوله : " وهي مدينة بيضاء من الصخر الأبيض على ساحل البحر خصبة " [1] ويقترب هذا الوصف على الرغم من عموميته مع ما تتصف به مدينة طرابلس من السبخات الملحة المتكونة من مفتتات الرمال والمجاري المائية فأضافت إلى التربة الرملية تربة رسوبية ، يمكن عدها بأنها تربة جيرية رملية ناعمة الملمس [2] .

وذكر مدينة ببن * ومرو الروذ * بخراسان وأشار بأن أرضهم صحيحة التربة ومدينة سمرقند تربتها من أصح الترب وأيبسها [3] .

وأشار ابن حوقل إلى السبخات لأول مرة فذكر المدينة المنورة بأن أرضها سبخة ، وذكر مدينة الفسطاط (في مصر) ويصف تربتها بأنها سبخة الأرض غير نقيّة التربة [4] ، وتحدث عن تربة مدينة زرنج * في إقليم سجستان بان أرضها

---

* لبدة : مدينة بين برقة وإفريقية ، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة وهو حصن من بنائه بالحجر والآجرّ وحوله آثار عجيبة ، ويسكن هذا الحصن قوم من العرب نحو ألف فارس يحاربون كل من حاربهم ولا يعطون طاعة لأحد - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 10 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 69 .

[2] فيليب رفله وآخرون ، جغرافية الوطن العربي ، ط4 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1971 . ص 189 - 190 .

* ببن : اكبر المدن بخرسان لها مياه كثيرة جارية وبساتين وكروم ، وبناؤهما من طين - الاصطخري ، مرجع سابق ، ص 269 .

* مرو الروذ : المرو: الحجارة البيض تقتدح بها النار ، والروذ : بالفارسية النهر ، فكأنه مرو النهر : وهي مدينة صغيرة قريبة من مرو الشاهجان بينهما خمسة أيام ، وهي على نهر عظيم فسميت بذلك ، خرج منها خلق من أهل الفضل - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 441 و494 .

[4] المرجع نفسه ، ص 30 و146 .

* زرنج : مدينة كبيرة وهي قصبة سجستان ، وسجستان اسم الكورة كلّها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 138 .

سبخة وجميعها رمال [1] ، وكذلك ذكر مدينة مرو * بخرسان بان أرضها سبخة وكثيرة الرمال أيضاً [2] .

ويشير ابن حوقل إلى مفازة (صحراء) خراسان وفارس وطبيعة تربتها فيقول : " وهذه المفازة مالحة التربة " [3] . وقد أصاب المؤلف في معظم ما أشار إليه من ارتفاع الجبال وجودة الترب والسبخات وأهميتها الرئيسة للإنسان في مزاولة مختلف الأنشطة اليومية فضلاً عن استغلال الموارد الطبيعية فيها .

فمن الناحية الطبيعية أقرَّ ابن حوقل بوجود العديد من الثروات المعدنية بوجود بعض المرتفعات الجبلية مثل معادن النوشاذر والزجاج والحديد والزئبق والنحاس والزنك والذهب والفضّة والنفط في جبال البتم (هندكوش) في إقليم ما وراء النهر [4] وجبال البارز * وجبال معدن الفضّة (جبال سليمان) في كرمان (جنوبي شرقي إيران) [5] وجبل شبام * (في اليمن) يرتفع منه العقيق والجزع

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 315 .

* مرو (مرو الشاهجان): هذه مرو العظمى أشهر مدن خراسان وقصبتها ، ولفظ مرو بالعربية يعني الحجارة البيض أما مرو ما زالت عجمية ، والشاهجان فهي فارسية معناها نفس السلطان لأن الجان هي النفس أو الروح والشاه هو السلطان ، سميت بذلك لجلالتها عندهم - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 112 - 113 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 434

[3] المرجع نفسه ، ص 407 .

[4] المرجع نفسه ، ص 488 .

* جبال البارز : من مشاهير جبال كرمان المنيعة وأخصبها ، فيها معادن حديد وفي جبال المعدن جبال وفيها فضة - المرجع نفسه ، ص 309 - 310 .

[5] المرجع نفسه ، ص 309 .

* جبل شبام : وهو جبل عظيم بصنعاء فيه شجر وعيون وشرب صنعاء منه ، وبينها وبينه يوم وليلة ، وهو جبل صعب المرتقى ليس إليه إلّا طريق واحد وفيه ، وكهوف عظيمة جدّا ويسكنه ولد يعفر ولهم فيه حصون عجيبة هائلة - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 318 .

والحجر المعروف بالجمست [1] وجبل بهستون جبل منيع لا يرتقي إلى قمته احد وفيه مكان يشبه الغار تجري منه عين ماء [2] .

أما جبل الحارث والحويرث * بمدينة دبيل * أعلى من جبل سبلان * ، بينما جبل سبلان أعلى من جبل دنباوند (البرز) إلا انه منقطع عنها [3] ، وذكر جبال الديلم (سلسلة جبال مكملة لجبال البرز) فيقول : " ويتصل بسلسلة جبال الديلم جبل دنباوند (البرز) " ويصفها بأنها مسكونة وعامرة بالزرع [4] ، وهنا لم يكتفِ ابن حوقل بذكر أهميتها من الناحية الاقتصادية لتوفر مصادر الثروة فيها بل تطرق إلى فوائد الجبال الأخرى ولاسيما من الناحية المناخية والحربية .

أما بالنسبة للنبات الطبيعي فهناك علاقة بين نوع النبات وبين موقع وارتفاع سطح الأرض ، فذكر وجود الغابات الكثيفة في المناطق الاستوائية مما يدل على إدراك ظاهرة كثرة الأمطار وارتفاع درجات الحرارة التي تتميز بها المنطقة بكثافة الغطاء النباتي ، وفي الوقت ذاته يذكر أهمية الغابات للإغراض الاقتصادية والمتمثلة بصناعة المراكب ومستلزماتها [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 37 .

[2] المرجع نفسه ، ص 372 - 371 .

* جبل الحارث والحويرث : جبلان بأرمينية فوقهما قبور ملوك أرمينية ومعهم ذخائرهم ، وقيل لا يقدر إنسان يصعد الجبل ، وقال المدائني: جبلا الحارث والحويرث اللذان بدبيل سميا بالحويرث بن عقبة والحارث بن عمرو القنويّين وكانا مع سلمان بن ربيعة بأرمينية ، وهما أول من دخل هذين الجبلين فسميا بهما - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 205 .

* دَبِيل : وهو ما قابلك من أطول شيء يكون من الرمل إذا واجه الصّحراء التي ليس فيها رمل فذلك الدّبيل ، وجمعها الدّبل ، وهو الكثيب الذي يقال له كثيب الرمل - المرجع نفسه ، ج2 ، ص 438 .

* جبل سبلان : جبل عظيم مشرف على مدينة أردبيل من أرض أذربيجان ، وفي هذا الجبل عدّة قرى ، والثلج في رأسه صيفا وشتاء - المرجع نفسه ، ج3 ، ص 186 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 372 .

[4] المرجع نفسه ، ص 357 - 371 .

[5] المرجع نفسه ، ص 123 .

أما في وصفه لأرض الشام والشكل (7) يوضح ذلك والتي تمتد بمحاذاة ساحل البحر المتوسط المواجهة لاتجاه الرياح الرطبة مما ساعد على نمو الأشجار المثمرة والغابات فيقول : " ومدينة دمشق في أرض مستوية قد دحيت بين جبال تحتفّ بها إلى مياه كثيرة وأشجار وزروع قد أحاطت بها متّصلة وتعرف تلك البقعة بالغوطة " ويقول أيضا : " وأكثر جبال فلسطين زيتون وتين إلى سائر الفواكه "[1].

أما في إقليم الجزيرة (شمال العراق) فيذكر ابن حوقل مدينة سنجار * فيقول : " والمدينة في سفح جبل خصب ولها أنهار جارية وعيون وأسقاء الذي تجود فيها زراعة الأشجار المثمرة كالجوز واللوز والزيتون والسمسم بسبب خصوبة تربته ووجود الموارد المائية " [2] .

2. الجغرافية المناخية

وبخصوص المناخ نجد لأبن حوقل اهتماماً كبيراً بالظواهر المناخية للأقاليم والمواقع والمدن التي وصفها سواء أكانت عبر رحلاته ومشاهداته الميدانية أم تلك المعلومات التي نقلها عن غيره من الجغرافيين أو الرحالة فيمكن أن نحدد المعلومات المناخية الآتية :

أ. فيما يتعلق بدرجات الحرارة التي تعد أحد أهم عناصر المناخ فأن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل تتمثل بتحدد المناطق الحارة أو المناطق الباردة ويوضح أثر كل منهما على قلة تركز السكان ونوع نشاطه فيكتب عن شدة الحر في إقليم أفريقيا الغربي (الواقع بين المحيط الأطلسي وشرق وادي النيل) فيقول : " وأمّا جنوبي الأرض من بلاد السودان التي ذكرت أنّها لا تنبت ولا عمارة فيها لشدّة

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 172 - 174 .

* سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بالعراق ، بينها وبين الموصل ثلاثة أيّام ، وهي عند جبل عال - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 262 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 220 .

شكل (7)

صورة أقليم الشام عند ابن حوقل

يتبين صدق تصور ابن حوقل بالنسبة لإمتداد السلسلة الجبلية الممتدة في إتجاه ساحل شرق البحر المتوسط باتجاه الشام .

المصدر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص166 .

الحرّ " [1] ، ومن المدن الأخرى ذات المناخ الحار التي ذكرها أيضاً : المدينة المنورة ومدينة جنابة على ساحل بحر فارس (الخليج العربي) ومدينة هرمز * ومدينة زرنج في إقليم سجستان [2] ومدينة المنصورة * بأرض السند [3] .

وتحدث أيضا عن مناطق الجروم (الحارة) في إقليم فارس وهي ذات مناخ شديد الحر فيقول عنها : " وأمّا الجروم فإنّ بها ما يبلغ من شدّة الحرّ في الصيف الصائف أن لا يثبت عندهم شيء من الطير لشدّة الحرّ " [4] . وقد نجح ابن حوقل في ربطه بين قلة أعداد السكان والطيور في المناطق شديدة الحرارة .

أما المناطق الشديدة البرودة فقد تحدث عن بعض مناطق فارس مثل مناطق الصرود * (الباردة) فيقول : " وأمّا الصرود ففيها أماكن تبلغ من شدّة البرد أن لا ينبت عندهم شيء من الفواكه والبقول سوى الزرع كالارد والرون " [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 15 - 16 .

* مدينة هرمز : هرمز من أسماء العجم ، وهرمز : مدينة في البحر إليها خور وهي على برّ فارس ، وهي فرضة كرمان إليها ترفأ المراكب ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كرمان وسجستان وخراسان ، ومن الناس من يسميها هرموز - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 402 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 414.

* مدينة المنصورة : مدينة كبيرة بأرض السند وهي قصبتها ، كثيرة الخيرات ولهم خليج من نهر مهران كانت تسمى همناباذ - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 211 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 320 .

[4] المرجع نفسه ، ص 288 .

* الصرود : المكان المرتفع في الجبال . البرد (أرض صرد) باردة ، وهي خلاف الجروم : أي الأرض الحارة - المنجد ، ص 401 .

[5] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 288 .

ومن المناطق الباردة التي ذكرها الباميان * وخوارزم وبلخ في إقليم خراسان [1] فيقول : " ويقع بها وفي نواحيها الثلوج العظيمة وهى من أكابر بلاد الصرود ويجمد بها الماء " [2] ووادي جيحون في بلاد ما وراء النهر يجمد في الشتاء وخاصةً ناحية خوارزم وعلى شط البحيرة يوجد جبل يعرف بجغراغر * يجمد عنده الماء ويبقى سائر الصيف [3] .

أما المناطق المعتدلة فذكر اعتدال مناخ مدينة صنعاء فيقول : " وهي من اعتدال الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفا عمره (أي مناخ ربيعي معتدل) ويتقارب بها ساعات الليل والنهار لأنّ محور الشمس عليها معتدل " [4] ، ومن المناطق المعتدلة أيضاً مدينة الطائف في الحجاز ومدينتي ببن ومرو الروذ بإقليم خراسان [5] وقد ربط ابن حوقل بين اعتدال مناخ هذه المدن وكثرة السكان فيها ، كما بين أسباب اعتدال مناخ الطائف عازياً ذلك إلى ارتفاع منسوبها عن مستوى سطح البحر إذ يقول : " والطائف مدينة صغيرة .. نحو وادي القرى كثيرة الشجر والثمر وهى طيّبة الهواء وهى على ظهر جبل .. وليس بالحجاز فيما علمته مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل ولذلك اعتدل هواء الطائف " [6] . وهذا يعني تمكنه من إدراك العلاقة بين الارتفاع عن مستوى سطح البحر واعتدال المناخ .

---

* الباميان : بلدة وكورة في الجبال بين بلخ وهراة وغزنة ، بها قلعة حصينة ، خرج من هذه المدينة جماعة من أهل العلم - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 330 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 453

[2] المرجع نفسه ، ص 451

* جبل جغراغر : يقع على شط بحيرة خوارزم ، هضبة الباميرحالياً .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 481 .

[4] المرجع نفسه ، ص 36 - 37 .

[5] المرجع نفسه ، ص 443.

[6] المرجع نفسه ، ص 32 .

ب. أما عن الرياح وأهميتها فقد تحدث عن طرق استغلالها في الأنشطة التجارية البحرية فيقول عن مدينة زرنج في سجستان : " أن رياحها دائمة وشديدة حتى أنهم قد نصبوا عليها أرحيةً لطحن قمحهم يديرونها بالريح " [1] ، وفي موضع أخر من شبه جزيرة العرب يصف مدينة الطائف فيقول : " بأنها طيبة الهواء " [2] ، فمصطلح الهواء الطيب ورد كصفة لمدينة الطائف فقد بين المقدسي اصطلاح (طيب الهواء) بقوله : " وأما طيب الهواء فأنه لا سمّ لبردها ولا أذى لحرها " [3] .

وأشار أيضاً إلى رياح البحر وتأثيرها على حركة الأمواج والسفن فيقول : " إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم دائما الريح البحريّة فيشتدّ الموج لانكشافه ويصعب الإرساء فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوّعين فيقيّد المركب ويرسى به " [4] وهذا يعني أنه أدرك العلاقة بين خطر الملاحة البحرية وشدة الرياح .

ج. وعن الأمطار والثلوج أشار إلى قلة الأمطار في مصر [5] ، وذكر أن سقوطها كان يتم في فصلي الشتاء والصيف في إقليم الديلم وطبرستان بقوله : " لا تخلو جرجان وطبرستان شتاؤهم وصيفهم من الأمطار الدائمة الكثيرة العظيمة المؤذية المضجرة القاطعة للغريب عن الأشغال الصادّة عن المهمّات من الأعمال ويقول أيضاً : " وطبرستان إقليم كثير الأمطار وربّما اتّصل المطر سنة جرداء فلا يرون فيها الشمس وسطوحهم مسنّمة بالقراميد " [6] ،

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 415 .

[2] المرجع نفسه ، ص 32 .

[3] المقدسي ، مرجع سابق ، ص 166 .

[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 69 - 70 .

[5] المرجع نفسه ، ص 147 .

[6] المرجع نفسه ، ص 381 - 382 .

وقد وفق ابن حوقل في إدراك العلاقة بين كثرة الأمطار والأضرار التي تخلفها من أمراض وتشريد للإنسان وتلف المحاصيل الزراعية .

أما الثلج فقد ورد بوصفه أحد أنواع التساقط التي ذكرها في مواضع عديدة منها مدينتا حلوان بإقليم الجبال من شمال العراق الحالي ومدينة جرجان [1] .

وبالنسبة للضباب فتطرق إلى هذه الظاهرة باعتبارها مظهراً من مظاهر التكاثف الذي يحدث فوق الماء واليابس فيقول : " وسقوط الثلج بحيث ينكر المرء من لديه على خطواتٍ ولا يراه للضباب " [2] .

كما بين السبب وراء تباين لون البشرة عند الإنسان ويعود السبب في ذلك إلى الاقتراب أو الابتعاد عن خط الاستواء فيقول : " فما كان في حدّ الشمال من هذين القسمين فأهله بيض وكلّما تباعدوا في الشمال ازدادوا بياضاً وهي أقاليم باردة ، وما كان ممّا يلي الجنوب من هذين القسمين فأهله سود وكلّما ازدادوا تباعدا في الجنوب ازدادوا سواداً وأعدل هذه الممالك في الخطّ المستقيم وما قاربه " [3] ،

إذ كما هو معلوم أن العامل الذي يؤثر بصورة مباشرة على طبائع وبشرة الإنسان وسلوكه يتمثل في المناخ فهو السبب الرئيس لاختلاف الاجناس بين بني البشر من حيث شكل وحجم ولون البشرة [4] .

مما سبق يبدو إن ابن حوقل قد نجح في إدراك العلاقة بين المناخ والظواهر الجغرافية وتأثيرها على الإنسان إذ يعد من الجغرافيين الحتميين [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 368 - 382 .

[2] المرجع نفسه ، ص 102 .

[3] المرجع نفسه ، ص 10 .

[4] علي حسن موسى ، المناخ الحيوي ، ط1 ، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2002 . ص 167 .

[5] علي وهب ، الجغرافية البشرية ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1986 . ص14 .

فقد أصاب في كلامه السابق فالمعلوم إذا ما اقتربنا من المناطق الاستوائية يزداد لون البشرة سواداً (الجلد الأسود أو الداكن) وإذا ما اقتربنا من المناطق الباردة يزداد لون البشرة بياضاً (الجلد القوقازي أو الفاتح) ويعود السبب في ذلك لوجود طبقة الحبيبات (الميلانين) في جلودهم السميكة لتحميه من الحر الشديد فأعطت اللون القاتم ، أما في المناطق الشمالية فلا وجود لطبقة الحبيبات هذه تحت طبقة الجلد الفاتح [1] .

ولتوضيح الصورة بشكل أكثر دقةً لابد من التطرق إلى ما جاء في مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن اذ يعد أبرز الجغرافيين والمؤرخين والفلاسفة المسلمين والعرب الذي أهتم بدراسة العلاقة بين البيئة وجسم الإنسان وطبائعه ، وهنا يتحدث عن تباين أحوال العمران في الخصب والجوع وما ينتج عن ذلك من آثار في أبدان البشر وأخلاقهم فيقول : " لقد بينا أن المعمور في هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب منه والبرد في الشمال ولما كان السودان ساكنين في الإقليم الحار واستولى الحر على أمزجتهم وفي أصل تكوينهم .. كان في أرواحهم من الحرارة على نسبة أبدانهم وإقليمهم " ، ويقول أيضاً : " إن الأقاليم المعتدلة ليس كلها فيها الخصب .. وتجد الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في أجسامهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش فألوانهم أصفى وأبدانهم أنقى وأشكالهم وأحسن وأخلاقهم أبعد من الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراك " [2] . وهذا ما نادى به عدد من الجغرافيين الذين بحثوا في مبدأ الحتمية في العصر الحديث أمثال بودان الذي ربط بين علاقة المناخ وطبائع

---

[1] علي حسن موسى ، مصدر سابق ، ص 87 - 88 .

[2] أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ج1 ، دار القلم ، بيروت ، 1981 . ص34- 35 .

البشر ومونتسكيو الذي كان متحمساً لدراسة مبدأ الحتمية الجغرافية لذلك حاول الربط بين المناخ والتربة وطبائع البشر واعتبر أن المناخ لا يشمل فقط درجة الحرارة [1] .

3. **الموارد المائية وتشمل** :-

أ. المياه السطحية

عدَّ ابن حوقل المياه السطحية احدى أهم المظاهر الطبيعية لما لها من اثرٍ في تشكيل التضاريس فقد ذكر الأنهار الرئيسة ومنابعها والخريطة (5) توضح ذلك ، وإضافة للمناطق التي تجري فيها والجداول التي تتفرع منها ووصف مجراها وصلاحية الملاحة النهرية فيها ، وفيما يتعلق بنهر النيل فقد تابع جريانه حتى المصب ووصفه بقوله : " وعلى النيل مضيقان بين جبلين قد قطع كلّ واحد منهما ليستمرّ الماء في طريقه وبالنيل موضعان يعرفان بالجنادل * أحدهما فوق أسوان لا تقدر المراكب أن تسير فيه لوعورته والثاني بالقرب من دنقلة " [2] .

---

[1] علي وهب ، مصدر سابق ، ص 15 .

* الجنادل : جمع جندل ، وهي الحجارة : موضع فوق أسوان بثلاثة أميال في أقصى صعيد مصر قرب بلاد النوبة ، قال أبو بكر الهروي : الجنادل بأسوان وهي حجارة ناتئة في وسط النيل ، فإذا كان وقت زيادته وضعوا على تلك الجنادل سرجا مشعولة ، فإذا زاد النيل وغمرها أرسلوا البشير إلى مصر بوفور النيل ، فينزل في سفينة صغيرة قد أعدّت له فيستبق الماء يبشر الناس بالزيادة - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 166 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 145 .

خريطة(٥) الأنهار الرئيسة في الدولة العربية الإسلامية

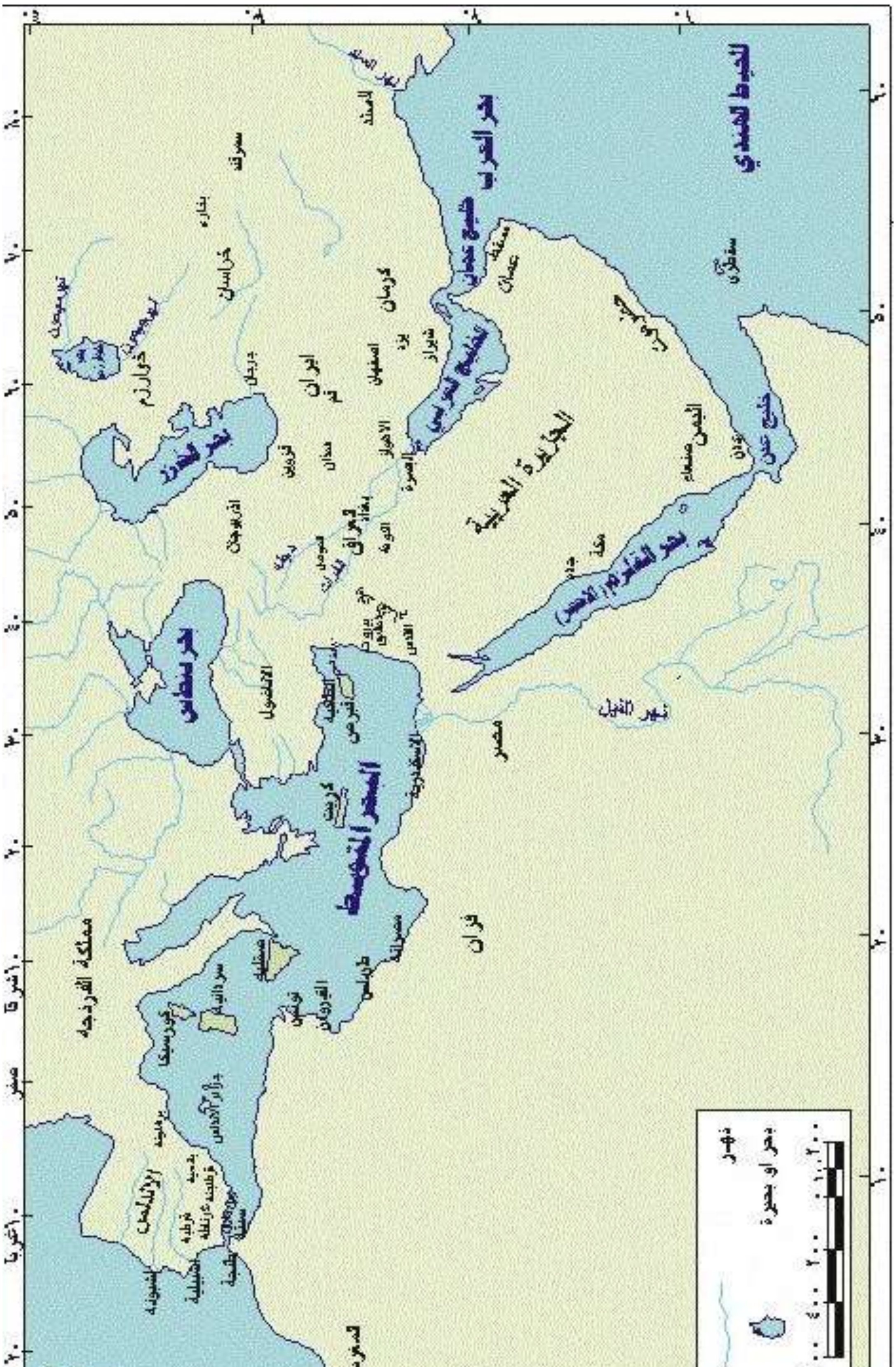

المصدر : حسين مؤنس ، اطلس تاريخ الاسلام ، ط1 ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص١٠٧

ويتحدث عن منبع نهر النيل فيقول : " وماء النيل فلا يعلم أحد مبتدأه .. وأنه يخرج من مفاوز وراء بلاد الزنخ " [1] إلا أنه أشار إلى بعض منابعه التي تقع في جبل القمر (جبال كلمنجارو حالياً) ولم يتمكن من تحديد منابعه بالضبط ، ويرى كبار الجغرافيين والرحالة أن منبع نهر النيل من جبال القمر أو من وراء أرض الزنج نفسها [2] .

أما الإدريسي فقد اهتم بنهر النيل وكان دقيقاً جداً في تحديد مجراه ومنابعه وبحيراته المختلفة وأشار إلى برك النوبة وما بها من تماسيح وأسماك وما بالسودان من فواكه ونبات وأعطى لحوض البحر المتوسط عناية خاصة في كتاباته الجغرافية معداً أنه يشكل مهداً للحضارات العريقة ومكاناً لتطور البحث الجغرافي .

إلا أنه مما يأخذ على ابن حوقل أنه لم يذكر مدى عمق هذا النهر عند منبعه أو كونه سريع الجريان وشكله الذي يشبه الحرف v باللغة الانكليزية بسبب شدة انحدار سطح الأرض سواء أكان ذلك في المنطقة الجبلية أم في حالة خروجه من البحيرات .

وتطرق أيضاً إلى صلاحية بعض الأنهار للنقل والملاحة ، فعن نيل مصر ذكر أن المراكب تصعد فيه إلى مدينة أسوان لوجود الجنادل إلى الجنوب منها ولهذا تعد المساقط المائية التي تنحدر منها كحد للمراكب المصرية المتجهة نحو الجنوب ، ولمراكب أهل مدينة النوبة المتجهة نحو الشمال [3] . وقد ذكر المسعودي هذه الجنادل بقوله : " أنها مواضع فاصلة بين سفن الحبشة في نهر النيل وسفن المسلمين " [4] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 147 - 148 .

[2] أندريه ميكيل ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 196 .

[3] ابن سعيد ، مرجع سابق ، ص 116 .

[4] المسعودي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 100 .

أما بالنسبة لنهري دجلة والفرات فيذكر ابن حوقل أن منابعهما تقع في منطقة جبلية تكثر فيها العيون المائية والثلوج بسبب عامل الارتفاع فضلاً عن سقوط الأمطار خلال فصل الشتاء مما أدى إلى وجود روافد تضيف إليها مياه كثيرة مثل رافد الخابور * الذي يعد الرافد الأول الذي المغذي نهر دجلة بالمياه داخل العراق وتقع منابعه قرب مدينة رأس العين * فيقول : " ويخرج منها فوق ثلاثمائة عين ماء جارية كلّها صافية وتجتمع هذه المياه حتّى تصير نهراً واحداً ويجري على وجه الأرض فيعرف بالخابور " [1] وإلى الجنوب منه رافدا الزاب الكبير والصغير والنهروان وتامرا (ديالى) * [2] .

وذكر الجداول (الفروع) التي تأخذ مياهها من نهري دجلة والفرات مثل نهر عيسى والصراة * الذي يصفه بأنه من الأنهار الكبيرة التي تخرج من نهر الفرات فيسقي من الضياع عدد أيام الشهور ثم يصب في نهر دجلة [3] .

---

* الخابور : هو اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة ، ولاية واسعة وبلدان جمة غلب عليها اسمه فنسبت إليه ، وأصل هذا النهر من العيون التي برأس عين - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 334 .

* رأس العين : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة الفراتية بين حرّان ونصيبين ودنيسر ، وبينها وبين نصيبين خمسة عشر فرسخا وقريب من ذلك بينها وبين حرّان ، وهي إلى دنيسر أقرب ، وفي رأس عين عيون كثيرة صافية تجتمع كلّها فتصير نهر الخابور- المرجع نفسه ، ج3 ، ص 13 - 14.

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 221 - 222 .

* ديالى : نهر كبير بقرب بغداد ، وهو نهر بعقوبا الأعظم يجري في جنبها ، ويسمى نهر تامِرّا - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ،ج2 ، ص495 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 242 .

* الصراة : نهر يتشعب من الفرات ويجري إلى بغداد ، ويقال الصرا ، أي قطع من نهر الفرات - أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (ت 487هـ -)، معجم ما أستعجم ، ط3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1982 . ج3 ، ص 829 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 242 .

ويتضح أن السبب في ذلك هو انحدار سطح أرض العراق في مدينة بغداد من جانب نهر الفرات إلى جانب نهر دجلة بدليل اتجاه الجداول بهذا الاتجاه .

كما لم يغفل ابن حوقل مواقع المدن على جانبي النهر عند وصفه لانهار العراق فقد أشار إلى موقع مدينتي الموصل وتكريت على الضفة الغربية لنهر دجلة ، فضلاً عن موقع مدينتي بالس * والرحبة * على الضفة الغربية لنهر الفرات [1] .

أما بالنسبة للجزر التي تقع في مجاري النهرين فقد ذكر منها جزيرة ابن عمر * على نهر دجلة وجزيرة عانة على مجرى نهر الفرات فيقول : " وعانة مدينة صغيرة في وسط الفرات " [2] .

وفي أثناء تتبعه مجرى نهر دجلة يذكر البطائح * التي تقع في القسم الجنوبي من العراق مكتفياً بذكر المصادر التي تغذيها بالمياه والمتمثلة بنهري دجلة والفرات بالدرجة الأولى ومصادر ثرواتها الطبيعية وطبيعة النشاط البشري فيها دون الإشارة إلى سبب تكوينها والذي يعود إلى تخلفها عن الإرساب في أثناء بناء السهل الرسوبي في العراق . وفي جانب نهر الفرات يذكر بطائح الكوفة التي تتجمع فيها المياه من فائض الفرات [3] .

---

* بالس : بلدة بالشام بين حلب والرّقة ، وكانت على ضفّة الفرات الغربية - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 328 .

* الرحبة : ناحية بين المدينة المنورة والشام قريبة من وادي القرى - المرجع نفسه ، ج3 ، ص 33 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 208 - 209 .

* جزيرة ابن عمر : بلدة شمال الموصل ويحيط بها دجلة مثل الهلال - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص138 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 224 - 228 .

* البطائح ، وتبطّح السيل إذا اتّسع في الأرض ، وبذلك سمّيت بطائح لأن المياه تبطّحت فيها أي سالت واتّسعت في الأرض : وهي أرض واسعة بين واسط والبصرة ، وكانت قديما قرى متّصلة وأرضا عامرة ، فزادت مياه دجلة والفرات ، فتبطح الماء في تلك الديار والعمارات والمزارع فطرد أهلها عنها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 450 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 231 .

وعلى أية حال فإن هذا الحديث الواسع للأنهار والأودية كان يصب في اهتمامات ابن حوقل القائمة على تقديم وصف مفيد لاقتصاديات بلاد الإسلام التي تعتمد في جانب كبير منها على النشاط الزراعي المرتبط بتلك الأنهار والوديان ، كما أشار إلى حركة الملاحة النهرية والنقل النهري ومثال على ذلك حينما يتحدث عن وادي سفدد فيقول : " واد كبير عظيم غزير الماء يحمل المراكب " [1] . وهو جانب مهم ورئيس عرفته البلاد الإسلامية وزاولته .

إن ابن حوقل حين أشارته إلى هذه الأنهار يلاحظ عليه انه لم يفطن إلى ذكر كيفية تكوينها أو نشأتها وهو أمر فطن إليه بعض الجغرافيين المسلمين بحسهم الجغرافي منهم القزويني الذي لديه اراء علمية قيمة حول نشأة الأنهار ومنابعها [2] ، كما أنه لم يهتم بتوضيح أغلب منابع هذه الأنهار وأن لم يغفل الإشارة إلى مصباتها ، إذ حدد مصبات تلك الأنهار في البحار والمحيطات والخلجان كتحديده مصبات الأنهار في بحار بلاد المغرب العربي والأندلس وجزيرة صقلية) أي في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي .

وختام الحديث عن المصادر المائية (التي تعد مصدراً من مصادر الري والسقي إلى جانب الآبار والعيون التي بلغت في بلاد الإسلام عدداً كبيراً) يتحدث ابن حوقل عن العيون بمدينة رأس العين بقوله : " وفيها من العيون أكثر من ثلاثمائة عين ماء جارية كلها صافية " [3] وقد بذل جهداً في تتبع جريانها ، فضلاً عن أهميتها في الجانب الزراعي والشرب .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 79 .

[2] محمد محمود محمدين ، مصدر سابق ، ص 251 - 253 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 221 - 222 .

ب. المياه الباطنية

لم يكتف بمناقشة الأنهار وما يرتبط بها بل تطرق إلى مصدر آخر للمياه هو المياه الباطنية ، فذكر ابار مكة ومنها زمزم * وفي وصفه لمدينة ينبع بين المدينة المنورة وخيبر يربط وجود الخضرَة والحصن بالعيون المائية التي تشتهر بها المدينة فيقول : " وينبع حصن به نخيل وماء وزرع " [1] .

وفي وصفه لجبل سنجار يذكر المياه الجارية والوديان المنحدرة منه باتجاه الجنوب منه مما يدل على انحدار السطح الأرض بهذا الاتجاه فذكر مصادر مياهها التي تعتمد على العيون المائية الموجودة فيه [2] بسبب غزارة سقوط الأمطار .

ويصف مدينة القدس أيضاً بقوله : " وليس ببيت المقدس ماء جارٍ سوى عيون ماء ... وعليها شجيرات وهى من أخصب بلاد فلسطين " [3] .

4. جغرافية البحار والمحيطات

تناول ابن حوقل المسطحات المائية المتمثلة بالبحار والمحيطات فذكر أسماءها ومواقعها وجزرها وموانئها ومراكز الاستيطان فيها والثروات الطبيعية التي تحويها ، فضلاً عن النشاطات الاقتصادية الأخرى .

---

* زمزم : وهو البئر المبارك المشهور ، قيل : سمي زمزم لكثرة مائها ، وقيل: سميت بضمّ هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، لمائها حين انفجرت وزمّها إيّاه - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 147 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 33 .

[2] المرجع نفسه ، ص 220 .

[3] المرجع نفسه ، ص 171 .

في ثنايا صفحات كتاب صورة الأرض ذكر ابن حوقل البحر الذي يحيط بالأرض من جميع جهاتها فيقول : " والبحر المحيط * محتفّ بالأرض كالطوق ومأخذ بحر فارس البحر الأعظم * (المحيط الهندي) وبحر الروم (البحر المتوسط) من البحر المحيط " [1] الذي تقع فيه جزر الخالدات ومنها اخذ بطليموس الأطوال [2] . كما تحدث عن البحار المحيطة ببلاد الإسلام ويسمي كل بحر بإسم الموضع الذي يمر بمحاذاته والشكل (8) يوضح ذلك .

كما أشار إلى البحار التي تتشعب من البحر المحيط فيقول : " وأمّا البحار فأشهرها اثنان وأعظمها بحر الهند ثمّ بحر الروم وهما خليجان متقابلان يأخذان من البحر المحيط وأفسحهما طولاً وعرضاً بحر الهند " ويصفه بأنه أعظم البحار ويمتد طوله من بلد الصين إلى القلزم (السويس)* ويحف على جزيرة العرب إذ أنه يبدأ من القلزم (السويس) وينتهي إلى أيلة (العقبة) * شرقاً ويحف بحدود الجزيرة العرب إلى مدينة عبادان ، ثم مدن مهروبان وجنابة وسيراف ثم سواحل هرمز من وراء كرمان إلى الديبل وسواحل الملتان (ساحل السند) إلى أن ينتهي حد الإسلام ثم يمتد إلى سواحل الهند والتبت وينتهي في أرض الصين [3] .

---

* البحر المحيط : سمي محيطاً لإحاطته بجميع القدر المكشوف من الأرض ، ولهذا كان يسميه أرسطو بـ(الإكليلي) لأنه شكله حول الأرض كالإكليل على الرأس - أبو الفدا ، مرجع سابق ، ص19 .

* بحر فارس البحر الاعظم (المحيط الهندي) : تسمية تطلق على البحار المحيطة بالجزيرة العربية - الاصطخري ، مرجع سابق ، ص 28 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 12 .

[2] بطليموس ، كتاب الجغرافيا ، مج 1 ، ص 39 .

* القلزم (السويس) : بليد على ساحل بحر القلزم من نواحي مصر وهو ميناء أهل مصر اليوم - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 286 .

* أيله (العقبة) : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل : هي آخر الحجاز وأول الشام - المرجع نفسه ، ج1 ، ص 292 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 11 .

شكل (8)

البحر المحيط بالارض

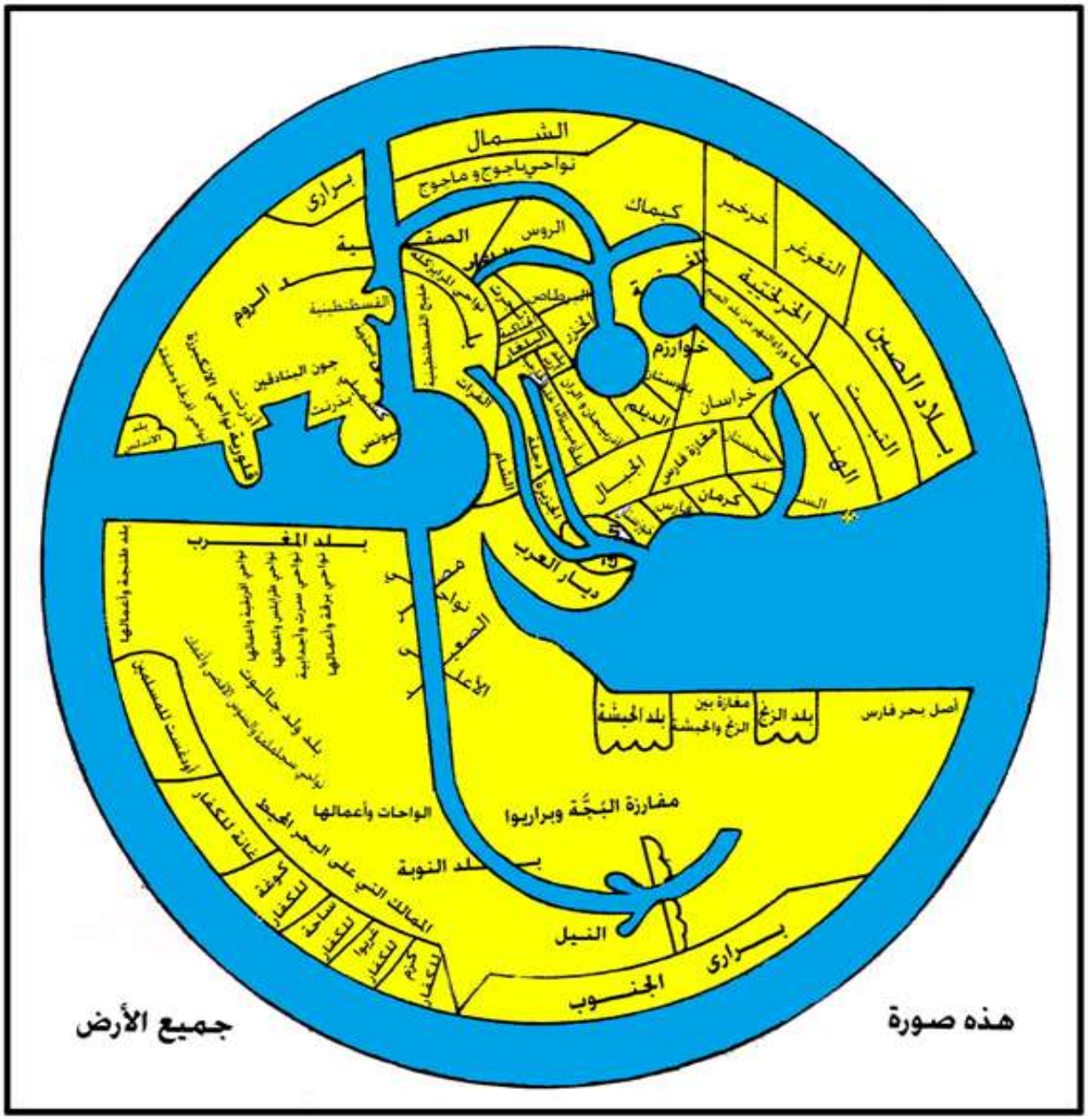

رسم ابن حوقل العالم على شكل قرص بأسلوب هندسي بسيط وبالرغم من تصوير ابن حوقل للعالم والممالك بهذه الطريقة إلا أنه ذكر في كتابه مساحة كل ناحية ومقدار طولها وعرضها وإستدارتها وموقع المدن وحدودها بالنسبة للجهات الأربع .

المصدر : ابن حوقل صورة الأرض ، مطبعة بريل ، ليدن ، ص٨ .

لأننا نعلم بان المحيط الهندي يمتد حتى سواحل الهند وينتهي في أرض الصين التي يحدها بحر يدعى ببحر الصين ، لذا يمكن القول إنّ ابن حوقل قد أصاب في وصفه وتحديده لبحر الهند كما يطلق عليه كثير من الجغرافيين العرب ، أما جانبه الغربي الذي يبدأ من القلزم (السويس) إلى حدود أرض مصر حتى يمتد إلى بلاد البجة ثم إلى مدينة عيذاب * التي يوجد فيها عدد من الجزر الغنية بالمعادن واللؤلؤ وغيرهما ، إذ ذكر ابن حوقل أن هذه الجزر تشتهر بالموارد الطبيعية الوافرة فيقول : " ثمّ تمتدّ في مفاوز للبجة كان بها معدن الزمرّد وشيء من معادن الذهب إلى مدينة عيذاب ، ثمّ سواكن ، وهى ثلاث جزائر بها مغاص اللؤلؤ " ، ثم يمتد البحر على بحر الحبشة إلى أن يصل بلاد النوبة وبعدها ينتهي ببلد الزنج (سكان أفريقيا بالساحل الشرقي) [1] .

أما بالنسبة للبحر الأحمر (بحر القلزم) الذي يمتد من مدينة القلزم (السويس) إلى أرض اليمن امتداداً طولياً يضيق في قسمه الجنوبي لوجود الجبال ، كما ذكر صلاحية هذا الممر البحري لمرور المراكب ويتسع في قسمه الشمالي في اليمن [2] .

ويصف هذا البحر بأنه كثير الأودية التيارات البحرية ، وبالنسبة لجزر بحر القلزم التي تقع قرب سواحل شبه جزيرة العرب يذكر على سبيل المثال جزيرة دهلك * الواقعة على مقربه من ساحل اليمن ، أما نشاطها فيتمثل بالاعتماد على عشور التجارة (تجارة المرور) حيث تؤخذ الضرائب على المراكب [3] .

---

* عيذاب : بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 171 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 42 .

[2] المرجع نفسه ، ص 44 - 46 .

* جزيرة دهلك : اسم أعجمي معرب : وهي جزيرة في بحر اليمن ، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة ، بلدة ضيّقة حرجة حارة - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 492 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 24 .

أما تاران (جزيرة تيران) * التي يعتمد سكانها على صيد الأسماك فيقول : " وهو أخبث ما في هذا البحر من الأماكن وذلك أنّه دوّارة ماء كالدردور * في سفح جبل إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين فتنزل على شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كليهما فتثير البحر وتتبلّد كلّ سفينة فيه تقع في تلك الدوّارة باختلاف الريحين وتتلف فلا يسلم المركب " [1] .

ويذكر أيضا منطقة جيلان على مقربة من جزيرة تيران التي تهيج فيها مياه البحر فيقول : " وتتلاطم أمواجه باليسير من الريح " [2] . وبهذا أدرك أن سبب حدوث هذه الظواهر هي بفعل حركة الرياح وأن لها اهمية في الملاحة .

كما ذكر ابن حوقل الخليج العربي ويصفه بأنه كثير الأهوار والمعاطف الصعبة خصوصاً ما بين مدينتي جنابة والبصرة ، ومن خلال تعرضه إلى ظاهرتي المد والجزر التي تحدث في الليل والنهار مرتان فيقول : " ولهذا البحر مد وجزر في اليوم والليلة مرتان " وأثرها في حركة الملاحة في منطقة شط العرب ، وهذا ما توصل إليه العلماء حديثاً بان ظاهرة المد والجزر تحدث مرة واحدة كل (12) ساعة . ومن خلال تعرضه للجزر التي تقع في هذا الممر المائي مثل جزيرة خارك (خرج) * التي عدَّها من الجزر الصغيرة إذ يعتمد سكانها على الغوص لاستخراج

---

* تاران : جزيرة في بحر القلزم بين القلزم وأيلة ، يسكنها قوم من الأشقياء يقال لهم بنو حدّان ، يستطعمون الخبز والسمك ، وليس لهم زرع ، وبيوتهم السفن المكسرة ، قال أبو زيد : في بحر القلزم ما بين أيلة والقلزم مكان يعرف بتاران ، وهو أخبث مكان في هذا البحر ، وذاك أن به دوران ماء في سفح جبل ، إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين فتلقي المركب بين شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كليهما كل واحدة مقابلة للأخرى ، فيثور البحر على كل سفينة باختلاف الريح فتنقلب ولا تسلم أبداً - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 6 .

* الدردور : الريح - المنجد ، ص 194 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 46 .

[2] المرجع نفسه ، ص 46 .

* خارك : جزيرة في وسط البحر الفارسي (الخليج العربي) ، وهي جبل عال في وسط البحر، إذا خرجت المراكب من عبّادان تريد عمان وطابت بها الريح وصلت إليها في يوم وليلة ، يقابلها في البرّ جنّابة ومهروبان - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 337 .

اللؤلؤ الطبيعي ، فضلاً عن وجود جزر صغيرة بجوارها مأهولة فيها مياه عذبة وزروع وماشية ويعتمد سكانها على التجارة أيضا [1] .

وأمّا بالنسبة للبحر المتوسط (بحر الروم) الذي يأخذ من البحر المحيط (المحيط الأطلسي) ويبدأ من عند مدينة طنجه من الجانب الجنوبي وبلاد الأندلس من الشمال في الخليج (مضيق جبل طارق) الذي بين بلاد المغرب والأندلس حتى ينتهي إلى الثغور في بلاد الشام التي كانت تعرف بالشامية ويحدثنا عنه فيقول : " بأنه أحسن استقامة وأستواءً من الخليج الفارسي (الخليج العربي) " وهذا ما يلاحظ على البحر المتوسط بقلة تعرجاته مقارنةً مع الخليج العربي [2] .

ويصفه بأنه خليج من البحر المحيط مخرجه بين الأندلس وطنجة وسبتة التي تحاذي من ناحية الأندلس لجزيرة جبل طارق وأشبيلية ، وهو ضيق المساحة ثم يتسع كلما اقتربنا من سواحل مصر والشام ويتجه إلى سواحل بلاد الروم حتى يصل إلى خليج القسطنطينية ثم سواحل أثينا (اليونان) ثم يتصل ببلاد الأندلس فيمضي على البحر المحيط إلى مدينة شنترين * وهي اخر بلاد الإسلام من ناحية الأندلس وجانب بلاد الروم [3] .

ثم ينتقل إلى وصف بحر عدن (خليج عدن) إلى عمان وهو بحر يعرض حتّى يقال أنّ عبره إلى بلد الزنج سبع مائة فرسخ وهو بحر مظلم أسود لا يرى ممّا فيه شيء [4] . ويتحدث عن منطقة عدن الغنية باللؤلؤ كما ترسو السفن التجارية في سواحلها لنقل السلع الغذائية مثل العنبر وغيره .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 46 - 47 .

[2] المرجع نفسه ، ص 11 - 12 .

* شنترين : كلمتان مركبة من شنت ورين : مدينة متصلة الأعمال بأعمال تاجه في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط ، وهي الآن للإفرنج ملكت في عام 543 - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 367 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 190 .

[4] المرجع نفسه ، ص 46 .

وبالنسبة للبحار الداخلية يذكر ابن حوقل بحر قزوين (بحر الخزر) ويصف مياه هذا البحر بقوله : " فأمّا بحر الخزر فليست له مادّة من شيء من هذين البحرين (المحيط الهندي والبحر المتوسط) بوجهٍ ولا سبب " [1] . فقد نجح ابن حوقل في إثبات هذا الوصف حيث أن بحر قزوين لا يأخذ من البحر المحيط بخلاف المحيط الهندي والبحر المتوسط ، ويذكر بان مياهه مالحة ولا مدّ له ولا جزر قعره مظلم بخلاف البحر الأحمر والمحيط الهندي [2] .

ويذكر الأنهار التي تصب في بحر قزوين كنهر اتل * (الفولكا) ونهر الكر * ونهر الرس * ، أما نوعية المياه فيها فيقول : " ومياه الديلم وطبرستان ونواحي الغزّيّة (جنوبي بحر قزوين) وجميعها مياه عذبة وإنّما تربتها فاسدة " [3].

أما بحيرة خوارزم (بحر الاورال) فيذكر أنها لا تتصل ببحر ويصفها بقوله : " ودور بحيرة خوارزم نحو مائة فرسخ وماؤها مالح وليس لها مغيض ظاهر ويصب فيها نهر جيحون ونهر الشاش (سيحون) وغير ذلك من مياه تلك النواحي فلا يعذب ماؤها ولا يزيد فيه على صغرها ، أما عن مياه الأنهار التي تصب بها فلا تؤثر على ملوحتها وزيادة منسوبها [4].

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 13 .

[2] المرجع نفسه ، ص 388 .

* أتل : اسم نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمرّ ببلاد الروس وبلغار ثم يصب بالبحر ، و أتل قصبة بلاد الخزر ، والنهر مسمّى بها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 87 - 88 .

* نهر الكر : نهر بين أرمينية وأرّان يشقّ مدينة تفليس ، وبينه وبين برذعة فرسخان ، ثم يجتمع هو ونهر الرّسّ ثم يصبّ في بحر الخزر - المرجع نفسه ، ج4 ، ص 451 .

* نهر الرس : واد عجيب بأذربيجان فيه من السمك أصناف كثيرة ، وزعموا أنّه يأتيه في كلّ شهر جنس من السمك - المرجع نفسه ، ج3 ، ص 44 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 13 .

[4] المرجع نفسه ، ص 13 - 481 .

وأما البحيرة التي بأرض مصر فتعرف ببحيرة تنيس * فيقول عنها : " فهي بحيرة إذا امتدّ النيل في الصيف عذب ماؤها وإذا جزر في الشتاء إلى أوان الحرّ غلب ماء البحر عليها فملح ماؤها وغاص فيها ماء النيل وفيها مدن كالجزائر يحيط ماء البحيرة بها ولا طريق إليها إلّا في السفن من أجلّ جزرها تنّيس ، كما تشتهر بالأسماك ويوجد في هذه البحيرة سمكة الدولفين " [1] .

5. **الجغرافية الحيوية** :

أ. **الثروة النباتية** :

لقد ذكر الغطاء النباتي وعده مصدراً من مصادر الثروة ويختلف كماً ونوعاً تبعاً لاختلاف العوامل التي تطرق إليها التي أثرت في وجوده في مناطق دون أخرى فعلى سبيل المثال يذكر انتشار الغابات الكثيفة في المناطق المدارية مما يدل على إدراكه العلاقة بين كثرة الإمطار وارتفاع درجات الحرارة التي تتصف بها المنطقة بكثافة الغطاء النباتي ، ويذكر أهمية هذه الغابات للإغراض الاقتصادية والمتمثلة ببناء المنازل والإغراض المنزلية الأخرى [2] .

وتطرق ابن حوقل إلى الحشائش التي تنتشر في مناطق تبعد عن المنطقة الاستوائية مما يدل على قلة سقوط الأمطار كلما اتجهنا شمالاً ، لذلك تحول الغطاء النباتي من غابات إلى حشائش . وهنا يذكر استعمالها للأغراض الصناعية مثل

* تنيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقيّها ، وبها تعمل الثياب الملونة والفرش - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج2 ، ص51 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 156 .

[2] المرجع نفسه ، ص 239 - 280 .

وجود البربير (البردي) في مصر الذي يعمل منه الطوامير (الورق) ويعمل منه الحبال لمراكب أهل صقلية نظراً إلى كثرته [1] .

ب. الثروة الحيوانية :

تعد الثروة مصدراً مهماً من مصادر الثروة والدخل القومي للعديد من الأمم التي نالت منزلة خاصة بسبب ملائمة الظروف البيئية لوجودها ، وأورد ابن حوقل أنواعا من هذه الثروة كالإبل والماشية من الأبقار والأغنام [2] .

وفي بلاد النوبة وأرض الحبشة يكثر توجد الحيوانات الكبيرة الحجم مثل الابل والفيلة التي تستخدم لأغراض النقل والتجارة ، وفي مجرى وادي النيل يذكر وجود التماسيح والأسماك كالسقنقور التي تعتبر من المصادر المهمة التي يعتمد عليها السكان في حياتهم اليومية [3] .

كما ذكر أنواعاً كثيرة من الحيوانات كالخيول والأغنام والماعز والحمير والبغال في شبه الجزيرة العربية ومصر والسودان ، وتحدث عن المناطق التي يكثر فيها النحل لإنتاج العسل في بلاد المغرب ومدن البحر المتوسط وأرض السند [4] . وبذلك قدم توزيعاً جغرافياً مميزاً يمكن الوثوق به في بيان حيوانات كل إقليم من الأقاليم التي زارها .

من خلال كلامه أعلاه نستنتج أن الحيوانات الكبيرة الحجم تكون نسبياً نادرة في المناطق الصحراوية والأراضي شبه الجافة حيث تعيش الحيوانات التي لها قدرة على الحركة تمكنها من الوصول إلى الموارد المائية لذلك فإنها تكثر في المناطق الرطبة بسبب ثقل وزنها ولكثرة حاجتها الى الغذاء .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 122 - 123 .

[2] المرجع نفسه ، ص 85 - 103 .

[3] المرجع نفسه ، ص 148 .

[4] المرجع نفسه ، ص 76 ، 77 ، 204 ، 324 .

المبحث الثاني

الجغرافية البشرية

المعلومات المتعلقة بالجغرافية البشرية :

أهتم ابن حوقل وأوردَ جوانب اقتصادية واجتماعية عديدة وفي مواضيع مختلفة فهي تظهر مستقلة ومتفرقة أكثر منها مترابطة ، لذا سنحاول خلال دراستنا إيجاد علاقة ربط بين هذه الظواهر من أجل الوصول إلى الحقائق الجغرافية من خلال معرفتنا لهذه الأنشطة والثروة وهي :

1. الثروة الزراعية :

مما ذكره ابن حوقل في هذا الجانب زراعة الموز وقصب السكر في شرق أفريقيا معتمدة على المياه السطحية والأمطار كما هو الحال في السودان [1] . ويبدو أن سبب زراعتها في مثل هذه المناطق المدارية يعود إلى طول فصل النمو لأنها من المحاصيل الدائمة ، وأما المناطق المدارية في آسيا فتظهر زراعة الرز في الهند والصين فضلاً عن النارجيل [2] .

أما بالنسبة للواحات فقد عدَّها من مراكز الاستيطان في تلك البيئات لتوفر مقومات الاستقرار المتمثلة بالمياه الباطنية على شكل عيون وأبار لذلك ظهر نشاط زراعي ورعوي فيها مثل واحة فزان [3] . كما ذكر زراعة النخيل والفواكه في المناطق المعتدلة مثل غور الأردن ، ويبدو إن سبب ذلك هو ارتفاع درجات الحرارة في هذه المنطقة لانخفاض مستوى الأرض دون مستوى سطح البحر . وفي المناطق المعتدلة منها سفوح جبال بلاد الشام يذكر زراعة الكروم والتين

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 142 .

[2] المرجع نفسه ، ص 324

[3] المرجع نفسه ، ص 84 .

والرمان [1] معتمدة على الأمطار والمياه السطحية مثل نهر العاصي وبسبب ملائمة الظروف الطبيعية المتمثلة باعتدال درجات الحرارة وخصوبة التربة .

وبالنسبة لسهول العراق فقد ذكر منتجات مدينة بغداد التي تتميز برخص أسعارها وجودتها مثل التمر الذي ينتج في إقليمها ومنه ما ينقل إليها من مدينة البصرة وفيها سائر الفواكه والثمار [2] ، وفي الوسط والجنوب من سهل العراق يذكر زراعة الرز وقصب السكر قرب البطائح (الأهوار) [3] . ويبدو إن سبب ذلك هو ارتفاع درجات الحرارة في القسم الجنوبي من العراق ووجود المسطحات المائية المتمثلة بالبطائح .

أما بخصوص الأقاليم التي تقع في العروض المعتدلة الباردة نسبياً فذكر وجود نشاط زراعي ولكنه أقل تنوعاً بالمقارنة مع الأقاليم المعتدلة والمدارية ، وبين اعتماد هذا النشاط على المياه السطحية لوفرة مياه الأنهار مثل سمرقند وبخارى . وهنا يذكر كثرة البساتين وزراعة الخضراوات والفواكه والحبوب [4] ، وهو حين يذكر البساتين وزراعة الخضراوات والفواكه ثم تليها الحبوب يدل على تعرضه لاستعمالات الأرض التي تحيط بالمدينة ولهذا ظهرت الزراعة الكثيفة المتمثلة بالفواكه والخضراوات في المناطق القريبة من المدن ، بينما تركزت زراعة الحبوب في المناطق البعيدة عنها نسبياً .

كما لم يغفل التطرق إلى النشاط الرعوي في الأقاليم الرطبة والجافة وذلك لارتباطه بالنشاط الزراعي وكونه يعدّ مصدرَ دخلٍ مهماً لكثير من الجماعات البشرية التي تعيش على هذه الحرفة ، فذكر أنواع الحيوانات التي يتم تربيتها ونوع النباتات التي تعتمد عليها مثل الأبقار والخيل فضلاً عن منتجاتها لوجود المراعي

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 173 .

[2] المرجع نفسه ، ص 242 - 243 .

[3] ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ص 450 - 451 .

[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 473 .

لها والمتمثلة بالحشائش التي تنمو على مياه الأمطار ، أما المناطق الفقيرة في نباتها الطبيعي فيتم تربية الجمال لقدرتها على التكيف والتحمل في مثل تلك البيئات ، وهنا يذكر ابن حوقل في مثل هذه الجهات الصحراوية التي لا مرعى لها إلا القليل من النباتات [1] .

2. الثروة المعدنية :

نالت الثروة المعدنية اهتمام ابن حوقل وان كان ذلك بشكل متباين إلا أنه ذكر أنواعها وبين توزيعها الجغرافي وأهميتها الاقتصادية مثل الحديد الذي يوجد في مدينة بلرم (باليرمو) بصقلية ، وتحدث عن أهمية هذا المعدن ودخوله في صناعة الأدوات والأسلحة والتبادل التجاري [2] .

مما يدل على جودة نوعيته ووجوده بكميات كبيرة فضلاً عن ظروف تعدينه الجيدة كأن يكون قريباً من سطح الأرض وتوافر عوامل الإنتاج .

ومن المعادن الأخرى التي تطرق إليها الياقوت والجوهر الذي يوجد بسبلان* في مدينة أردبيل في أذربيجان ، وأشتهر أكثر أهلها بحسن السيرة مع المسافر الخلق وعافية وسلامة ورغبة في الخير وأهله وطلب المعاش والستر [3] .

كما ذكر جزيرة خارك في وسط الخليج العربي وعدَّها من الجزر المشهورة بمغاص اللؤلؤ النادر مرتفع القيمة [4] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 76 - 98 .

[2] المرجع نفسه ، ص 123 .

* سبلان : جبل عظيم مشرف على مدينة أردبيل بأرض أذربيجان ، وفي هذا الجبل عدّة قرى ومشاهد كثيرة للصالحين ، والثلج في رأسه صيفا وشتاء - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 186 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 348 - 349 .

[4] المرجع نفسه ، ص 47 .

كما تطرق إلى بقية المعادن المهمة التي تدخل في التبادل التجاري كالذهب والفضة فضلاً عن ذكره مناطق وجودها مثل أرض الحبشة وتركّز الذهب في بلاد النوبة [1] .

وبالنسبة للنفط فقد ذكره في منطقتين الأولى بلاد فارس وذلك بقوله : " وفيها عامة المعادن والنفط " [2] والثانية مدينة فرغانة * في بلاد ما وراء النهر [3] .

كان لاهتمامات ابن حوقل بالثروة المعدنية دلالة على أنها كانت مصدراً مهماً من مصادر الدخل لمناطق أنتاجه ولهذا يذكر وجود أنواع جيدة من المعادن مما يدل على أنه بدأ يقترب في دراسته من تحديد نسبة المعدن في خاماته كقوله : " وببلاد ما وراء النهر معدن الحديد الجيد والغزير " [4] . كما وَجدَ الحديد في العراق ومصر والأندلس وغيرها ، ومن المعروف أن الحديد أنواع عديدة فالنوع الجيد منه هو الذي ترتفع فيه نسبة المعدن في خاماته مع قلة نسبة الشوائب والذي يمكن استغلاله اقتصادياً .

3. النشاط الصناعي :

تطرق ابن حوقل إلى العديد من النشاطات الصناعية المهمة فذكر التوطن الصناعي وبين العلاقة بين نوع الصناعة والمواد الأولية كذكره للصناعات القطنية والألبسة بطبرستان لارتباطها بمادة بالقطن الذي يضاهي بالجودة قطن صعده وصنعاء باليمن . ولم يكتف بذكر المواد الأولية بل يذكر نوعيتها كقوله : " فيها

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 10 .

[2] المرجع نفسه ، ص 300 .

* فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان من جهة الشرق يمين القاصد بلاد الترك ، كثيرة الخير واسعة الرستاق - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 253 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 488 .

[4] المرجع نفسه ، ص 464 .

أصناف من الثياب الإبريسم والأكسية الصوف الثمينة ... ومناديل مذهبة " [1] التي يستحسنه أهل العراق ويطلبونها بكثرة .

ومن الصناعات التي أشار إليها صناعة الصابون بمدينة بالس على نهر الفرات غرب العراق والذي يعمل منه الشيء الكثير وصناعة المشروبات في مدينة منبج * بالشام التي تشتهر بالزبيب [2] .

أما صناعة الحبوب فقد تطرق إليها من خلال ذكره الارحية في مدينة الموصل فيقول : " بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقلّ نظيرها في كثير من الأرض " [3] ، مما يدل على انتشار زراعة الحبوب .

كما تطرق إلى صناعة السمك وصناعة الزيت والحبوب بتونس [4] ، وقد شجع وجود الأسواق وكميات الإنتاج وتوافد التجار إليها على قيام التبادل التجاري بين دول المشرق والمغرب العربي .

وبالنسبة لبلاد الصين فيذكر صناعة الثياب التي تشتهر بها ، كما يذكر شهرتها بصناعة الأصباغ والحرير الذي يوصف في غاية الجودة [5] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 381 .

* منبج : مدينة كبيرة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض ، كان عليها سور مبنيّ بالحجارة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ ، وشربهم من قنيّ تسيح على وجه الأرض - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 205 - 206 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 180 .

[3] المرجع نفسه ، ص 219 .

[4] المرجع نفسه ، ص 70 - 74 .

[5] المرجع نفسه ، ص 282 - 300 .

4. النشاط التجاري :

وبالنسبة للنشاط التجاري فقد تحدث عن وجود تبادل تجاري على المستوى الداخلي والخارجي فذكر على سبيل المثال العلاقات التجارية بين بلاد الهند والصين وكل من العراق وبلاد فارس خاصةً وبين تلك الأقاليم والعالم الإسلامي عامة ، والراجح أن مرد هذه العلاقات ترجع إلى حالة السلم السائدة بين تلك الأقاليم والعالم الإسلامي آنذاك . وهنا ذكر ابن حوقل استخدام طرق النقل البحري ، كما ذكر المواد التي تنقل مثل القطن والملح والعقاقير الهندية [1] .

كما تطرق إلى تجارة الرقيق في بلاد الأندلس وبلاد الترك ويصفه بقوله : " ومن مشهور جهازهم الرقيق من الجواري ، وأنفس الرقيق ببلاد الترك ولا يدانيه بالقيمة والحسن " [2] .

أما على الصعيد الداخلي فيذكر وجود فائض في الإنتاج الزراعي في منطقة الطائف وهذا الفائض يتمثل بالمنتجات الزراعية لملاءمة الظروف الطبيعية ولاسيما المناخ مثل العنب والزبيب وأنواع الفواكه الأخرى التي تنقل إلى مكة المكرمة [3] .

وتطرق إلى تجارة العراق الداخلية ، وتحدث عن نقل التمر من مدينة البصرة إلى بغداد ونقل قصب السكر والرز من منطقة البطائح (الأهوار) إلى بغداد وبقية المدن أيضاً [4] وقد ساعد وجود الفائض في الإنتاج فضلاً عن سعة سوق بغداد على تصدير مثل هذه المنتجات إليها .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 489 - 502 .

[2] المرجع نفسه ، ص 110 - 452 .

[3] المرجع نفسه ، ص32 .

[4] المرجع نفسه ، ص 239 .

5. النقل :

يقصد به الطرق والوسائل المتبعة والتي تستعمل في نقل الإنسان ومنتجاته وهي تشمل الطرق البرية والمائية .

وتظهر وسائل النقل البري في المناطق المدارية من قارة أسيا خاصة في بلاد الهند فيذكر مثلاً استخدام الفيلة لأغراض النقل نظراً لكثرتها [1] ، أما النقل في المناطق المدارية من قارة إفريقيا متمثلة بالأبقار والخيول [2] .

وفي الأقاليم الجافة وشبه الجافة يكثر استخدام الجمال للنقل للأغراض التجارية ولغرض الحج لبيت الله الحرام لكثرة الوافدين في هذا الموسم لمقاومتها الظروف البيئية القاسية التي تتمثل بها المسالك والممرات الصحراوية بسبب الجفاف وبسبب وتغير مواضع ومعالم الطرق بتأثير عامل الرياح في النقل والإرساب لذا غالباً ما تسلك الممرات الصخرية لتماسك صخورها بالرغم من صعوبتها [3] .

أن كثرة استخدام الجمال كوسيلة للنقل على الرغم من بطء حركتها يعود إلى سعة الأراضي الصحراوية وشبه الصحراوية في الأقاليم العربية والإسلامية .

وبالنسبة للنقل المائي فذكر ابن حوقل استخدام المراكب التي تصنع في بلاد العرب والمسلمين فضلاً عن بلاد الهند والصين الذين يرتبطون بعلاقات تجارية قديمة مع المسلمين في شبه جزيرة العرب حيث أسهم هذا العامل بتطور النشاط التجاري بين الأقاليم تطوراً كبيراً في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وعلى المستويين الداخلي والخارجي .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 322 .

[2] المرجع نفسه ، ص 76 .

[3] كي والتون ، المناطق الجافة ، ترجمة نوري خليل البرازي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1976 . ص73 .

كما تطرق ابن حوقل إلى المشاكل التي تواجه النقل البحري فيقول : " إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم دائما الريح البحريّة فيشتدّ الموج لانكشافه ويصعب الإرساء " [1] . فذكر على سبيل المثال ارتفاع الموج في الساحل الشرقي لأفريقيا بسبب شدة الرياح الموسمية في هذه المنطقة والتي تؤثر سلباً على المراكب فتعرضها للغرق أو الكسر .

وأشار إلى صلاحية كثير من الأنهار لسير المراكب لنقل الأشخاص والبضائع كنهري دجلة والنيل ، كما تطرق إلى زيادة مياه نهر النيل خلال فصل الصيف وأثرها في الملاحة [2] .

وتطرق إلى صلاحية شط العرب للملاحة فذكر وجود الخشبات (الفنارات) في الخليج العربي وهي بمثابة علامات في البحر للمراكب تنتهي إليها فيرفع على هذه العلامات بالليل إشعاراً توقد للمراكب التي تدخل إليه من الخليج العربي متجهة إلى عبادان [3] .

أن اهتمام ابن حوقل بوسائل النقل المائية دلالة على أهمية ربط الأقاليم وأتساع النشاط التجاري حيث وفرة الأنهار وكونها طرقاً سهلة ورخيصة لربط هذه الأقاليم في الداخل أو مع الخارج .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 69 .

[2] المرجع نفسه ، ص 137 .

[3] المرجع نفسه ، ص 46 - 47 .

6. السكان :

اهتم ابن حوقل بذكر أصول السكان (الدراسات السكانية) كفرع من فروع الجغرافية البشرية موضحاً عناصرهم وعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية ، وقد شملت دراسته على ما يأتي :-

أ. عناصر السكان :

كشف عن العناصر التي يتكون منها السكان في الأقاليم الإسلامية خاصة والأقاليم الأخرى عامة ، فالأقاليم التي ذكرها كانت تضم عديداً من الأجناس البشرية تختلف في الوانها وعاداتها وتقاليدها ودياناتها .

يشكل المسلمون الأغلبية الساحقة في بلاد الإسلام نظراً إلى اتساع الدولة الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي في مختلف الأقاليم بفضل الفتوحات الإسلامية ، وإلى جانبهم يوجد النصارى واليهود والصابئة ويطلق عليهم أهل الذمة .

ففي الأقاليم الإسلامية ذكر أنها تحتوي على العرب والأكراد والتركمان والزط الذين يسكنون في بلاد السند وأن منازلهم على الأنهار وبرك الماء وطعامهم السمك وطير الماء [1] . وإلى جانب العرب في بلاد الشام يذكر لنا الروم والأقباط في مصر يوجد الأقباط وفي إقليم السودان أجناس كثيرة نذكر منهم البجّة وهم سودان فيهم المسلمون والنصارى والوثنيون والخدم المجلوبون من بلاد السودان وهم الذين يسيرون بالحجاج والتجار في المناطق الصحراوية [2] .

ويسكن البربر بلاد المغرب إذ لا يحصى عددهم لكثرة بطونهم وتشعّب أفخاذهم وقبائلهم وتوغّلهم في البراري وتبدّدهم في الصحارى وجميعهم من ولد جالوت فمنهم من تحصن بالجبال كجبل أوراس وفيها تزدهر التجارة وكثرة الغرباء

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 328 .

[2] المرجع نفسه ، ص 97 .

في كل حين ، ومنهم في قلب البر على الأطراف ما بين أرض السودان وبلاد المغرب ولهم مياه قائمين عليها [1] .

وبالنسبة لطريقته في إحصاء السكان يصف لنا ابن حوقل جزيرة صقلية إذ يقول : " وبصقلية المساجد الكثيرة العامرة مما يزيد على ثلاث مائة مسجد أكثرها عامرة " [2] . وأن هذا الوصف لقي ثناءً من الباحثين المحدثين ، فهذا زكي محمّد حسن في كتابه (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) يقول عن وصفه لمدينة بلرم أنه أول وصف أو أقدم وصف إسلامي لهذه المدينة ، وعلى الرغم من وصفه لطريقة ابن حوقل في إحصاء السكان (أي سكان المدينة) بالسذاجة ، إلاّ أنه يثني عليها [3] . والواقع أن زكي في هذا الرأي - أي وصفه طريقة ابن حوقل في الإحصاء بالسذاجة يشارك المستشرق آدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية [4] . ولكن على كلّ حال فمهما قيل عن هذه الطريقة في الإحصاء فإنها تبدو طريقة جيّدة في ظلّ عدم ظهور مفاهيم الإحصاءات الحديثة آنذاك .

ب. التكوين الانثوغرافي :

تطرق ابن حوقل إلى دراسة الأجناس البشرية التي تتوزع في أقاليم العالم التي ذكرها مبيناً صفاتها وتوزيعها الجغرافي ومن الأمثلة على اهتمامه بالدراسات الأنثوغرافية استعراضه لقصة النبي نوح عليه السلام وأصحابه الذين نزلوا من السفينة واستقروا بأرض الجزيرة فذكر : " أنما سميت بثمانين لأنّ جميع من

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 83 ، 100.

[2] المرجع نفسه ، ص120 .

[3] زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ، 1945 . ص 76 .

[4] ادم متز ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 32 .

كان مع نوح عليه السلام في السفينة ثمانون رجلاً بنوا هذه القرية فسمّيت باسم عددهم " [1] .

أما بالنسبة للأجناس فقد ذكر الجنس الزنجي الذي يوجد في المنطقة الاستوائية خاصةً قارة إفريقيا ، وهنا اكتفى ابن حوقل بذكر لون البشرة فيقول : " فأهله سود وكلّما ازدادوا تباعداً في الجنوب ازدادوا سواداً " [2] ، ووصف طريق حياتهم دون التطرق إلى بقية الصفات الأخرى مثل أصل هذا الجنس والعيون وطول القامة كأسس يعتمد عليها في تميزه عن بقية الأجناس الأخرى [3] .

وقد أشار في وصفه لحياة الزنوج في بلاد الحبشة في أعالي نهر النيل فيقول عنهم : " أنهم قوم عراة حاسرون " [4] ، ويستثنى منهم المسلمين ، وقد ذكرهم أيضاً ابن خلدون بقوله : " وأما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال فأهلها أبعد عن الاعتدال في جميع أحوالهم لذلك يقرب عرض أمزجتهم من عرض الحيوانات ويبعد عن الإنسانية [5] .

وبالنسبة للجنس المغولي يذكر ابن حوقل شيئاً عن أهل الصين والتي تميل أشكالهم إلى الخلط بين الترك والهنود دون ذكر للصفات الجسمية الأخرى ، كما ذكر سكان كشمير بقوله : " وسكانها متولد بين السند والأتراك وهم بيض في غاية الحسن " [6] .

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 229 .

[2] المرجع نفسه ، ص 10 .

[3] يسري الجوهري ، الجغرافية البشرية ، مصدر سابق ، ص 73 .

[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 58 .

[5] ابن خلدون ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 83 .

[6] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 9 - 10 .

أما الجنس الآري الذي يوجد في المناطق المعتدلة الباردة فقد ذكر ابن حوقل صفاتهم الجسمية فيقول : " فأهله بيض وكلّما تباعدوا في الشمال ازدادوا بياضاً وهى أقاليم باردة " [1] ، حيث تظهر هذه الصفات واضحة كلما اتجهنا شمالاً وإلى الشمال أكثر يشتد البياض وتغلب عليهم الشقرة والزرقة كما يتخلل وجوههم النمش [2] .

ت. القبائل وتحركاتهم وهجراتهم :

ذكر ابن حوقل القبائل العربية التي نزحت من شبه جزيرة العرب واستقرت في البلدان التي فتحت من قبل المسلمين في حين بقيت قبائل أخرى في شبه الجزيرة العربية منها ما استقرت في مدنها كمكة وعدن وغيرها [3] ، ومنها من ظلت تحيا حياة بدوية متنقلة وبصفة عامة كانت معلوماته موجزة عن القبائل منها ما ذكره عن قبيلة زبيد في ساحل اليمن على بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وسكن قبائل طي وهي الباقية في أرض الحجاز فيقول : " ويسكنها بادية من طي ينتقلون عنها في بعض السنة ينتجعون المراعى " [4] .

وذكر القبائل العربية التي نزحت إلى بلاد المغرب في صنهاجة إلى جهة الجنوب فبين أصولهم من عرب اليمن والعروبة بينهم ظاهرة [5] .

وذكر قبائل ربيعة واليمن ببادية الجزيرة وقبيلة تميم بالبصرة والغالب على نواحي مكة بنو سعد وبنو هلال من قبائل هذيل [6] . وذكر قبائل يأجوج ومأجوج

---

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 10 .

[2] ابن سعيد ، مرجع سابق ، ص 176 - 177 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 18 - 19 .

[4] المرجع نفسه ، ص 33 .

[5] المرجع نفسه ، ص 101 ، 104 .

[6] المرجع نفسه ، ص 34 .

التي تسكن جبال القوقاز الممتدة بين البحر الأسود وبحر الخزر (قزوين) ، وقبائل الزط التي تسكن قرب نهر مهران * (السند) [1] .

ومما يلاحظ أن وصفه السكاني على الأمم والقبائل التي استطاع التعرف عليها أثناء رحلاته لذلك كانت معلوماته عنها أوسع من تلك التي تعرض لها عن طريق النقل والرواية ، لذلك اكتفى بالتعرض إليها وطبيعة حياتها دون ذكر صفاتها أو أصولها .

7. مراكز الاستيطان الحضري والريفي :

تمكن ابن حوقل من تغطية أكثر جوانب الجغرافية البشرية مثل الأجناس والسكان وحياتهم داخل المدن وخارجها ، وقد فصل كثيراً في الظاهرة الحضرية حيث جذبت المدن وتصاميمها انتباهه وخصص لها فيما كتب حيزاً كبيراً لذلك يمكن وصف كتابه (صورة الأرض) بأنه جدول بالمدن مما يمكن أن يعد من أوائل رواد جغرافية المدن ، والخريطة (6) توضح أهم المدن التي ذكرها :-

* نهر مهران : اسم موضع لنهر السند ، وهو نهر عظيم بقدر دجلة تجري فيه السفن ويسقي بلادا كثيرة ويصب في البحر - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 232 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 328 .

خريطة (6) أهم المدن التي ذكرها ابن حوقل

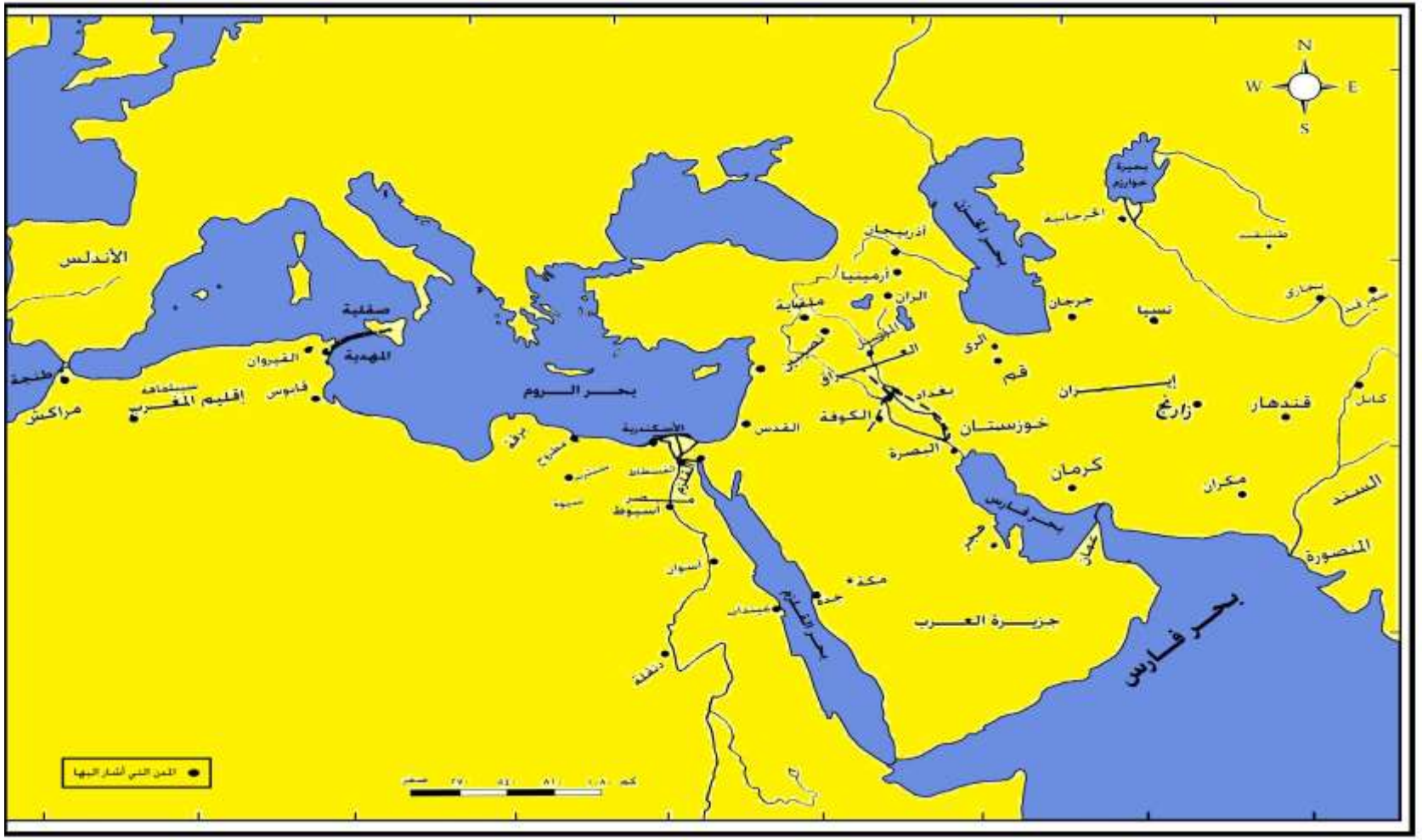

المصدر : حسين مؤنس ،اطلس تاريخ الاسلام ، ط1 ، الزهراء للاعلام العربي ، القاهرة ،1987 ، ص107; ابن حوقل ، صورة الارض ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1939 .

لقد ناقش وبصورة متباينة مواضع المدن ومواقعها ومواد بنائها وطراز عمارتها ومراحل نموها ، كما اهتم بعمل المقارنة بينها من الناحية العمرانية ، وتعرض إلى استعمالات الأرض فيها إضافةً إلى تاريخ تأسيسها .

أ. الموضع :

ويتضمن دراسة التركيب الجيولوجي للأرض التي بنيت عليها المدينة والمناطق المحيطة بها والتربة وأحوال الطقس والمناخ وأشكال سطح الأرض والموارد المائية [1] .

ونالت مواضع المدن اهتمام ابن حوقل عندما ابتدأ بذكر جيولوجية المنطقة التي شيدت عليها المباني وعلاقتها بالموارد الطبيعية كالمعادن ، فضلاً عن نوع التربة مما له علاقة بمواد البناء مثل استخدام مباني بغداد للطوب والكلس والتراب الأحمر في الأندلس والشام والطين والآجر في مدينة اردبيل في أذربيجان [2] .

أما بالنسبة لتضاريس الموضع فيصف لنا الجبال التي تحيط بالمدينة والأودية التي مر بها ومثال على ذلك ذكره موضع مدينة مكة المكرمة التي تقع في واد بين جبال غير ذي زرع .

ومن الأمثلة التي توضح اهتمامه بالبنية التضاريسية للمدن ما ذكره عن المدينة المنورة وهي في حرةٍ من الأرض وتحيط بها الجبال من الشرق والشمال وبقربها جبل أُحد * في شمال المدينة وهو أقرب الجبال إليها وتعتمد على الآبار في توفير المياه [3] .

---

[1] صلاح حميد الجنابي ، جغرافية الحضر - أسس وتطبيقات ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1999 . ص35.

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 146 - 334 .

* جبل أحد : اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد ، وهو جبل أحمر ، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليّها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج1 ، ص109 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص30 .

ولم يغفل ابن حوقل عنصر التربة في تحديد الموضع مثل ذلك ما ذكره عن تربة مدينة حلب فيقول : " وهي مدينة برية وأرض ثرية حمراء " [1] .

إما المناخ فكان بالنسبة له من أهم عناصر الموضع التي تسهم في تحديد مدى ملاءمته لإقامة المدينة ، فقد ذكر الأحوال المناخية لمدينة الموصل فيقول : " والموصل صحيحة الهواء " وبهذا عدها أحسن البلاد منظراً في مياهها وبساتينها وشوارعها [2] . وهنا يقصد الاعتدال في درجات الحرارة بسبب موقعها في المنطقة المعتدلة .

ب. الموقع :

أما الموقع فهو أعم وأشمل ويعني به مركز المدينة وعلاقتها مع المناطق المحيطة بها [3] .

فقد أهتم ابن حوقل بدراسة الموقع من خلال تناوله للمناطق التي تحيط بمراكز الاستيطان التي قسمها إلى قسمين : مراكز الاستيطان الحضري والتي تظهر بشكل مدن ومراكز والاستيطان الريفي التي تظهر بشكل قرى وقصبات منفردة ، وهذا ما لاحظناه عندما تعرضه إلى مدن العراق التي تقع على جانبي نهري دجلة والفرات والتي تعد مركز الاستيطان وغيرها [4] .

وتطرق ابن حوقل إلى موقع مدينة بغداد فيقول : " وتحمل إليها التمور والكروم والفواكه " [5] . وهنا يذكر استعمال وسائل النقل المائي عبر نهر دجلة ،

---

[1] المرجع نفسه ، ص 181 .

[2] المرجع نفسه ، ص 214 .

[3] صلاح الجنابي ، مصدر سابق ، ص38 .

[4] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 244 .

[5] المرجع نفسه ، ص 244 .

فضلاً عن الطرق البرية مما حول المدينة إلى سوقاً تجارياً رائجاً لمختلف السلع ومن مختلف أرجاء البلاد .

ت. مواد البناء :

تناول ابن حوقل الوحدات العمرانية من خلال ذكره لمواد البناء التي استعملت بغض النظر عن مصادرها ، فقد تكرر ذكر مواد البناء في العديد من المواضع التي ذكرها في كتابه والتي جاءت في الغالب من البيئة المحلية ، فقد ذكر أنواعاً عديدة من مواد البناء تتفاوت في درجة استعمالها من منطقة إلى أخرى مثل المواد التي استعملت في مباني مدينة تكريت فيقول : " وأبنيتهم بالجص والحجر والآجر والحصى " [1] .

وحين يتحدث عن مدينة آمل * من بلاد طبرستان يشير إلى المواد الخشبية والنباتية التي تدخل في البناء فيقول : " وأكثر أبنيتها الخشب والقصب " [2] .

أما الحجارة فقد تكرر ذكرها كمادة بناء شائعة الاستعمال مثل بناء مدينة أصطخر فيقول : " وبناؤهم من الطين والحجارة والجصّ " [3] ، وفي وصفه لمدينة حمص في بلاد الشام فيقول : " وجميع طرق حمص من أسواقها وسككها مفروشة بالحجارة مبلّطة " [4] وهذا يدل على توفر المادة الخام في موضع المدينة وبالتالي يساعد على توسع حجمها في المستقبل .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 228 .

* آمل : اسم أكبر مدينة مشهورة بطبرستان في السهل ، لأن طبرستان سهل وجبل ، - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ،ج1 ، ص 57 .

[2] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 381

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 278 .

[4] المرجع نفسه ، ص 176 .

ث. تخطيط المدن :

تعد عملية التخطيط من مراحل تطور المدن التي اتخذت أشكال مختلفة تبعاً لاختلاف الظروف الطبيعية والبشرية ، فقد تطرق إلى ظاهرة التخطيط في أكثر من مناسبة مثل ذكره التقسيمات التي ظهرت في مدينة قبرص * فيقول عنها : " أنها قسمين نصف للروم ونصف للمسلمين بها لهم أمير وحاكم " [1] . مما يدل على اختلاف هذه هذه الأماكن في فن عمارتها وتخطيطها .

ج. مراحل نمو المدن :

كان ابن حوقل يؤرخ للمدن في المراحل المختلفة لتوضيح قدمها ومسارها الوظيفي والعمراني في الأزمنة المختلفة ، وفي ذلك أشار إلى بناء المدن في زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لاتساع الفتوحات الإسلامية مثل مدينة البصرة التي رصفت بالمجالس الحسنة والمناظر الأنيقة والأبنية الفاخرة [2] .

ح. مراتب المدن وتصنيفها :

أن أهم المعايير التي أعتمدها ابن حوقل للإشارة إلى مراتب المدن هو عمقها التاريخي حيث غالباً ما يذكر تاريخ إقامة المدن وكيف أن لتاريخها علاقة بأهميتها كما فعل بذكره مدينة بابل فيقول : " وهى أقدم أبنية العراق عهداً ، وبها آثار أبنية تخبر أنّها كانت في قدم الأيّام مصراً عظيماً " [3] .

---

* قبرص (قبرس) : كلمة رومية وافقت من العربية القبرس النّحاس الجيد ، : وهي جزيرة مشهورة في بحر الروم (البحر المتوسط) وبأيديهم دورها - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 305 .

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 203 .

[2] المرجع نفسه ، ص 235 - 236 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 244 .

وذكر ابن حوقل معياراً أخر لمعرفة مستوى المدينة بقوله : " ومدينة قرطبة * من المدن الكبار " [1] . مما يدل على وجود أسس أستند إليها في ترتيبها ضمن المدن الكبار خاصة من حيث الحجم والوظائف ، وقد عني ابن حوقل بذكر بعض الأرقام مثل عدد البيوت والمساجد والأسواق والحمامات وفي تقديره لعدد سكان الأكراد بأحياء مدينة فارس يعتمد على طريقة الإحصائية في ذلك فيقول : " ويزيدون على خمس مائة ألف بيت " [2] ويكرر نفس الشيء بالنسبة لسكان مدينة صبران * بما وراء النهر بين باراب * والشاش * مَجمع الأكراد فيقول : " فيها نحو ألف بيت من الأتراك " [3] .

كما لاحظ أنواعاً للسكن فهناك السكن الراقي يأخذ شكل القصور فهي للرؤساء والأغنياء والملوك مثل مدينة كرد * التي تقع بفارس ثم يتدرج البناء في المنازل فيصف مبانيها من الطين مثل مدينتي قاسان * وقمّ بفارس [1] .

---

* قرطبة : مدينة عظيمة بالأندلس وليس لها بالمغرب شبيه في كثرة الأهل سعة الرقعة ، ذات سور من الحجارة ، وإنها كأحد جانبي بغداد - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص324.

[1] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 111 .

[2] المرجع نفسه ، ص 270 -271 .

* صبران : بليدة فيها قلعة عالية بما وراء النهر ثم وراء نهر سيحون في طرف البرية ، وهي مجتمع الغزّيّة صنف من الترك للصلح والتجارات - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج 3 ، ص391 .

* باراب : اسم لناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون – المرجع نفسه ، ج1 ، ص 318 .

* الشاش : مدينة بما وراء النهر ثمّ ما وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك ، خرج منها العلماء - المرجع نفسه ، ج3 ، ص 308 - 370 .

[3] ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص 511 .

* كرد : مدينة من مدن البيضاء ، واسم قبيلة من الأكراد ولهم قصور كثيرة - ياقوت الحموي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 450 .

* قاسان : مدينة صغيرة بفارس بنائها من الطين كثيرة الخير - ابن حوقل ، مرجع سابق ، ص361 – 370 .

الخدمات الإداريـــة

نهج ابن حوقل في تقسيماته الإدارية أسلوباً خاصاً به فمتى ما بدأ بذكر البلد تكلم على كوره وما داخل في علم الجغرافيا بحسب مبلغ علمه فيقول : " فصّلت بلاد الإسلام إقليما إقليما وصقعا صقعا وكورة كورة " [2] ، فجعل لكل إقليم كوره ولكل كوره مدنا كبيرة وقال إنها (المدن الممصرة) التي بناها العرب مثل البصرة وقرطبة والزهراء ، أما القرى فقد وردت عندما ذكر مراكز الاستيطان الريفي مثل بلاد نجد التي يغلب عيها الطابع الريفي ، وبالنسبة للثغور فتظهر ممثلة بالمواضع القريبة من أرض العدو فقد استعمل الأندلسيين الثغور للدلالة على الحدود المجاورة للعدو مثل حدود اسبانيا فكانت هناك ثلاثة ثغور الثغر الأوسط وقاعدته مدينة سالم (طليطلة) والثغر الأعلى وقاعدته مدينة جليقيه والثغر الأدنى وقاعدته مدينة قوريه وهي ثغر المسلمين وذكر القواعد والحصون [3] .

وعند قيام ابن حوقل برحلته في البلدان الإسلامية والأقاليم الأخرى كانت الدولة العربية الإسلامية قد انقسمت إلى عدة دول منفصلة عن بعضها وهذا ما شاهده الباحث في الجانبين الغربي المتمثل ببلاد الأندلس والشرقي المتمثل بالعراق فقد بدأت الأقاليم تتجزأ من كيان الدولة الإسلامية بحدود جديدة تفصل بعضها عن الأخر ونتيجةً لتعدد أقسامها السياسية تعددت نظمها الإدارية وضعف منصب الخليفة كرئيس للدولة الإسلامية وبهذا قدم لنا ابن حوقل صورة عن بعض الجوانب الإدارية والسياسية في البلدان التي زارها [4] .

---

[1] ابن حوقل مرجع سابق ، ص 280 .

[2] المرجع نفسه ، ص 5 .

[3] المرجع نفسه ، ص117 .

[4] أدم متز ، مرجع سابق ، ص22 .

Abstract

The study deals with geographical approach by Ibn-Hawqal , a study in geographical Arabic- Islamic thought , which is considered one of the serious scientific subjects and important in its applicational and theoretical aspects that aroused the interest many geographers especially those who interested in geographical Arab thought , it also indicates the relationship between past and present in science , which is found in geography and the legacy we have got from him in Ah – fourth century – teath centery one of them Ibn Hawqal.

Geographical scientific heritage was full of facts affect our life and entity direct and indirect way – the Arab geographical thought the first credit in maintaing the ancient geographical thought with enriching it with great geographical knowledge

the study focused on geographical approach in which Ibn Hawqal a cope with . he developed and he have his opinions and theories completely different from his contemporaries and who preceed him . he was famous in drawing maps field . he has indepency from who preceed him of the scientists in this aspect ,Vmalvath in the field of science geographical features authentic information gained from his frequent trips, which lasted more than 30 years, where he visited both Egypt and the Levant, Iraq and the Arabian Peninsula, Iran and Armenia, Sicily, and Asia and the countries of the Bulgarians, Andalusia, Ghana and others .

The approach of Ibn Hawqal distinguishing from other scientists geographical he relied on the knowledge of personal gained from his travels and meetings Bamlaqh thought geographical So back

production in this field an integrated, especially with regard to a Muslim country in terms of the nature of supply and agricultural crops and social life in urban and rural areas, and mentions .

(Aledumiela) In his book of science among the Arabs and its impact on the development of science world, "The Son of Hawqal excelled in the science of geography, therefore requested Astchri him to revise his book" Tract and Kingdoms "and distinguish author Ibn Hawqal (Picture Earth) that included a map for each region talked about and these maps can be without the slightest exaggeration called Atlas of the Islamic world " .

Ibn Hawqal dominated the curiosity and knowledge of the unknown from an early age he realized world that use commercial methods for scientific Fjab information most parts of the world and made an authentic scientific study on the distances and seas, rivers, mountains, and the properties of the countries he visited .

Stretched Arab state Islamic vast area of land in three continents and thus occupied the region of the heart continental where, as well as that it enjoys a maritime important controls means business passers-by in the Mediterranean Sea and the Indian Ocean, also includes the Arab State Islamic different for each of them qualities gained by the extent of its presence in every region of the state, and the Islamic religion spread at that time mainly in the state Arab-Islamic and this in turn has helped the cohesion of the state and increase their strength and bone that flourished trade exchange between the regions Islamic and adhere to customs and traditions and the preservation of the social fabric and by the fact that the

Islamic faith unite her children Despite the diversity of sects that appeared when the Muslims at that time .

In short, observed in Book Ibn Hawqal (image of the earth) pulses of life in the body of the great Dar al-Islam who integral politically, and remained alive economically and culturally, even if his life tended to appear on the parties rather than the heart .

That the authenticity of the overall Ibn Hawqal full but is reflected in the description of Morocco which renews actually, but this description is not only one face for attention as beyond the river at the other end of the Dar al-Islam at least when I'm Hawqal importance .

There is no doubt that the boom Geographic in the Arab region but also shows the status of this science in the management of the affairs of state-ups, and know their conditions and wealth and the faces of their money and this is referred to Ibn Hawqal in the introduction to his book by saying: « he learned uniquely by the Kings politicians, and the people Almarwat and gentlemen of all classes» .

From all of the above is clear to us that the work of Ibn Hawqal enters in the field of geographical research he gave us a huge amount of geo-information value of the Islamic world and the administrative aspects and economic and social development of all the countries he visited, and came work Mukalla successful result of adoption of the scientific method in the collection information himself on the one hand, and his books and achieved geographic facts of the second hand .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. الإبراشي ، محمد عطية ، تاريخ علماء المسلمين وأثارهم في التربية ، ط4 ، دار النهضة ، مصر ، 1996 .
2. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الجزري عز الدين ، اللباب في تهذيب الأنساب ، ج3 ، مكتبة القدس ، القاهرة ، 1938 .
3. ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن علي ، المسالك والممالك ، ط1 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1873.
4. ـــــــــــــــــ ، صورة الأرض ، دار صادر ، بيروت ، 1938.
5. ـــــــــــــــــ ، صورة الأرض ، ط2 ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1939 .
6. ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن ، مقدمة ابن خلدون ، المقدمة الرابعة ، ج1 دار القلم ، بيروت ، 1981 .
7. ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ج2 ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1900 .
8. ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ، لسان العرب ، ط3 , ج11 ، دار صادر ، بيروت ، 1993 .
9. ابو العينين ، حسن سيد احمد ، جغرافية العالم الإقليمية ، ط5 ، ج1 ، دار النهضة العربي ، بيروت ، 1979 .
10. ابو الفداء ، عماد الدين اسماعيل محمد ، تقويم البلدان ، نشر وتحقيق رينو ودوسلان ، دار الطباعة ، باريس ، 1850 .

11. احمد ، نفيس ، الفكر الجغرافي في التراث الإسلامي ، ط2 ، ترجمة فتحي عثمان ، دار القلم ، الكويت ، 1978 .
12. الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، بلا تاريخ .
13. ـــــــــــــــــ ، المسالك والممالك ، بيروت ، دار صادر ، 2004.
14. أمين ، احمد ، ظهر الإسلام ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1962 .
15. الأندلسي ، أبو الوليد سليمان بن خلف ، المنتقى شرح الموطأ ، ط1 ، ج3، مطبعة السعادة ، مصر ، 1913.
16. أنيس ، إبراهيم ، من أسرار اللغة ، إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001.
17. بارتولد ، فاسلي فلاديمير ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966 .
18. البتاني ، أبي عبد الله محمد بن جابر ، الزيج الصابئي ، صححه كرلو نالينو ، طبع بمدينة رومية ، 1899.
19. البغدادي ، إسماعيل بن محمد أمين ، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين ، ط1 ، ج2 وكالة المعارف الجليلة ، اسطنبول ، 1951 .
20. البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ، المسالك والممالك ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، موسكو ، 1992 .
21. ـــــــــ ، معجم ما أستعجم ، ط 3 ، ج 3 ، عالم الكتب ، بيروت ، 1982 .
22. بيار ، جورج ، مناهج البحث الجغرافية ، ط1 ، ترجمة ميثال أبي الفضل ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1986.
23. تيلور ، جريفث ، الجغرافية في القرن العشرين ،ج 1 ، ترجمة محمد السيد غلاب ومحمد مرسي ابو الليل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 .

24. الجنابي ، صلاح حميد ، جغرافية الحضر - أسس وتطبيقات ، جامعة الموصل ، الموصل ، 1999 .
25. الجوهري ، يسري عبد الرزاق ، أسس الجغرافية البشرية ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1975 .
26. ـــــــــــــ ، الفكر الجغرافي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1967.
27. ـــــــــــــ ، جغرافية المغرب العربي ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1981 .
28. حسن ، زكي محمد ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ، 1945 .
29. حسين ، عبد الرزاق عباس ، الإطار النظري للجغرافية ، بغداد ، مطبعة الإيمان ، 1970 .
30. حميدة ، عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ، ط2 ، دار الفكر ، دمشق ، 1980.
31. ـــــــــــــ، التراث الجغرافي ، منشورات جامعة دمشق ، دمشق ، 1988.
32. خصباك ، شاكر ، في الجغرافية العربية دراسة في التراث الجغرافي العربي ، ط1 ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1975 .
33. ـــــــــــ ، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي ، مطبعة دار السلام ، بغداد ، 1979.
34. ـــــــــــ وعلي محمد المياح ، الفكر الجغرافي تطوره وطرق بحثه ، مطبعة جامعة ، بغداد ، 1983.
35. خلان الوفا ، اخوان الصفا ، رسائل اخوان الصفا ، ج 2، دار صادر ، بيروت ، 1957 .
36. خليفة ، حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج1 ، مكتبة المثنى ، بغداد ،1941.

37. خير، صفوح , الجغرافيا موضوعها , مناهجها وأهدافها , ط1 ، دار الفكر المعاصر , دمشق , 2000 .

38. الدفاع ، علي بن عبد الله ، العلوم البحتة في الحضارة العربية الإسلامية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981.

39. رفله ، فيليب وآخرون ، جغرافية الوطن العربي ، ط4 ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، 1971 .

40. الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، ط5 , المجلد السادس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1980 .

41. سعيد ، إبراهيم احمد وممدوح شعبان ، تطور الفكر الجغرافي ، الجمعية التعاونية للطباعة ، دمشق ، 2011 .

42. سلام ، عزمي ، الاستدلال الصوري ، ج1 ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، 1971 .

43. سوسة ، احمد , الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية , ج1, نقابة المهندسين العراقيين , مكتبة صبري , بغداد , 1977 .

44. السيوطي ، جلال عبد الرحمن بن أبي بكر ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، ط1، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1967 .

45. الشامي ، صلاح الدين ، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1980.

46. الشنيطي ، محمد فتحي ، المنطق ومناهج البحث ، ط1 ، دار الطلبة العرب ، بيروت ، 1969 .

47. شوكة ، إبراهيم ، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي ، جامعة بغداد ، بغداد ، 1990.

48. الصياد ، محمد محمود ، الجغرافية الإقليمية منهج وتطبيق ، دار النهضة ، بيروت ، 1970 .
49. ضيف ، شوقي ، الرحلات ، ط3 ، منشورات دار المعارف ، القاهرة ، بلا تاريخ .
50. عبد الحميد ، جلال محمد ، منهج البحث العلمي عند العرب في مجال العلوم الطبيعية ، دار الكتاب ، بيروت ، 1982
51. عميش ، سميرة ، الحتمية العلمية وخصائص التطور ، عمان ، 1988 .
52. عيسى ، علي محسن ، أدب الرحلات عند العرب في الشرق ، بغداد ، 1978 .
53. الفيومي ، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج1 ، بيروت ، المكتبة العلمية ، (بلا تاريخ).
54. القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود ، أثار البلاد واخبار العباد ، ج1 ، دار صادر ، بيروت ، (بلا تاريخ) .
55. كراتشكوفسكي ، اغناطيوس ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ط2 ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، موسكو ، 1957 .
56. متز ، أدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري الهجري ، ج2 ، ترجمة دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1957 .
57. محجوب ، وجيه ، طرائق البحث العلمي ومناهجه ، جامعة الموصل ، 1988 .
58. محمدين ، محمد محمود ، التراث الجغرافي الإسلامي ، دار العلم للطباعة والنشر ، الرياض ، 1980.
59. مرحبا ، محمد عبد الرحمن ، الجامع في تاريخ العلوم عند العرب ، ط2 ، منشورات عويدات ، بيروت ، 1988.

60. المسعودي ، التنبيه والإشراف ، تصحيح ومراجعة عبد الله إسماعيل الصادق ، المكتبة التاريخية ، القاهرة ، 1938.

61. ـــــــــ ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ط4 ، تحقيق محمد محي الدين ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1964

62. مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد بن يعقوب ، تجارب الأمم وتعاقب الهمم ، ج7 ، تحقيق أبو قاسم إمامي ، سروش ، طهران ، 2000 .

63. المعاضيدي ، خاشع ، تاريخ الدولة العربية في الأندلس ، ط1 ، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1988 .

64. المغربي ، أبو الحسن بن علي بن موسى ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، ط1 ، تحقيق إسماعيل العربي ، بيروت ، 1970 .

65. المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1980

66. المقدسي ، مُطهِر بن طاهر ، البدء والتاريخ ، ج2 ، نشره كلمان هوار ، باريس ، 1911.

67. المنجد في اللغة والاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، 1973 .

68. موسى ، علي حسن ، المناخ الحيوي ، ط1 ، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2002 .

69. مؤنس ، حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987 .

70. ميكيل ، أندريه ، جغرافية دار الإسلام البشرية ، ج1 ، ترجمة إبراهيم خوري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1983 .

71. هارتشون ، ريتشارد ، طبيعة الجغرافيا ، ط7 ، ج1 ، ترجمة شاكر خصباك ، مطابع جامعة الموصل ، الموصل ، 1984.

72. الهمداني ، زين الدين أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي ، الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه ، تحقيق حمد بن محمد جاسر ، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، 1994.
73. والتون ، كي ، المناطق الجافة ، ترجمة نوري خليل البرازي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1976 .
74. وهب ، علي ، الجغرافية البشرية ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1986 .

الاطالس والمعاجم

1. التوني ، يوسف ، معجم المصطلحات الجغرافية ، دار الفكر العربي ، دمشق ، 1977 .
2. الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ط2 ، ج5 ، دار صادر ، بيروت ، 1995 .
3. زامباور ، ادوارد ڤون ، معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، اخرجه زكي محمد حسن واخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1989 .
4. سركيس ، يوسف بن أليان بن موسى ، معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ج 1 ، مطبعة سركيس ، مصر ، 1928 .
5. كحالة ، عمر رضا ، معجم المؤلفين ، ج11 ، نشره رفعت رضا كحالة ، مطبعة الترقي ، دمشق ، (بلا تاريخ) .

الرسائل والاطاريح

1. حوالة ، يوسف بن احمد ، ابن حوقل ورحلاته الجغرافية للجناح الغربي من الدولة الإسلامية ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب / جامعة الكويت ، 1992 .
2. سمار ، سعد عبود ، ابن حوقل دراسة تاريخية في كتابه صورة الأرض ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ، 1987 .
3. ظريف ، ظريف رمضان ، ابن حوقل ومنهجه الجغرافي ودراسة لكتابه صورة الأرض ، رسالة ماجستير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، 1993 .
4. العبيدي ، محمد عباس حسن ، المنهج العلمي العربي في الجغرافية الطبيعية ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، 2001 .
5. الغريري ، رنا محمد عبد المجيد ، المقومات الجغرافية لبناء قوة الدولة عند المسعودي والمقدسي ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية - ابن رشد ، جامعة بغداد ، 2012 .
6. القرغولي ، صالح عمران حسون ، الفكر الجغرافي عند ابن سعيد المغربي دراسة في كتابه الجغرافيا ، رسالة ماجستير ، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، 1999 .
7. مخلص ، عدي يوسف ، المقدسي (البشاري) حياته ومنهجه ، دراسة كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) من الناحية التاريخية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1971.

المجلات والدوريات

1. آل الشيخ ، عبد العزيز عبد اللطيف ، مشاكل تكوين النظرية العلمية ، مجلة الدارة ، العدد 1 ، السنة السادسة ، الرياض ، 1981 .
2. حماش ، محمود حياوي ، الاستقراء ومناهج البحث العلمي ، مجلة المجمع العلمي ، مج43 ، ج1 ، بغداد ، 1996 .
3. الشاعر ، عيسى موسى ، نظرة في أنماط الفكر الجغرافي ، مجلة الدارة ، العدد1 ، السنة 4 ، الرياض ، 1981 .
4. عثمان ، ليلى محمد ، ثورة التصورات الجغرافية وتطور مناهج البحث ، المجلة الجغرافية العربية ، مصر ، العدد/26 ، 1994.
5. الفرا ، محمد علي ، علم الجغرافية ، الجمعية الجغرافية الكويتية ، الكويت ، 1981 .
6. ياركه ، صلاح ، الخصائص العلمية للبحث الجغرافي في التراث العربي الإسلامي ، بحث منشور ، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ، بغداد ، 2001.

المصادر الاجنبية

1. Bryan K , “ Physical Geography in the training of the Geographer, Annals of the American Geographers, Vol. 34 ,1944.
2. Cohen. Morris .K. An introduction to logic and scientific method , London, 966 .
3. Feynman Nevis M , “The Circumference of Geography, Annals of the Association of American Geographers, Vol. 9,1919 .
4. Preston E. James and Clarence F. Jones. (Eds) American Geography Inventory and Prospect. (Syracuse: Published for the AAG. By Syracuse University Press , 1954 .
5. Stamp , D. L. Introduction to regional science , U. S. A , 1975.
6. Stoddart . Geography Ideology and Social Concern . First Published . Oxford .England .1981 .
7. William Owsley , Geography of Ibn Haukal , {K . Almasalik for the oriental} , London , 1800 .